الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر

في اللغة والأدب العربي

فرع: الدراسات اللغوية تخصص: لسانيات الخطاب

نظرية أفعال الكلام عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين

إعداد الطالبتين: إشراف: الأستاذ الدكتور

سريبة فتيحة حدوارة عمر

سيدي عابد خديجة

تمت مناقشتها بتاريخ: 2020/06/29 أمام اللجنة المكونة من:

د/ بن جلول مختار: أستاذ محاضر –أ–..... رئيسا

أ.د/ حدوارة عمر: أستاذ محاضر–أ–.....مشرفا ومقررا

د/ بوكلخة صورية: أستاذ(ة) محاضر(ة) –أ– ..... مناقشا

السنة الجامعية: 1441/1440هـ– 2020/2019م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر الله العظيم المنان بجلال وجهه وعظيم سلطانه الذي وفقنا وسدّد خطانا، والحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة، وأعاننا على إنجاز هذا العمل ووفقنا إلى أداء هذا الواجب.

ونتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد، ونخص بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور حدوارة عمر شاكرين له صبره ومساندته، له التوفيق والنجاح في مسيرته العلمية شاكرين له نصائحه وإرشاداته القيمة، أشكر جميع أساتذتنا الكرام بجامعة ابن خلدون قسم اللغة العربية وآدابها.

وفي الأخير نرجو من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا نفعا يستفيد منه الجميع، واللّهم صلِّ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إهداء

إلى نبع الحنان وكل الحنان... إلى من تفرح لفرحي وتحزن لحزني إلى بر الأمان... **أمي** العزيزة.

إلى الذي يحترق من أجل أن ينير لي درب الحياة إلى الذي يزيد في عزيمتي وقوتي... **أبي** العزيز.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء.

إلى كل من أدركه القلب ولم يدركه القلم.

إلى جميع أساتذتي الذين ساندوني في مشواري الدراسي .

إلى زميلاتي وزملائي.

إلى كل الأصدقاء الذين جمعتني بهم الأيام، خاصة صديقتي **خديجة**.

إلى هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

فتيحة

إهداء

لي الشرف أن أتقدم بهذا الإهداء إلى من نجحت بفضل دعمه ودعائه بعد فضل الله سبحانه وتعالى، سندي وقرة عينيّ: **أبـــــي**.

كما أتشرف بإهداء هذا العمل إلى أجمل هبـــة منحني إياها الله، ومنحني النجاح في دراستي من خيرات دعائها، حبيبة قلبي: **أمـــــي**.

وأهدي عملي هذا لإخوتي وأخواتي.

كما أهدي هذا الجهد المتواضع إلى أغلى صديقة وأخت تعرفت عليها في مشواري الدراسي، غاليتي: **فتيحة**.

دون أن لا أنسى أن أتقدم بإهداء هذا العمل المتواضع إلى كل صديقاتي وأحبائي المقربين، وكل من علمني حرفا في مشواري الدراسي.

خديـــجة.

مقدمـــــــــــــة

الحمد لله الذي هدانا إلى العلم وما كنّا لنهتدي لولا فضله، اصطفانا الرحمن من بين خلقه ومخلوقاته، فأكرمنا بالعقل لنتدبر في كونه، في كلامه المنزل القرآن الكريم الذي لا مثيل له في نظمه وأسلوبه، وصلوات ربي وسلامه على أطهر الخلق، أفصح الأمم، وأبلغ الأنام، حبيب الله وسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بعثه الله بكلام الحق، لينذر النّاس بالحق، ويبشرهم بالحق، ويهديهم إلى الحق، فتعالى ربنا ذو الجلال والإكرام، وبعد:

عرفت الدراسات الغربية تطورا في الدراسات اللغوية منذ ظهور محاضرات دي سوسير إلى يومنا هذا، حيث ظهرت مناهج عدة ينبني أحدها على الآخَر، ولعل آخِر ما توصلت إليه هذه الدراسات، هي نظريات تندرج تحت اللسانيات التداولية، فهذه الأخيرة تهتم بدراسة الكلام، وتهتم بالمتكلم وقصده، فمن أهم الأسئلة التي تسعى للإجابة عليها: كيف نقول وكيف نتكلم؟ فهي تركز على الكشف عن المعنى المصرح، والمعنى المضمر.

وفي ظل الدراسات التي قامت بها التداولية، تفرعت عنها مجموعة من النظريات حتى تتعمق في مباحثها أكثر وتبلورها بأسس ومبادئ واضحة، ومن أكثر هذه النظريات التي لاقت اهتماما عند الدارسين اللغويين، نظرية أفعال الكلام؛ حيث تعنى هذه النظرية بدراسة الكلام من منظور أنّ الأقوال ليست عبارة عن ألفاظ تحتمل الصدق أو الكذب فقط؛ بل هي تنجز أفعالا في نفس الوقت وفق قصد وسياق محدد؛ إذ تركز هذه النظرية على مدى تأثير الكلمات والألفاظ في المتلقي وكيف تدفعه لينجز أفعالا، وبالتالي هي تدرس القوة الإنجازية والتأثيرية للكلمات في الكلام بين المتكلمين، وتبيّن كذلك المقاصد السطحية والعميقة التي تنطوي في الكلام، كما تحدد السياق الذي أنتج وفقه.

أمّا نظرية أفعال الكلام في الدرس العربي –القديم– فلم تكن تعرف بهذا الاسم، وإنما تجلت في أسلوبي الخبر والإنشاء وما ينطوي تحتهما من قضايا، وسنأتي إلى تفصيل ذلك من خلال عرض هذا البحث.

تتجلى أهمية الموضوع في كونها مقاما مناسبا من أجل إحياء روح الدرس العربي–القديم– بنفس جديدة وفق منهج مستجد وحديث، ذلك من خلال أخذ ما ينبغي لنا أخذه وترك ما يجب علينا تركه من هذا المنهج، وكذلك بما أنّ علماء العرب قديما كانوا واعين بنظرية أفعال الكلام تحت مسمى الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، ستكون هذه المحاولة من أجل توضيح ذلك، كما تكمن أهمية هذا البحث في استثمار نظرية أفعال الكلام، وقراءة الموروث اللسان العربي، ومحاولة التأصيل لهذه النظرية في التراث اللغوي العربي.

وكانت من أسباب اختيار موضوع البحث، مجموعة من الدوافع الموضوعية والذاتية حيث تجلت فيما يلي:

أولا: الأسباب الموضوعية:

- يصنف موضوع البحث ضمن تخصصنا لسانيات خطاب، إذْ أنّ التداولية ونظرياتها تعنى بدراسة استعمال اللغة وتحليل الخطاب.
- الجاحظ شخصية بارزة من بين جهابذة علماء العرب في زمن العلم والمعرفة (العصر الذهبي)، وكتابه البيان والتبيين من أهم مؤلفاته.
- تمثلت في ذلك الإنجاز العلمي لدراسة هذا البحث الذي يتميز به المنهج التداولي إذْ يشترط الموضوعية.

ثانيا: الأسباب الذاتية:

- لقد لفت عنوان الموضوع انتباهنا، وهذا ما أثار رغبتنا فيه، والتي تعلقت بالتراث العربي، كأي قارئ متذوق وغيور على هذا التراث.
- كما يمكن القول، أنها فرصة من ذهب تمثلت في دراستنا لهذا البحث الذي تضمن عمل أحد عباقرة علماء العرب (الجاحظ)، وتضمن كذلك التداولية وأهم محور من محاورها ألا وهو نظرية أفعال الكلام.
- التعرف على خبايا هذا العلم، وخاصة مع الحرص على الكيفية التي قدمها هذا العالم الجليل في كتابه البيان والتبيين، والذي تضمن مباحث متنوعة تناول فيها البلاغة والبيان... إلخ.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "نظرية أفعال الكلام في البيان والتبيين للجاحظ"؛ وهي دراسة مفادها الكشف عن مواطن هذه النظرية المستجدة في كتاب العلّامة الجاحظ، وإبراز تجلياتها وفق منظوره، وسبق أن تمت دراسة هذا الموضوع من قبل، لكن بعرض مختلف عن هذا الموضوع لاختلاف قضاياه، وحتى نصل إلى مبتغانا ينطلق هذا البحث من إشكالية مفادها: كيف نشأت نظرية أفعال الكلام؟ ومن هم أبرز علماءها؟ وهل نظرية أفعال الكلام لها وجود في الدرس العربي؟ وكيف يمكن الكشف عن البُعد التداولي في خطاب الجاحظ من خلال نظرية أفعال كلام؟ وهل حقق الجاحظ بمؤلفه البيان والتبيين سلطة الإقناع والتداول في اللغة على أكمل وجه ؟

كانت هذه من بين الأسئلة التي قمنا بطرحها من أجل المضي في البحث قدما، وحتى نجيب عليها اعتمدنا على خطة بحث كانت مؤطرة على الشاكلة الموالية:

مقدمة، شملت أهم محطات البحث بصفة عامة، ثم قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول، الأول والثاني فصول نظرية أمّا الفصل الأخير فكان تطبيقي، وانطوى تحت كل فصل ثلاثة مباحث، سنأتي على تفصيلها فيما يلي:

الفصل الأول كان معنون بـ "اللسانيات التداولية"، تضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول كان بعنوان: نشأة اللسانيات التداولية، انطوى تحته مطلبين، المطلب الأول كان موسوم بـ: نشأة اللسانيات التداولية عند الغرب، والمطلب الثاني فكان بعنوان: نشأة اللسانيات التداولية عند العرب.

أمّا المبحث الثاني فاتسم بعنوان: "عناصر التداولية ومحاورها"، تضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب، المطلب الأول فكان: "مفهوم التداولية في اللغة والاصطلاح"، أمّا المطلب الثاني فكان: "عناصر التداولية"، في حين المطلب الثالث اتسم بـ "محاور التداولية".

بينما عُنون المبحث الثالث بـ "علاقة التداولية بالعلوم الأخرى ودرجاتها"، يندرج تحته مطلبين، المطلب الأول اتسم بـ "علاقة التداولية بالعلوم الأخرى"، وأّما المطلب الثاني فاتسم بـ "درجات التداولية".

في حين أنّ الفصل الثاني عنوناه بـ:"نظرية أفعال الكلام"، اندرج ضمنه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول كان بعنوان: "الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند الغرب"، انطوى ضمنه مطلبين، المطلب الأول فكان: أوستين والأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء"، بينما المطلب الثاني: "سيرل والأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء".

أمّا المبحث الثاني الذي وسم بـ: "الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند العرب"، تضمن مطلبين، فبالنسبة للمطلب الأول فعنون بـ "الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند الأصوليين"، أمّا المطلب الثاني فعنوناه بـ "الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند النحاة".

أمّا المبحث الثالث فقد عنون بـ "أوجه الاختلاف والاتفاق بين الجاحظ وأوستين"، اندرج تحته مطلبين، المطلب الأول بعنوان "أفعال الكلام عند الجاحظ"، والمطلب الثاني بعنوان "أفعال الكلام عند أوستين."

أمّا بالنسبة للفصل الأخير فارتأينا أن نعنونه بـ "إسقاط نظرية أفعال الكلام على البيان والتبيين"، تضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول كان عنوانه "تحديد وضبط المصطلحات (النظرية-الفعل-الكلام)"، اندرج تحته ثلاثة مطالب، حيث أنّ المطلب الأول عنون بـ "مفهوم النظرية"، أمّا المطلب الثاني فعنون بـ "مفهوم الفعل"، أمّا المطلب الأخير فكان عنوانه "مفهوم الكلام."

ثم جاء المبحث الثاني بعنوان "كتاب البيان والتبيين" (الجاحظ)، انطوى تحته مطلبين، المطلب الأول اتسم بـ "التعريف بصاحب الكتاب (الجاحظ)، أمّا المطلب الثاني كان "التعريف بالكتاب" (البيان والتبيين).

أمّا المبحث الأخير فكان عنوانه "دراسة تطبيقية في البيان والتبيين من خلال نظرية أفعال الكلام"، تضمن مطلبين: المطلب الأول: "الأسلوب الخبري عند الجاحظ"، أمّا المطلب الثاني: "الأسلوب الإنشائي عند الجاحظ."

ثم ذيلنا البحث بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لما سبق في هذا البحث، حيث تضمنت خلاصة النتائج التي توصلنا إليها.

كما اعتمدنا في هذا البحث عند جمع مادته المعرفية على مجموعة من المصادر والمراجع، من أبرزها:

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين.
- جورج يول في مؤلفه التداولية.
- أوستين في كتابه نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام.
- مسعود صحراوي من خلال كتابه التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.
- خليفة بوجادي في مؤلفه، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم.

وقد اتبعنا في هذه الدراسة مجموعة من المناهج حسب ما اقتضاه البحث؛ حيث تمثلت فيما يلي:

- المنهج الوصفي التحليلي؛ ذلك نظرا لما نقلناه من معلومات متعقلة بكل من التداولية ونظرية أفعال الكلام، إذ قمنا بوصفها من خلال التعليق والتحليل.
- إجراء تاريخي؛ ذلك من خلال رصدنا لنشأة وتطور كل من اللسانيات التداولية ونظرية أفعال الكلام، كما تجلى في سيرة الجاحظ التي تطلبت منا التأريخ لها.

- إجراء المقارنة؛ يتجلى عند عقدنا مقارنة لنظرية أفعال الكلام بين الغرب والعرب من جهة، وأيضا عندما قمنا بعقد مقارنة للنظرية بين الجاحظ وأوستين من جهة أخرى.

وكأي بحث وباحث واجهنا بعض الصعوبات خلال توثيق مادة البحث، كانت من بينها:

- عدم توفر الكتب المتعلقة بالتداولية ونظرية أفعال الكلام بمكتبتنا الجامعية من جهة، وصعوبة تحميلها من المواقع الإلكترونية من جهة أخرى.
- إشكالية التعامل مع كتاب البيان والتبيين في ظل منهج غربي جديد خاصة وأنه كتاب له خصوصيته المعرفية في زمانه.
- الوضع الصحي الذي عرفته البلاد مؤخرا هو الآخر أعاقانا كثيرا للتواصل كطالبتين مع بعضنا البعض بشكل يومي، وكان تواصلنا عن بعد فقط.

لكن وبفضل الله العلي القدير استطعنا أن نجتاز هذه الصعوبات، ونمضي قدما من أجل إتمام هذه الدراسة.

وختاما، نتوجه بعميق الشكر والامتنان إلى أستاذنا المشرف حدوارة عمر، الذي أشرف على هذه المذكرة مشكورا جزيل الشكر، حيث حظينا منه بالقراءة العلمية الرصينة، وقد منحنا الكثير من وقته وجهده، وكانت لتوجيهاته وملاحظاته القيمة الأثر الواضح في إنجاز هذا البحث، فالله نسأل أن يبارك له في عمره، ويمنحه الصحة والعافية خدمة لكتابه العزيز، ولهذه اللغة الكريمة، كما أساله أن يأجره على ما بذل معنا من جهد خيرا في الدنيا والآخرة.

وكما لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لسادتي أعضاء لجنة المناقشة الذين كان لهم الفضل في تقويم هذا البحث، فجزاهم الله كل خير، وإلى كل من أعاننا وساهم في انجاز هذا البحث فلهم منا جميل الشكر والامتنان.

هذا ما استطعنا أن نصل إليه، وحسبنا أننا قدمنا ما وصل إليه اجتهادنا القاصر، فما وفقنا فيه فهو من عند الله وحده، وما أخطئنا فمن أنفسنا والله نسأل أن يجعل لنا هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وإليه نتضرع أن يكتب لنا في هذا البحث وبعده النجاح والتوفيق والقبول، وأن يحققه النفع المرجو، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الطالبتين: - سريبة فتيحة

- سيدي عابد خديجة

تيارت: 06/29/ 2020م

❖ الفصل الأول: اللسانيات التداولية.

- نشأة اللسانيات التداولية بين الغرب والعرب.
- مفهوم التداولية ومحاورها.
- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى ودرجاتها.

توطئة:

اللغة سلوك اجتماعي يعبر به الناس عن أفكارهم، ونشاط تقوم به جماعة من الناس بهدف التواصل وتحقيق المصالح، والفرد يستخدم اللغة في مواقف الحياة حين يوجه شكرا، أو يقدم اعتذارً، أو يصدر قرارً، فالكلام المصاحب لهذه الأنشطة وغيرها، هو مادة صالحة للدراسة، ولقد أبدى علماء اللغة والفلاسفة اهتماما كبيرا في العصر الحديث بالعناصر الموقفية في اللغة، والتي لها ارتباط بغرض المتكلم، ولماذا يتكلم؟

إن اللسانيات العربية اليوم تعرف انفتاحا حضاريا واسعا على النماذج والتحليلات، والنظريات التي عرفها العالم الغربي منذ عقود، ولعل هذا الوضع الحضاري يفرض على الفكر اللساني العربي أن يعقد حوارً مثمرا بين الماضي والحاضر؛ أي بين ما يزخر به هذا الفكر من طرق التحليل والمفاهيم، وبين ما يعج به الفكر اللساني الحديث من نظريات في سبيل تحقيق انفتاح حضاري واع، يتجنب الوقوع في الإسقاط المنهجي.

حيث أن التداولية كنسق معرفي استدلالي يسعى إلى الوقوف على أغراض القائل المقامية، من خلال معرفة الإستراتيجية الخطابية للنص، ومن ثم يكون المعنى المقامي عمدة التفسير، وذلك بالكشف عن قيمة القول خارج العالم اللساني، بمعنى البحث عن البعد العملي للقول.

فالتداولية تجعل الفعل اللغوي حدثا في العالم اللساني، يسعى إلى التعبير عن طريق التواصل، وكان المنهج البنيوي قد أقصى أثر السياق في فهم وتأويل الدلالات، واكتفى بحصر دراسة اللغة في الكشف عن مكونات البنية اللغوية، لكن هذا الجانب من اللغة يهتم بالاستعمال اللغوي، ويكشف عن طرقه وخصائصه الخطابية، عوضا عن دراسة اللغة؛ أي حينما تكون اللغة متداولة بين مستخدميها، وكيفية استعمالها.

المبحث الأول: نشأة اللسانيات التداولية بين الغرب والعرب.

1- نشأة اللسانيات التداولية عند الغرب:

1-1 نشأة ومراحل تطور اللسانيات التداولية:

كان مصطلح البراجماتية منتشراً منذ زمن الإغريق، وهو مصطلح مشتق من« اللفظة اليونانية: براغما، براجما Paragma، وظهر استعمالها مع العديد من الفلاسفة أمثال: أفلاطون وأرسطو... الذين تصوروا البراجماتية بصورة نشاط أو فعل أو عمل يعتمد على التجربة والممارسة العملية للوصول إلى النتائج.»[1]

إلا أنَّ بوادر ظهور الفكر البراجماتي كان مع الفيلسوف الأمريكي"تشارلز بيرس Charles. S. Peirce"، إذْ يعتبر بيرس الواضع الأول لكلمة براجماتية، وأول من أعلن عنها كمنهج فلسفي، وهو يرى أنّ الأفكار ترتبط بعضها البعض عن طريق الآثار الحسية التي تخلفها، وهذا وافقَه عليه "وليام جيمس William James" في قاعدته الفلسفية لتفسير المعاني، التي تفضي بأنّ الآثار العملية لفكرة ما هي إلا طريق لتفسيرها، بل وخالفه في جعل المنهج البراجماتي مقتصرا على التجربة العملية، فقد جمع بين ما هو عقلي وبين ما هو تجريبي، بما يحقق له غاية ومنفعة لتلبية حاجياته وإشباع رغباته. وجاء "جون ديوي John Dewey" بعد بيرس وجيمس وارتبط اسمه بمذهب الذرائعية، ففي نظره الفكرة في ذهن الإنسان بمثابة ذريعة أو وسيلة لبلوغ الهدف المنشود، فكل ما يؤدي إلى الهدف هو حق، وكل ما يتعارض معه فهو باطل.[2]

في حين يعود ظهور التداولية كعلم حديث إلى العالم الأمريكي "شارل موريس Charles morris" سنة 1938 حين تكلم عن فروع علم العلامات التي مثلها في ثلاثة فروع، وهي:

– علم التراكيب syntactics أو syntax: يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها ببعض.

– علم الدلالة semantics: يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها.

– التداولية pragmatics: تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها.[3]

1- أحمد فهد صالح شاهين، **النظرية التداولية، وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015، ط01، ص:05.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص: 05،06.

3- محمود أحمد نحلة، **أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص: 09.

رغم هذا لم تصبح التداولية علما يعتّد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في أواخر القرن العشرين، ففي «1955 ألقى أوستين J.L.Austin محاضراته في جامعة هارفارد ضمن برنامج **محاضرات وليام جيمس**، والتي كان يهدف من خلالها إلى تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو **فلسفة اللغة**، ونجح في ذلك»[1]، إلا أنّ المحاضرات أخذته أبعد من ذلك، فهو كان يرى أنّ اللغة تهدف إلى وصف الواقع، فكل الجمل(عدا الاستفهامية والأمرية والتعجبية...) يمكن الحكم عليها أنها صادقة أم كاذبة، وبعد قيامه ببعض الملاحظات توصل إلى جعل للجمل ضربين، الأولى جمل وصفية-خبرية- والثانية إنشائية[2]، وبعد دراسات وملاحظات أخرى للمحاضرات اتضح لأوستين أنّ مقابلة الجمل الوصفية بالإنشائية ليست بالبساطة التي ظنها في البداية... ويقر بأنّ كل جملة تامة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، ويميز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية: العمل القولي، العمل المتضمن، والعمل التأثير بالقول.[3]

كانت هذه محطة أوستين في نشأة التداولية ونظرته للغة ودراسته لها، ليأتي بعد ذلك تلميذه سيرل J.R.Searle من أجل إعادة النظر في عمل أستاذه "**نظرية الأعمال اللغوية**"، حيث أنه طوَّر في هذه النظرية بعدين من أبعادها الرئيسية هما: **المقاصد والمواضعات**، وانصب اهتمام سيرل بالأعمال المتضمنة في القول؛ إذ ميّز في الجملة بين اسم القوة المتضمنة في القول واسم المحتوى القضوي.[4]

بينما نجد أنّه في «سنة 1957 نشر بول غرايس H.P.Grice مقالا في الدلالة كانت له أهمية تارخية»[5]، عرف بـ **نظرية المحادثة** والتي أوضح من خلالها أنّ تأويل ملفوظ ما يعتمد على عاملين: معنى الجملة المتلفظ بها من جهة، وسياق التلفظ من جهة أخرى، كما «أضاف إلى هذين العاملين مبدأ التعاون. »[6]

1- آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، تر، سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مرا، لطيف زيتوني، دار الطليعة، لبنان، بيروت، تموز(يوليو)، ط01، ص: 29.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص: 31.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص: 31، 32.

4 - ينظر، المرجع نفسه، ص: 33.

5- بشرى البستاني، **التداولية في البحث اللغوي والنقدي**، مؤسسة السياب، لندن، 2012، ط01، ص: 35.

6- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، دار الكنوز، عمان، 1437هـ، 2016م، ط01، ص: 21.

كما نجد أنّ نشأة التداولية تزامنت مع نشأة العلوم المعرفية... التي جاءت كردٍ على التيار السلوكي،[1] فظهرت بما يسمى بـ « التداولية المعرفية، وظهرت أيضا بما يسمى بنظرية الملاءمة لسبيربر وولسن.»[2]

وبعد ذلك تطورت التداولية في أوروبا خاصة مع فرنسا وبالتحديد مع أوسكمبر J. C. Anscombre وأوزفالد ديكرو O. Ducrot اللذان « أسسا التداولية المندمجة ضمن نظرية الحجاج في اللغة.»[3]

كانت هذه من أبرز المحطات التي عرفتها نشأة التداولية عند الغرب والتي تطورت مع مضي الزمن حتى أضحت علم مستقل بذاته؛ حيث أنها فتحت لنفسها مجالات معرفية واسعة وذلك كله من أجل دراسة اللغة بمنظور آخر وبالتحديد عند تداولها واستعمالها في الكلام، وهي لا تزال قيد التطور والنمو، ومن ثم تعتبر هذه السيرورة مجرد انطلاقة لها من أجل اكتمالها وبلوغ ذروتها التي هي بصدد تحقيقها.

1-2 الفلسفة التحليلية: لقد أحدث صدور كتاب **دروس في اللسانيات العامة** لدي سوسير حدثا معرفيا مهما في مجال اللسانيات، ونادى بدراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، ولم تكن للفلسفة حظ لها في العلم إلا لما ظهر مصطلح **فلسفة العلم** الذي شقت الفلسفة به طريقها لتوثيق علاقتها بالعلم، واتخذ البحث في القضايا الفلسفية بُعدا تجريبيا جديدا بعيدا عن التأمل الفلسفي المجرد.[4]

وقد شاع مفهوم التحليل في الفلسفة على نطاق واسع أوجزها عزمي إسلام في ثلاث مراحل، وهي كالآتي:

- ✓ تحليل المفهوم أو الفكرة عن طريق تطبيقاتها الجزئية لمعرفة المبدأ الكامن وراءها، كما هو واضح في المنهج الديالكتيكي عند سقراط وفي محاورات أفلاطون وأخلاق أرسطو.
- ✓ تحليل المعرفة الإنسانية وردها إلى مجموعة من البسائط والعناصر الأولية، وكذلك تحليل الوجود كما هو عند ديكارت ولوك.

1- ينظر، آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم**، ص :27، 28.

2- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 21.

3- المرجع نفسه، ص:21.

4- ينظر، المرجع نفسه، ص: 26، 27.

✓ تحليل الإطارات التي تصف فيها المعرفة الإنسانية (أي اللغة)، كما هو الحال عند فلاسفة كامبدريج ورسل و فتجنشتاين وجماعة فيينا وكارناب.[1]

أمّا الفلسفة التحليلية فقد نشأت على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه في كتابه أسس علم الحساب، ومن أهم التحليلات التي أجراها على العبارات اللغوية، تمييزه بين مقولتين لغويتين متباينتين في المفهوم والوظيفة، هما: اسم العلم والاسم المحمول، فالمحمول يقوم بوظيفة التصور من خلال إسناد مجموعة من الخصائص الوصفية الوظيفية إلى اسم العلم، أمّا اسم العلم فهو يشير إلى شيء أو فرد معين عاجز تماما عن استخدامه كمحمول.[2]

وجاء بعد ذلك الفيلسوف النمساوي فتجنشتاين وأسس اتجاها فلسفيا جديدا سماه بفلسفة اللغة العادية، تناولت طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في قول الإنسان العادي، وأهم ما يميز بحث هذا الفيلسوف ذهابه إلى المعنى أنه ليس بثابت ولا محدد.[3]

ومن هنا حددت الفلسفة التحليلية لنفسها غاية منذ تأسيسها، تمثلت في إعادة صياغة الإشكالات الفلسفية على أساس علمي، وجاءت كرد على الفكر الفلسفي القديم الذي لم يول الاهتمام باللغات الطبيعية بما تستحقه من دراسات وبحث.[4]

كان من أبرز الفلاسفة الذين تأثروا بالتجديد الذي جاء به فريجه، « هوسرل، كارناب، فتجنشتاين وأوستين وسيرل، والسمة المشتركة بينهم هي فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر عن الفهم.»[5]

ولقد عرفت الفلسفة التحليلية تقسيمات عدة تتمثل في ثلاثة اتجاهات كبرى، هي:

- الوضعانية المنطقية positivisme logique، بزعامة رودولف كارناب.
- الظاهراتية اللغوية phénoménologie du langage، بزعامة إدموند هورسل.
- فلسفة اللغة العادية philosophie du langage ordinaire، بزعامة فتجنشتاين.

بيد أن الاتجاهين الأول والثاني خرجتا عن مسار التداولية لانشغالهما في مباحث لغوية أخرى، والاتجاه الأخير هو الذي بقي ضمن اهتمامات التداولية وعني بالأفعال الكلامية، فقد رأى

1- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 27.

2- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 18، 19.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص: 20.

4- ينظر، المرجع نفسه، ص:20.

5- المرجع نفسه، ص:21.

فتجنشتاين أنّ اللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، والاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها.[1]

لم يكتسب فتجنشتاين ما جاء به مكانته الحقيقية إلا بعد ما جاء به فلاسفة مدرسة أوكسفورد وتبنوه، لاسيما أوستين في كتابه عندما يكون القول هو الفعل، وتلميذه سيرل من خلال استلهامه لبعض من أفكار هذا الفيلسوف واتخاذها معيارا وأسسا في دراسة "القوى المتضمنة في القول."[2]

1-3 الانتقال من الجملة إلى الخطاب:

1-3-1 مفهوم الجملة:

الجملة لغةً: جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: « جمل، الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمُّع وعِظَم الخَلْق، والآخر حُسْنٌ.

فالأول قولك أَجْمَلْتُ الشيء، وهذه جُمْلة الشيء، وأجمَلْتُه: حصّلته، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾[3]، ويجوز أن يكون الجَمَل من هذا؛ لِعظَم خَلْقه، والجُمَّل: حبْل غَليظ، وهو من هذا أيضا، ويقال أَجْمَلَ القومُ كثُرت جمالهم، والجُمَاليّ: الرّجُل العظيم الخَلق، كأنه شُبِّه بالجمل؛ وكذلك ناقة جُماليَّة، قال الفراء:{ جَمَالَاتٌ} جمع جمل، والجِمَالات: ما جمع من الحِبال والقُلُوس*.

والأصل الآخر الجَمَال، وهو ضدُّ القبح، ورجلٌ جميل وجُمال، قال ابن قتيبة: أصله من الجَمِيل وهو وَدَك الشحَّمِ المذاب، يراد أنَّ ماءَ السِّمَنِ يجري في وجهه، ويقال جَمَالَكَ أن تفعل كذا، أي أُجْمُلْ ولا تَفْعَلْه، قال أبو ذؤيب: {جَمَالُكَ أيُّها القلب الجريح *** ستَلْقى من تُحبُّ فتستريح}، وقالت امرأة لابنتها: تجملي وتعفّفي، أي كُلِي- وهو الذي ذكرناه من الشحم المذاب- واشربي العُفَافَة، وهي البقية من اللبن.»[4]

ما نلاحظه من التعريف السابق أن الجذر اللغوي لـ "**جمل**" أتى في مجموعة من التخريجات تجلت فيما يلي: التحصيل إن كان في الشيء، وكونه نوع من الحيوان؛ أي **جَمَلٌ**؛ حيث يراد به عظيم الخلق

1- ينظر، مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص:22،23.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص: 23،24.

3- سورة **الفرقان**، الآية: 32.

*- القلوس: جمع قلس، بفتح القاف. وهو الحبل الغليظ من حبال السفن، وفي الأصل: "الجمال والفلوس" تحريف، وصوابه في المحمل واللسان. ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص: 481.

4- أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر، ج01، ص: 481.

فالجمل جاء آية من عند الله عز وجل لسيّدنا صالح عليه السلام، ونسبت هذه الصفة إلى رجل عظيم الخلق تشبيها له ، فقيل جماليّ، وقد جاء الجذر اللغوي أيضا بمعنى الحبال المتينة، كما جاء في معناه أنّه ضد القبح، وأتى بمعنى الشحم المذاب.

الجملة اصطلاحا: ذكر الجرجاني في كتابه التعريفات مفهوما لمصطلح الجملة، فقال: « الجملة عبارة عن مركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد **كقولك:** "زيد قائم" أو لم يفد **كقولك:** "إن يكرمني" فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقا.»[1]

نلاحظ من تعريف الجرجاني أنّه تعريفٌ يصب في علم النحو والصرف؛ حيث أن التعريف يناقش قضية الإسناد التي تعتبر أهم أساس في الجملة، سواء صاحب هذا الإسناد فائدة أم لم يصاحبه.

1-3-2 مفهوم الخطاب:

الخطاب لغةً: أورد ابن منظور في معجمه لسان العرب، مجموعة من التعريفات للجذر اللغوي "خطب"؛ إذْ يقول: « الخَطْبُ: الشَّأْنُ أو الأَمْرُ، صَغُرَ أو عَظُمَ؛ وقيل: هو سَبَبُ الأَمْرِ... والخِطابُ والمخاطَبَةُ: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان... ورَجُلٌ: خَطيبٌ: حسن الخطبة، وجمع الخطيب خطباء.»[2]

نرى من هذا التعريف أن مادة "خطب" اشتملت على مجموعة من التعريفات والصفات، منها ما يراد بها شأن الأمر؛ أي حاله وسببه، ومنها ما يراد بها مراجعة الكلام إن كانت مخاطبة بين شخصين أو أكثر، كما أن خطب شملت صفة رجل خطيب يحسن إلقاء الخطب.

الخطاب اصطلاحا: يعتبر مصطلح الخطاب مصطلح شائع في الثقافة العربية؛ حيث أنه « يتردد كثيرا بالاقتران بوصف آخر، مثل الخطاب الثقافي، الخطاب الصوفي، الخطاب السياسي... وقد جاء في تعريفه قول الآمدي: اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه.»[3]

نلاحظ من خلال التعريف أنّ الخطاب هو ذلك القول الذي جيء به لإفهام المتلقي المراد تبليغه بحكم أو حالة، وهذا التعريف هو متداول عند الأصوليين من أجل وضع الأحكام الشرعية.

1- علي بن محّمد السيّد الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات**، تح، محمّد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص: 70.

2- أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، 1119، ص: 1195.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، ط01، ص: 36.

1-3-3 من الجملة إلى الخطاب: لقد كان الأمر شائع في التفرقة بين الكلام واللغة؛ بل إنه تعدى ليشمل التفرقة بين الكلام والجملة وما نحو ذلك.

فهذا "بنفنست" نجده يفرق بين الكلمة والجملة خلال تحديده لمستويات التحليل اللغوي، فالجملة هي وحدة من الخطاب لا يمكن فصلها عنه إلا بالاعتماد على وظيفة الإسناد؛ أي وضعها من جهة في علاقة مع المرجع وإخبار المتلفظ وإثباته من جهة أخرى.[1]

فعند التحليل يجب أن يتم الاتفاق على مصطلح الجملة، على أنها « هي وحدة لغوية مجردة، يقابلها مجموعة من الكلمات المركبة حسب قوانين التركيب... وما ينتجه المتكلم، وما يسمعه المخاطَب، مجموعة تدعى بالقول وليس بالجملة.»[2]

وإن كان الخطاب يرادف القول أو الملفوظ، فهو عند تحليله لا يقف عند حدود الجملة بل يتعدى إلى الاهتمام بمختلف مستوياتها، ما يعني أن الجملة تنتقل بوصفها نظام من الأدلة في ميدان اللغة إلى وصفها وسيلة لغوية تواصلية؛ أي خطاب، وتعتبر الجملة وحدة من الخطاب إذا ما تم تخصيص كل واحدة منهما في مجالها الخاص بها.

كما يعتبر التلفظ ضمن تحليل الخطاب ليس بظاهرة لسانية محضة ولا سميائية، بل يسمح التداخل بين مختلف المعارف – سواء الثقافية أو الاجتماعية وما إلى ذلك– من جعل الخطاب مركز علم الاجتماع اللغوي.[3]

وما ينبغي أن نقوله هو أنّ « الخطاب وحدة خاصة ذات مستوى عال بالنظر إلى الجملة، ومسار البنية الكلية أو الكبرى... وفي هذا المقام يكشف "مانغونو" إمكانية الخروج عن المستوى التركيبي بين تداخل الجمل، وتوسيعها من مجال اللسانيات إلى العلوم الإنسانية الأخرى، ذلك أن الجملة إبداع وخلق ليس له حدود، وتمثل الحياة نفسها للغة في حالة الأداء والإنجاز بمفهوم "بنفنست".»[4]

ما يمكن ملاحظته هو أنّ الجملة تختلف عن الخطاب في عدة مزايا نحو تركيبهما وكيفية تحليلهما ودراستهما، كما يمكن القول بأنّ الجملة جزء من الخطاب الذي هو عبارة عن مستوى عال بالنظر إليها.

1- ينظر، حمو الحاج ذهبية، **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب**، الأمل، تيزي وزو، ط02، ص: 151.

2- المرجع نفسه، ص: 151، 152.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص:152،153.

4- المرجع نفسه، ص: 154.

2- نشأة اللسانيات التداولية عند العرب:

2-1 تجليات التفكير التداولي في الدرس العربي القديم: حين نعود إلى التراث اللغوي العربي القديم نجد أنّ التداولية كانت حاضرةً متجذرةً فيه، ليست كعلم مستقل بذاته لكن كتفكير متوغل في شتى العلوم العربية؛ إذْ نجد أنّ العلماء قديما كانوا يولون الاهتمام بالمتكلم، والسامِع، والكلام والمقصود منه، والسياق الذي نُظم فيه القول، والمقام الذي يجب أنْ يقتضيه الكلام. وكلّ ما ذُكر سلفا يمثل من أساسيات ومبادئ للتداولية التي ترتكز عليها أثناء دراستها للغة.

ولعل من أبرز العلوم التي يتجلى فيها التفكير التداولي هي: **علم الأصول، علم النحو وعلم البلاغة...و غيرها من العلوم،** والتي بدورها تعتبر من أمهات علوم اللغة العربية، وحتى نوضح مواطن التفكير التداولي فيها سنقوم بالتطرق إلى بعض من هذه العلوم التي اجتبيناها.

2-1-1 أصول الفقه: إنّ أصول الفقه من أمهات العلوم العربية والتي جاءت من أجل ضبط الأحكام الشرعية للنّاس، وإذا أمعنا النظر في لفظ أصول الفقه نجد أنّه مكون من لفظين هما: أصول وفقه، **فالأصول** نعني بها « الأسس أو الأدلة أو القواعد، أما **الفقه**"نعني به الأحكام الشرعية العملية، ومنه **أصول الفقه** هي: العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية .»[1]

وإنّ ما يهمنا في هذا العلم جانبه التداولي؛ إذْ نجد مسعود صحراوي في كتابه "التداولية عند العلماء العرب" يجعل للبحث الأصولي ثلاثة اعتبارات، وهي على النحو الآتي:

- **النوع الأول:** يتعلق بالقضايا الدلالية الصريحة في كتب الأصوليين، وهو يتمحور حول القضايا الدلالية المتعلقة بالقرآن والسنّة النبويّة الشريفة ... وهذا النوع من البحث اللغوي أقرب ما يكون، في مستواه الإجرائي إلى منهج البحث البنيوي الحديث.
- **النوع الثاني:** يشمل القضايا والمسائل النحوية كما يتصورها الأصوليون، سواء آراء خالفوا بها ما قالوا به النحاة أم وافَقوهُم فيها.
- **النوع الثالث:** وهو حسب رأي مسعود صحراوي قلّما عُني به الدارسين، واسماه بـ "المنحى التداولي في البحث الأصولي" ويقصد به كيفية استثمار الأصوليين للمفاهيم التداولية نحو **نظرية الأفعال الكلامية** ضمن نظرية الخبر والإنشاء، وذلك من خلال بحثهم عن الدلالات

1- ينظر، مصطفى جمال الدين، **البحث النحوي عند الأصوليين**، دار الهجرة، إيران، قمْ، 1405 هـ، ط02، ص: 33.

التي يتخذها النص لإفادة معنى معين، أو لصناعة أفعال دينية بالكلمات، أو كيفية التعامل مع الأساليب اللغوية والتواصلية المنبثقة عنها."[1]

ومن خلال الاعتبارات التي أدلى بها مسعود صحراوي، تتضح لنا أهم مرتكزات البحث الأصولي التي كانت محط الدراسة عند الأصوليين، وكان النوع الثالث هو المعني الأكثر بالتفكير التداولي؛ ذلك أنّه يبرز أهم سمات التداولية في درس أصول الفقه؛ إذْ نلمح عناية الأصوليين بالمتكلم والسامع ومقاصد الكلام، وهذا كله يدل على التفكير التداولي وسماته المتفرعة في طيات الدرس الأصولي.

كما نجد الأصوليين قد عُنيوا بالسياق اللغوي أو غير اللغوي وما مدى تأثيره في المتلقي؛ ومن حيث أنّه قد تم القبول به من قبله؛ أي "المتلقي" أو بردة الفعل التي يبديها في حالة رفضه، واهتم كذلك الأصوليون بالدلالات والمعاني التي تحملها تلك السياقات اللغوية أو غير اللغوية وما تحيل إليه من أفعال لغوية كانت أم أعمال لغوية، فالأساليب والأحكام التي ينطق بها الأصوليين من أجل إثارة المتلقي والعمل فيه، لإقناعه أو تغيير رأيه لحكم ما؛ إذ تعتبر ذات طابع عمل لغوي.

2-1-2 علم النحو: يعتبر علم النحو من العلوم التي أولى لها علماء العرب الاهتمام الكبير والعمل المضني في دراسة قواعده اللغوية وكذا تقنينها، وفي ظل هذه الدراسة اتسم عمل النحاة بالتفكير التداولي؛ ذلك أنهم قاموا بمراعاة المعاني والتراكيب التي يقوم بتأليفها المتكلم، حيث أنّه ينبغي على المتكلم أنْ يدرك تركيب الكلام ويحسن نظمه، فالنحو هو « معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلِم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، وليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية.»[2]

وبالتالي يظهر لنا أنّ الغرض من النحو ليس سنّ القواعد والقوانين المجردة فقط؛ بل الأمر أكثر من ذلك؛ حيث أنّه جيء بالنحو من أجل ضبط الكلام في سياق معين، ومن أجل قصد معين ولمقام معين، وبالتالي يعني الاهتمام بالمتكلم والسامع والقصد من الكلام؛ أي أنّ النحاة خلال ممارستهم للتحليل النحوي (الإعراب) كانوا يصوبون ما بالكلام من لحن ويقومون بالكشف عن المعنى في الوقت ذاته، فمن القواعد المقررة عندهم الإعراب فرع المعنى[3]، وهذا يدل على أنّ النحاة

1- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، تموز(يوليو) 2005، ط01، ص: 131، 132.

2- محمد بن علي السكاكي، **مفتاح العلوم**، ض، تع، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403 هـ، 1983 م، 1407 هـ، 1987 م، ط01، ط02، ص: 75.

3- ينظر، مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص:173.

قد درسوا اللغة دراسة وظيفية تداولية، ومنه سنوضح تجليات التداولية في كل من المتكلم والسامع والكلام:

- ✓ **تجليات تداولية المتكلم في علم النحو**: لقد كان النحاة قديما يركزون على المتكلم ويرون أنّه « فاعل الكلام»[1]، وهذا بطبيعة الحال بديهي بما أنّه يقوم بفعل الكلام، حتى بل هناك منهم من جعل« النصب والرفع و الجر مرتبط بالمتكلم؛ حيث أنّهم يرون أنّ الكلام المفيد هو الذي يكون مرهون بقصد واضح، يقول ابن هشام الأنصاري: الكلام هو القول المفيد بالقصد، وفي القصد قيمة تداولية.»[2]
- ✓ **تجليات تداولية السامع في علم النحو**: يعتبر السامع عنصر مهم في الدرس النحوي شأنه شأن المتكلم؛ حيث أنّه تظهر قيمته من خلال الكلام و أقسامه؛ إذْ أنّ الكلام قُسم اعتداد بالسامع، وفي هذا قيمة تداولية[3]، وكذلك لأنّ حضور المتكلم يستلزم سامعا، فعندما يقول المتكلم قولا فهو يستهدف به سامع معين، ثم إنّ الفائدة التي تحصل خلال الكلام مرتبطة بالسامع لا بغيره، فالكلام الذي يُقال يكون بنية القصد وحصول الفائدة عند السامع، إذ يقول الخطيب القزويني في غاية المتكلم من الخبر: « قصد المخبر بخبره إفادة المخاطَب»[4]؛ أي أنّ الإخبار الذي يحصل بين المخبر والمخبر به هو من أجل إفادة المتلقي به، وسنأتي على أضرب حالات المتلقي عند تلقيه الخبر لدى التكلم عليه في علم البلاغة.
- ✓ **تجليات تداولية الكلام ذاته في علم النحو**: يعتبر الخطاب في الدرس النحوي المادة الأساسية والأولية له التي تقام عليها الدراسة، حيث نجد أنّ اهتمام النحويين انصب على الأغراض التي تحيل إليها مختلف الأساليب، نحو: التخريجات لأسلوب الاستفهام؛ أي أنّه بدل الدلالة على السؤال يدل على دلالات أخرى كالإنكار والسخرية وغيرها من الأغراض.[5]

1- أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، تح، تع، محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د. ط، د. س)، ص: 35.

2- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ط01، ص: 221،220.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص: 222.

4- الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ش، تع، محمد عبد المنعم الخفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1413 هـ، 1993 م، ط03، ج03، ص: 65.

5- ينظر، خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 225، 226.

ونجد أيضا من مباحث الدرس النحوي التي اعتنى بها النحاة، والتي كان يتجلى فيها التفكير التداولي؛ التقديم والتأخير وذلك لما يحدثه من إعمال في ذهن السامع وتمكين الخبر عنده[1]؛ ذلك لأنّه يقوم بتخصيص القصد الذي يرغب المتكلم في توصيله للسامع؛ نحو قول الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2]، يقول فاضل السامرائي في شرح هذه الآية: « قُدم مفعوليّ (نعبد) و(نستعين) لقصد الاختصاص، والمعنى: نخص الله بالعبادة ونخصه بالاستعانة، فلا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، إذْ لا تصح العبادة إلا لله، ولا تجوز الاستعانة إلا به.»[3]

كما أنّ هناك مباحث أخرى أيضا عني بها الدرس النحوي نحو: تقدم بعض معمولات الفعل على بعض تحسبا لأهمية الموضوع المطروح، « فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه... ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه، لا وقوعه على من وقع عليه. »[4]

نوضح ذلك في المثال الموالي: شرحَ الأستاذُ المحاضرةَ للطلابِ، وشرحَ المحاضرةَ للطلابِ الأستاذُ. نلاحظ أنّ الفائدة الحاصلة في الجملة الأولى هي أنّ الأستاذ قد قام بشرح المحاضرة للطلاب، بينما في الجملة الثانية فهي أنّ المحاضرة قد تم شرحها وتفهيمها للطلاب من قبل الأستاذ، حيث أنّه يكون التقديم والتأخير بحسب الفائدة التي يحققانها والتي ينتظرها السامع من المتكلم.

وإذا بحثنا في الدرس النحوي سنجد هناك مباحث جمة فيه، تحمل في طياتها بعدا تداوليا سواء كان ذلك في دراستها لقضايا لغوية، أو خلال تقنينها لبعض القواعد النحوية أو اللغوية على حد سواء، خاصة وأنّ النحاة وهم يطبقون ذلك يراعون الجانب الوظيفي ويركزون عليه أثناء البحث والتحليل والتقعيد.

1- ينظر، خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 226.

2- سورة **الفاتحة**، الآية: 05.

3- فاضل صالح السّامرّائي، **لمسات بيانية، في نصوص التنزيل**، دار عمار، عمان، الأردن، ط03، 1423 هـ،2003 م، ص: 41.

4- الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ش، تع، محمد عبد المنعم خفاجي، ج02، ص: 167.

2-1-3 علم البلاغة: إنّ علم البلاغة من أهم العلوم في اللغة العربية؛ وذلك نظراً لما لقيته من اهتمام اللغويين والباحثين العرب لها، فقد كانت تعتبر المبحث الذي يُنم على جمالية اللغة من جهة، ومعيار الفصل في جودة الكلام جيده من رديئه من جهة أخرى، إذْ يعتبر ما تهتم به التداولية في العصر الحالي كانت تقوم به البلاغة – العربية– قديما، ويمكن لنا أنْ نحصر الاهتمامات التي تعنى بها البلاغة في: المتكلم والمتلقي والكلام في حد ذاته، وكذلك أيضا في المقام والقصد.

حيث أنّه إذا جئنا إلى تعريف البلاغة عند علماء العرب قديما نجد من بينهم الخطيب القزويني، الذي يعرفها على أساس بلاغة كلام وبلاغة متكلم، فأمّا **بلاغة الكلام** فهي:« مطابقته لمقتضى الحال، مع فصاحته»[1]، وأمّا **بلاغة المتكلم** فهي:« ملكة يقتدر بها– المتكلم– على تأليف كلام بليغ.»[2]

من خلال التعريفين يتبيّن لنا مساعي علماء البلاغة التي كانوا يصبون إلى تحقيقها، حيث أنهم يركزون على الكلام بأن يكون بليغا وفصيحا من جهة؛ ويركزون أيضا على قدرة المتكلم على التبليغ وحسن إفهام الآخر من جهة أخرى، ومن أجل أن يكون الكلام بليغا وفصيحا وجب على المتكلم أن يحسن اختيار ألفاظه في الكلام من أجل أن تحدث وقعا في نفس المتلقي، مع الأخذ بعين الاعتبار للمقام الذي يُنظم فيه القول ومناسبته لمقتضى الحال، حتى يتضح المقصود من الكلام وتتضح معانيه.
ومن الأقوال المشهورة عند البلاغيين: « لكل مقام مقال »[3]؛ أيّ أنّ كل كلامٍ يناسب حدث معين، فإذا كان الكلام في غير محله يضع المتكلم في موقف محرج؛ ويعرض المتلقي لعدم الفهم وإلتباس المعنى عليه، ولهذا وجب اختيار الألفاظ المناسبة للتعبير عن الأحداث بطريقة ملائمة لها حتى لانقع في الزلل، وسنذكر تجليات التداولية في كل من المتكلم والمتلقي والخطاب.

- ✓ **تجليات تداولية المتكلم في علم البلاغة:** بما أنّ المتكلم هو الفاعل للكلام كما سبق الذكر فقد ارتبطت به بعض الصفات، نحو: الحال التي يكون عليها أثناء إلقائه للخطاب فهو جزء من تشكيل الدلالة العامة لخطابه[4]، إذ تعتبر حال المتكلم الانطلاقة للإبلاغ عما يريد توصيله لمخاطِبِه، وتعكس موقفه من الكلام مع المتلقي.

---

1. الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ج01، ص: 41.
2. المرجع نفسه، ص: 49.
3. السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص: 168.
4. ينظر، خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 164.

ومن الصفات الأخرى التي يتميز بها المتكلم هي: « القصد في الكلام والإبلاغ »[1]، فالمتكلم ينتج خطابا يهدف إلى إبلاغه للمتلقي، والقصد في هذه الحالة عنصر أساسي في العملية الكلامية، وينبغي على المتكلم أن يكون واعيا بها حتى يُحسن حسنَ التواصل مع الغير دون حدوث سوء فهم أو تعبير أو حدوث أي إخلال بالمعنى المراد توصيله للمتلقي.

ومنه انحصر اهتمام البلاغيين بالمتكلم من حيث الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها عند التكلم ويراعها آنذاك، حتى يكون أكثر إقناعا وتأثيرا في نفس المتلقي، وعليه نلحظ أنّ العناية التي يوليها البلاغيون للمتكلم هي ذات طابع وبعد تداولي، فهم يهتمون بآنية إنتاج اللغة وكيفية استعمالها بين المتكلمين وتحليلها.

- ✓ **تجليات تداولية المتلقي في علم البلاغة:** لقي المتلقي عند البلاغيين اهتماما لا يقل عن اهتمامهم بالمتكلم، إذْ أنّه بطبيعة الحال مادام هناك كلام يتم إنتاجه فلابد من متلقي يتلقاه ويستقبله، وبالتالي الخطاب يكتمل لما يتم تلقيه من قبل المتلقي ومن خلال ردة فعله التي يبديها إمّا بالقبول أو الرفض، ثم إنّ الغاية المرجوة من الكلام هي إفادة المخاطَب؛ فإن لم تحصل هذه الفائدة فهذا يعني أنّ الكلام لم يؤدي ما ينبغي عليه من إفهام وتفهيم وتواصل.

وتظهر أهمية المتلقي عند البلاغيين من خلال « استحضاره عند تعريف الكلام »[2]، من ذلك قول الجاحظ: « كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله، وإلى قصد صاحبه »[3]، وهنا يظهر أن كل كلام موجه إلى متلقي معين يحمل في طياته دلالات ومعاني محددة بقصد معين، فالمتكلم يجيء بكلامٍ مقصود يستهدف به المتلقي الذي يحاوره في شأن معين.

كما نجد البلاغيون أنّهم حصروا « إفادة الخبر باستفادة المخاطَب من ذلك الحكم »[4]، ما يعني ذلك أنّنا نأتي بالخبر حتى نفيد المخاطَب سواء كان عالما به أم جاهلا له، حيث أنّ المخاطَب في البلاغة العربية هو على ثلاثة أضرب؛ نسردها في ما يلي:

1- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 165.

2- المرجع نفسه، ص: 176.

3- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، ش، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1418 هـ، 1998 م، ط07، ج02، ص: 281.

4 - خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 176.

- مخاطَب خاليّ الذهن من حكم الخبر جاهلٌ به لا يحتاج إلى مؤكدات لتصديقه، ويسمى بـ « الخبر الإبتدائي. »[1]
- مخاطَب شاك متردد في حكم الخبر غير متأكد ومتيقن من صحته يحتاج لمؤكد واحد من أجل تصديقه، يسمى بـ « الخبر الطلبي. »[2]
- مخاطَب منكرٌ جاحدٌ لحكم الخبر يحتاج لأكثر من مؤكد لتصديقه، وسُميَّ هذا النوع بـ « الخبر الإنكاري .»[3]

ومن وجوه أهمية المتلقي عند البلاغيين تظهر في ضرورة « حضوره أثناء إنتاج الخطاب »[4]، فعند إنتاج خطاب ما، فهو يعني بأنّه يستهدف متلقي معين- سواء كان حاضرا أم غائبا-، وبالتالي تتحدد مقصدية الخطاب عند حضور المتلقي- جسديا أو معنويا- أو توجهه له وبذلك تتحقق مناسبة الحال لمقتضاه.

ومن التجليات التي يظهر فيها الاهتمام بالمخاطَب:

– « التأدب مع السامع في الكلام »[5]، حتى لا يكون عرضة للإحراج ولا ينفر السامع منه عند التحدث معه، ولأن ذلك يكسبه درجة من التواضع والتلطف مع المتكلم.

– « الحذف والافتراض المسبق »[6]، إذْ يعتبر من أهم مباحث البلاغة– والدرس العربي عامة- فأحيانا يكون الحذف أبلغ من الذكر، ومن أغراضه حث الذهن على العمل والتأمل والتدبر، وحث النفس على التشويق لغموض الأمر، ولكن الحذف يكون بشروط كأن لا يحذف ما هو من العناصر الأساسية للخطاب، وما هو غير معلوم عند السامع فيحدث عدم إفهام وبالتالي يلتبس الأمر على المتلقي فلا يفهم المقصود من الكلام، وبالتالي إغفال غاية الكلام التي تتمثل في الفهم والإفهام والتي بدورها تعتبر أهم عنصر فيه.

✓ **تجليات تداولية الخطاب ذاته في علم البلاغة:** إنّ الخطاب في البلاغة– وأيّ علم من علوم العربية- المادة الأولية والخام التي يتم دراستها وتحليلها من أجل الكشف عن

1- السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص: 170.

2- السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص: 170.

3 - المرجع نفسه، ص: 171.

4- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 180.

5 - المرجع نفسه، ص: 181.

6- المرجع نفسه، ص: 182.

مضامين الكلام بين المتكلم والمخاطَب، وحتى يحقق الخطاب الفهم والإفهام بين متداوليه لابد من مراعاة بعض الشروط في ذلك، نحو ما ذكرنا سالفا من مطابقته لمقتضى الحال، وكذا عدم إهمال المقام الذي يساق فيه الخطاب بصدده، « فمن أجل إحراز المنفعة وفائدة للمخاطب، يوازنُ المتكلم بين المعنى والمخاطب والحال بمقدار »[1] مناسب حتى يتسنى للخطاب الوضوح والبيان في المقصد والمعاني ويترفع عن كل لبس وإبهام.

كانت هذه بعض من علوم اللغة العربية التي قمنا بتبيين سمات التداولية في مباحثها، وكما ذكرنا آنفا فإنّ العلوم العربية اتسمت بالتفكير التداولي نظرا لاهتمام علماء العرب عامة بالخطاب والمتكلم والمخاطب والقصد والمقام، ومحاولتهم للكشف عن العلاقات الجامعة بينهم؛ خاصة أثناء إنتاج الكلام وبعده، وبالتالي فإن الدراسات القديمة كانت ذات طابع تداولي بامتياز.

2-2 التداولية عند الباحثين والمحدثين العرب: أمّا في يومنا هذا فقد جاء بعض المفكرين المحدثين بالتداولية- نحو نظرية مستقلة بذاتها- وقاموا بترجمات للكتب التي تناولتها وتناولت مجالاتها، فحاولوا من جهة البحث في هذا العلم ودراسته ومعرفة ماهيته وأهم المبادئ التي اعتمد عليها رواد هذه النظرية، ومن جهة أخرى حاولوا إسقاط مبادئ هذا العلم على اللغة العربية وإلى أيّ مدى يمكن أن تتوافق هذه النظرية معها، كما حاولوا أن يبرزوا تجليات التداولية في الفكر العربي القديم وتبيين مواطن تواجده في علوم التراث، ولعل من أبرز هؤلاء العلماء: **أحمد المتوكل، ومسعود صحراوي، وطه عبد الرحمن، وخليفة بوجادي، وصلاح فضل**، وغيرهم من المفكرين الذين سعوا جاهدين للبحث في هذا المنهج الجديد ومعرفة أهم المبادئ التي يرتكز عليها، مع محاولة مقاربته من خلال دراسات العلماء العرب في القديم.

2-2-1 طه عبد الرحمن: "الأستاذ والفيلسوف المغربي" إذ يعتبر « من أحد المفكرين العرب والمسلمين الأوائل الذين حاولوا التعريف بالفكر التداولي وتطبيقه في بعض المناحي الثقافة العربية الإسلامية كما كان له الفضل في وضع مصطلح التداولية المقابل للفظ الأجنبي Pragmatics، ومما لاشك فيه قد حضي المصطلح بالإجماع والتداول.»[2]

1- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 195.

2- إدريس مقبول، **الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في ممارسة التراثية العربية**، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 1432هـ، 2011م، ط01، ص:7،8.

2-2-2 أحمد المتوكل: "المفكر المغربي" هو الآخر المتبني لهذا العلم، إذْ « يستعمل الوظيفية والتداولية بمفهوم واحد »[1]، ومن بين المؤلفات الدالة على ذلك نجد له: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، وغيرها من المؤلفات التي تعكس اهتماماته بدراسة اللغة العربية في ظل العلوم الغربية المعاصرة (التداولية واللسانيات الوظيفية...).

2-2-3 مسعود صحراوي: "مفكر جزائري" الذي له من الأعمال ما يدل على اهتمامه بدراسة اللغة العربية وإحيائها من خلال الدراسات الغربية المعاصرة، ومن أشهر مؤلفاته التداولية عند العلماء العرب؛ والذي ألفه من أجل « توضيح لطلاب اللسانيات خصوصا والقراء عموما، كيف جرى استثمار أبرز مفاهيم التداولية في قراءة الموروث اللساني العربي عبر حقول معرفية متعددة، كعلم البلاغة وعلم النحو وعلم أصول الفقه....».[2]

2-2-4 تمّام حسان: "اللغوي المصري"، ومن أشهر مؤلفاته اللغة العربية معناها ومبناها؛ والذي « نهج فيه منهجا وصفيا وظيفيا في تحليل التراكيب اللغوية للوصول إلى المعنى الذي جعله غاية الدرس اللغوي، ولقد تأثر في ذلك بنظرية سياق الحال لدى فيرث، وقد أطلق عليها تمّام بالمقام، وجعل السياق اللغوي موازيا له؛ وأطلق عليه المقال. »[3]

كانوا هؤلاء مجموعة من المفكرين العرب، منهم من حاول تبني هذا العلم الغربي، ومنهم من حاول التجديد في الدرس العربي بإسقاط هذا العلم الغربي عليه، ومنهم كذلك من جعله انطلاقة لاكتشاف سمات هذا العلم في طيات الدرس العربي، والبرهنة على أسبقية العرب لهذا المنهج.

وعليه لم تكن نشأة التداولية في الدرس العربي القديم كما عهدته في الدراسات الغربية، إذ لم تكن نظرية مستقلة بذاتها، وإنما كانت – التداولية – عبارة عن تفكير يسري في روح كل علم من علوم اللغة العربية، فما تهتم به التداولية اليوم من مبادئ وأساسيات كان عند علماء العرب في القديم من أولويات اهتماماتهم في البحث اللغوي، وهذا ما نجد المفكرين العرب المحدثين يسعون إلى الكشف عليه وإثباته.

1- جميل حمداوي، **التداوليات وتحليل الخطاب**، مكتبة المثقف، 2015 م، ط01، ص: 7.

2- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 11.

3- صالح شاهين، **النظرية التداولية**، ص:121، 122.

المبحث الثاني: عناصر التداولية ومحاورها.

1- مفهوم التداولية:

1-1 التداولية لغةً: يقابل مصطلح **التداولية** في اللغات الأجنبية لفظ: «Pragmatique في اللغة الفرنسية ويدل على معنيين: **محسوس وملائم للحقيقة** أمّا في اللغة الإنجليزية التي كتبت أغلب النصوص بها فيقابلها مصطلح Pragmatic، ويدل هذا اللفظ على **ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقة**»[1]، وهو لفظ ذو أصل يوناني مشتق من Pragma وتعني الحركة أو الفعل Action.

ولقد تُرجم مصطلح Pragmatique في اللغة العربية إلى عدة مصطلحات من بينها: «**الذرائعية، والتداولية، والبراكماتية، والوظيفية، والاستعمالية، والنفعية، والتبادلية** ... إلا أنّ المصطلح المفضل في الاستعمال هو **التداولية**؛ لأنه معتمد عليه -في الغالب- من قبل الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة، ومن جهة أخرى لأنه يدل على التفاعل والتحاور والتخاطب والتداول والتواصل بين الأطراف المتلفظة للغة»[2]، فبالتالي اللفظ يناسب ما استعمل له.

وإذا جئنا للتداولية من ناحية تركيبة لفظها، نجدها مصطلح مركب من وحدتين إحداهما معجمية **تداول**، والأخرى صرفية **ية** دالة على مصدر صناعي.

إنّ كلمة **تداول** مادتها في المعاجم العربية من الجذر "**د.و.ل**"، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة، « دول: الدال والواو واللام أصلان: الأول يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضَعف واسترخاء، فأما الأول فقال أهل اللغة: أن دال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال بل الدُّولة في المال و الدَّولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب لأنه أمر يتداولونه، فيتحولوا من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا، وأمّا الأصل **الآخر** فالدَّويلُ من النَّبت: ما يبس لعامِهِ. قال أبو زيد: دال الثوب يدول، إذا بلى، وقد جعل وُدُّهُ يدول أي يبلى، ومن هذا الباب اندال بطنه، أي استرخى.»[3]

1- فيليب بلانشيه، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، تر، صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، 2007، ط01، ص: 17.

2 ـ جميل حمداوي، **التداوليات وتحليل الخطاب**، ص: 6.

3- أحمد بن فارس بن زكريا، **مقاييس اللغة**، تح، ض، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ، 1979 م، **(د.ط)**،ج 2، ص: 314، 315.

وجاء في لسان العرب لابن منظور: « دول: الدَّولة و الدُّولة: العقبة في المال والحرب سواء، والجمع دُولٌ ودَولُ، و قال الزجاج: الدُّولة اسم الشيء الذي يتداول، والدَّولة الفعل والانتقال من حال إلى حال.»[1]

ومن خلال التعريف اللغوي يتجلى لنا أن لفظ **دول** يكاد ينحصر في النقاط التالية:

-التحول والانتقال، سواء في المال يُتداول بين هذا وذاك، أي يتم صرفه وقضاء الحاجة به، كما أن التحول والانتقال ينطبق على الحرب، فعند اندلاع الحرب تقوم قبيلة بغزو قبيلة أخرى، وبالتالي الانتقال من مكان إلى مكان آخر والتحول عنه.

- وهو أيضا التحول إذا انتقل القوم من مكان إلى مكان، وهذا أمر معروف عند البدو الذين قد عُرفوا بالتِّرحال من أجل طلب العيش فكلما كان هناك ماء وكلأ تحولوا وانتقلوا للسكن بجانبه.

- والتداول في الأشياء إذا صارت بين قوم وقوم، وهو بأن يستعير شخص من الآخر غرضا ما ليقضي حاجته ثم يقوم بإعادته له ونحو ذلك.

هذا كان التعريف اللغوي لمصطلح التداولية التي تنحدر من الجذر اللغوي **دول**، أما التعريف الاصطلاحي فهو ما يلي:

2-1 التداولية اصطلاحا: شهدت التداولية في بداياتها عدم وضوح في المفهوم وتعددا في التعريفات تختلف باختلاف المرجعيات التي انطلقت منها، إلا أنّه مع بيان معالم هذا العلم ومبادئه كان اتفاق أغلبية المفكرين على تعريف التداولية أنّها علم استعمال اللغة، ولعل من أبرز التعريفات ما جاء به جورج يول George Yule؛ حيث أنّه قدم لها عدة تعريفات انطلق فيها من خلال مرجعيات وخلفيات للتداولية، فهو يرى بأن :

- « التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم »[2]؛ أي أنها تقوم بالكشف على ما يحيل إليه المتكلم بألفاظه وعباراته أثناء الكلام، أكثر من معاني الكلمات والألفاظ المنفصلة عن الكلام المنظوم، وبالتالي الأخذ بعين الاعتبار مقصدية المتكلم وغايته في إبلاغ المعاني للمتلقي.

1- محمد بن المكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (**د.ط – د.س**)، مج11، ص: 252.

2- جورج يول، **التداولية** PRAGMATICS، تر، قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، دار الآمان، الرباط، 1431 هـ، 2010 م، ط01، ص: 19.

- « التداولية دراسة المعنى السياقي»[1]، وذلك من خلال مراعاة السياق الذي ينظم فيه القول ومناسبته له، يُمكن لنا تَبيُّن المعنى الذي يريد المتكلم إبلاغه، كما يمكن لنا الكشف عن ظرفية الكلام المنظوم (أين ومتى).
- «التداولية دراسة كيفية الإيصال أكثر مما يقال»[2]، فهي تتمحور حول المستمع ومدى قابلية إدراكه وفهمه للكلام، بالتالي هي تركز على نجاعة تلقي الخطاب ونجاح عملية التواصل بين الطرفين: المتكلم والمستمع، أو كما يقول عنها جورج يول « دراسة المعنى غير المرئي invisible meaning.»[3]
- « التداولية هي دراسة التعبير عن التباعد النسبي »[4]؛ أي أنها تنظر إلى ما يقال وإلى ما لم يتم قوله انطلاقا من تحديد مدى توافق في الخبرة المشتركة بين المتكلم والسامع، وذلك في ظل مستوى القرب المادي والاجتماعي والثقافي بينهما وما نحو ذلك.

إنّ الأمر البيّن في التعريفات التي قدمها لنا جورج يول هي؛ أنّه قام بتحديد مفهوم التداولية بناء على مجموعة من الخلفيات التي ترتبط بها، نحو ربطها بمقصدية المتكلم، وبالسياق المنظوم فيه الكلام، وبتجاوز المقول إلى المسكوت عنه، وبالتباعد النسبي بين المتكلم والسامع، أو بالأحرى مدى توافق الكفايات والأحوال بين طرفي الخطاب.

كما نجد مسعود صحراوي يرى أنّ قبل تحديد مفهوم التداولية من اللائق طرح التساؤل حول المعيار الذي يصلح أن يكون الضابط لتحديد مفهوم التداولية، مثل: **على أيّ معيار تَحددَ هذا المفهوم؟ وهل تحدد بناء على البنية اللغوية؟ وهل نحدده على معيار الاستعمال اللغوي وحده؟ هل نحدده بناء على تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها؟**[5]، كما أنّ من رأيه عند تحديد مفهوم التداولية ينبغي الانطلاق من علاقاتها بالحقول المعرفية الأخرى؛ حيث يرى أنّ التداولية تمثل حلقة

1- جورج يول، **التداولية**، ص: 19.

2 ـ المرجع نفسه، ص: 19.

3- المرجع نفسه، ص: 19.

4- المرجع نفسه، ص: 20.

5- ينظر، حافظ إسماعيل علوي، **التداوليات، علم استعمال اللغة**، عالم الكتب الحديث، إربد، جدار للكتاب العالمي، الأردن، 2014، ط02، ص: 31.

وصل مهمة بين حقول معرفية عديدة، منها الفلسفة التحليلية الممثلة في فلسفة اللغة العادية، وعلم النفس المعرفي ممثل في نظرية الملاءمة على وجه الخصوص، وعلوم التواصل ....[1]

وعليه نلاحظ أنّ مسعود صحراوي يحاول التمهيد للتداولية قبل أن يقوم بتعريفها، ذلك من خلال توضيح علائق هذا العلم بغيره من العلوم، وحتى يرفع اللبس عن تداخل هذا المفهوم بغيره من المفاهيم المقاربة له، ومنه ينتقل مسعود صحراوي لتعريف التداولية بأنها: نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية، فالتداولية تدرس اللغة بوصفها علما تخاطبيا تواصليا يعنى بالأبعاد الخطابية والاستعمالية للغة.[2]

إنّ هذا التعريف يعكس الجانب الوظيفي للتداولية؛ إذْ يربطها مسعود صحراوي بمجموعة من المفاهيم منها النسق المعرفي، سياق التلفظ، أحوال التخاطب والتواصل، وتعتبر كل هذه المفاهيم أهداف وغايات تسعى التداولية إلى بلوغها وتحقيقها.

كما نستشف من هذا التعريف أنّ التداولية في منظور مسعود صحراوي تعنى بدراسة اللغة خلال استعمالها وإنتاج الخطاب بمعايير هي، مراعاة النسق والسياق الذي تنبني عليه الألفاظ، ومراعاة أحوال السامعين من أجل حسن التلقي للمقصود من الكلام، وبالتالي تحقيق التواصل في ظروف ملائمة.

إلى هنا نصل إلى أنّ التداولية هي بالفعل ذلك العلم الذي يدرس استعمال اللغة ويبحث في مقاصدها، وذلك نظرا لما تقدمه من عناية في دراسة لغة الكلام الملفوظ، فهي تراعي ظرفية إنتاجه والسياق الذي نظم فيه، والقصد الناجم عنه.

1- ينظر، حافظ إسماعيل علوي، **التداوليات، علم استعمال اللغة**، ص: 32.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص: 32.

2- عناصر التداولية:

2-1 المقام: يعتبر المقام من أهم القضايا التي عنيت بها البلاغة العربية في القديم، فمن أشهر المقولات عند علماء البلاغة **لكل مقام مقال**؛ ما يعني أنّه على المتكلم حسن اختيار ألفاظه ونظمها أثناء الكلام بما يناسب الموضوع الذي قيلت فيه، ذلك أنّ المقامات متفاوتة فيما بينها، « فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ... جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر.»[1] ولو أتينا على تعريف البلاغة فهي: « مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.»[2] لوجدنا أنها تندد بضرورة مراعاة المقام عند التكلم، والأخذ بعين الاعتبار مناسبته للحدث الذي نظم فيه، وكذلك لا ننسى منزلة السامع وحسن إفهامه؛ حيث أنّ السكاكي يقول في هذا الباب: « إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال....»[3]

يستبين من كلام السكاكي أنّه عند البدء في الكلام يستوجب أن نراعي ألفاظنا وما تقتضيه من مناسبة للموقف والحدث الذي نكون بصدده؛ أي الأخذ بعين الاعتبار المقام الذي يوفي الكلام حقه ويوضح مدلوله.

ومما هو ملاحظ أنّ المقام هو المحور الذي تدور حوله البلاغة العربية، كما هو الحال مع السياق الذي يعتبر المحور الذي تدور حوله التداولية، فما هو معروف بالسياق في التداولية كان معروف بالمقام في البلاغة العربية القديمة[4]، وهذا يبرز ملامح التفكير التداولي في الدرس العربي -البلاغة- وتواجده في ثنايا علومه.

2-2 أسباب النزول: إنّ أسباب نزول القرآن هي أحد اهتمامات العلماء العرب خاصة المفسرين منهم، حيث تساعد على تفسير الآية وتوضيح المعنى والقصد الذي ترمي له، فلقد جاء في تعريف سبب النزول: «ما نزل القرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال»[5]، فقد صحب بعض آيٍّ القرآن

1- السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص: 168.

2- الخطيب القزويني، **التلخيص في علوم البلاغة**، ض، ش، عبد الرحمن برقوقي، دار الفكر العربي، 1904، ط: 01، ص: 33.

3- السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص: 33.

4 ـ ينظر، حافظ علوي، **التداوليات**، ص: 74.

5 ـ مناع خليل القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1955، ط07، ص: 74.

الكريم أسبابا في النزول، فيكون إمّا لواقعة حدثتْ فيُنزل الله على إثرها آية نحو: الذي روي عن ابن عباس قال: ... خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك إنما جمعتنا لهذا؟ ثم قام: فنزلت هذه السورة[1]، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.[2]

وقد يكون سبب النزول كما سبق الذكر هو أنْ يُسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم فتنزل الآية لبيانه، « عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول: يا سول الله، أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني! اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما بَرِحتْ حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[3]، وهو أوس بن الصامت»[4]، وليس القرآن كله نزل على سبب، فمن الآيات ما نزلت ابتداء في التوحيد والعقيدة والتشريع وما نحو ذلك، قال الجعبري: « نزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة، أو لسؤال.» [5]

ومن أهمية أسباب النزول:

- بيان الحكمة من تشريع الأحكام ومراعاتها أثناء إطلاق الأحكام للمصالح العامة.
- تخصيص الحكم به إن كان عام.
- الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال؛ إذ يقول ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»، وغيرها من الفوائد.[6]

---

1. ينظر، مناع خليل القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص: 73.

2 ـ سورة **المسد**، الآية: 01.

3ـ سورة **المجادلة**، الآية: 01.

4 ـ مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص: 73، 74.

5 ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تح، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مملكة العربية السعودية، ج01، ص: 189.

6ـ ينظر، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ص:191،192.

في حين تكمن القيمة التداولية لأسباب النزول في كونها تزيد من وضوح القصد من الآية الكريمة، وتحدد الزمن والظروف التي نزلت فيها هذه الآية المباركة، ويمكن اختصار القول بأنّ أسباب النزول بمثابة السياق في التداولية؛ فهي عندما تقوم بتحليل لغة الكلام تقوم مبدئيا بتحديد الإطار العام للقول الذي يشمل زمان الخطاب ومكانه وهوية المرسل وهوية المستقبل وعلاقتهما بعضهما ببعض[1]، وهذا ما تعمل عليه أسباب النزول من توضيح؛ نحو: في من نزلت الآية الكريمة؟ وأين نزلت؟ ومتى نزلت؟ ولماذا نزلت؟.

2-3 السياق: السياق هو أحد أهم ركائز التداولية، وآلية من آلياتها التي تعتمد عليه أثناء تحليلها للغة ودراستها لها، ذلك أنّه يهتم بزمان الخطاب ومكانه الذي أنتج فيهما، ويراعي المخاطِب والمخاطَب وظرفية كل منهما.

حيث يذهب صابر الحباشة إلى أنّ السياق «هو الذي ترتبط به الجمل وهو نفسه الذي يستعمل في تحليل الأعمال اللغوية، وتعلن ضمنه قواعد منطق المحادثة»[2]؛ أيّ أنّه يتم تحديد ماهية الكلام انطلاقا من توضيح السياق والإبانة عن الظرفية المحيطة بالخطاب، إذ أنّه يتيح للمتكلم فرصة اختيار ألفاظه المناسبة للمقام من جهة كما يقوم على مساعدة المتلقي في الكشف عن المقصود من الكلام الموجه له من جهة أخرى، وعليه للسياق دور كبير في فهم الكلام انطلاقا من تحديد عناصره الأساسية: المتكلم، والمخاطَب، والمشاركون، والموضوع، والقناة، والمقام، والسنن ... حسب هايمس.[3]

إذن إنّ السياق هو ذلك المفتاح الذي يفتح الخطاب على مصرعيه للمتلقي، ويكون بذلك العتبة الأولى التي يتسنى بها المتلقي لفهم المقصود من الخطاب، كما يساعد المتلقي على معرفة زمان ومكان إنتاج الخطاب؛ بل ويحدد المرجعية والخلفية المعتمدة فيه، وهذا ما يراه كل من سبربر وولسن بأنّ «السياق ليس أمر معطى دفعة واحدة، إنما يتشكل قولا إثر قول.»[4]

2-4 القصد: يعتبر القصد من بين العناصر التي تهدف التداولية لتحديدها، وذلك حتى تتمكن من استخراج معاني الكلام سطحية كانت أم عميقة، ونجد غرايس يربط القصد بمفهوم الدلالة غير الطبيعية حيث أنّه يقول في تعريفها: « أنّ نقول إنّ القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة،

1- ينظر، إدريس مقبول، **الأفق التداولي**، ص: 39.

2 - صابر الحباشة، **الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني**، الدار المتوسطية، تونس، 2009 م، 1430 هـ، ط01، ص: 179.

3- ينظر، محمد خطابي، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، 1991، ط1، ص:197.

4- آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، ص: 77.

فذلك يعني أنّ هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطِبه بفضل فهم هذا المخاطَب لنيته.»[1]

إنّ ما نلاحظه من خلال هذا التعريف هو أنّ غرايس يركز بشكل كبير على نية المتكلم أثناء الكلام؛ إذْ أنّه يربط قصد القائل بنيته، ويبتغي بها التأثير في مخاطِبه، وبالتالي نية المتكلم لها دور كبير في تحديد المقصد الذي يرمي إليه من أجل إفهام المتلقي، وتحمل في طياتها معنى الخطاب والرسالة التي يسعى إليها المخاطِب إلى توجيهها للمخاطَب، ومنه القصد هو أساس النظرية التداولية عند التداوليين، وهو الهدف والغاية، كما هو مبني على فهم المتلقي لا مراد المتكلم.[2]

وهكذا احتل القصد أهمية كبيرة في الدرس التداولي، فمعرفة قصد المتكلم أثناء الكلام يرفع اللبس والإبهام عن الخطاب، كما تجلى لنا أنّ القصد هو الغاية التي تسعى إليها التداولية، من أجل بلوغها خلال دراستها لاستعمال اللغة.

2-5 المرجعية: تعتبر المرجعية عنصر مهم في العملية التواصلية التخاطبية، فهي تساعد في الكشف عن القصد من الكلام وتعين في الفهم والإفهام، وهي تعتبر أيضا تلك المعارف المعهودة بين المتكلم والمتلقي، أو تلك المكتسبات والخبرات لدى المتكلم التي يجعل منها منطلقا له في خطابه.

كما جاء في تعريفها « ما نعني بها العلاقة المرجعية بين العناصر، ويمكن هنا أن نستعمل المصطلح النحوي العربي "العاملية"، فوجود عنصر في اللغة ليس اعتباطا بل هو محدد من طرف من العناصر التي سبقته أو تلك التي ستلحق به»[3]، ما نلاحظه من خلال هذا التعريف هو أنّ كل عنصر في اللغة هو مرتبط بما سبقه أو بما سيلحقه.

وإذا نظرنا إلى اللغة نجدها تتألف من دال ومدلول؛ والعلاقة التي تجمع بينهما هي التي تدعى بالمرجع، ومنه عندما يتكلم المتكلم فهو يستخدم ألفاظ ذات معاني محددة، هذه المعاني تحمل في طياتها إحالات معينة، يفهمها المتلقي من خلال ما يشاركه مع المتكلم من معارف وخبرات معهودة بينهم، فإذا اختلفت التبس الأمر على المتلقي وهذا قد يؤدي إلى سوء الفهم.

1- آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، ص: 53.

2- ينظر، محمود عكاشة، **النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ**، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013، ط01، ص: 31.

3- نعمان بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب**، جدار للكتاب العالمي، عمان، لأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 1429 هـ، 2009 م، ط01، ص: 135.

من خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ للمرجعية بعد تداولي، تساعد على دراسة اللغة في الاستعمال، فبالمرجع يستطيع المتلقي أن يصل إلى قصد المتكلم وأن يعرف ما يريد قوله، وعليه تعتبر المرجعية «القاعدة الأساس لكل اتصال وتواصل؛ فهي التي تحدد العلاقة بين الملفوظ والموضوع الذي تحيل إليه، وتدل على سيرورة العلاقة بين الملفوظ والمرجع.»[1]

2-6 ملابسات الخطاب: تتجلى ملابسات الخطاب في: « أنّ الخطاب الطبيعي يتكون من ألفاظ تحتمل معاني متعددة، سواء بأن يطلق على اللفظ الواحد تسميات مختلفة ويدل به على معان متعددة؛ أو أن يصعب تحديد مسمى واحد للملفوظ بمعنى كامل ودقيق.»[2]

وما يتبادر إلينا من خلال هذا التعريف هو أنّ الخطاب بطبيعته يتميز بنوعين من الحالات، إمّا أن يكون هناك تعدد في الألفاظ لمعنى واحد أو أن يكون هناك تعدد في المعاني للفظ الواحد، وفي هذا إنْ لم نحسن الاختيار فيه وقع اللبس وحصل الإبهام.

وهنا تكمن القيمة التداولية لملابسات الخطاب؛ إذ أنّ التداولية تأتي من أجل رفع اللبس عن الخطاب مع محاولة تحديد المقصود منه بدقة أكثر، فهي تعمل على الكشف عن المعنى الظاهر وكذلك تبحث عن المعنى الخفي بين السطور.

وصحيح أنّ ملابسات الخطاب تَعرِف هذا التعدد في الألفاظ للمعنى الواحد أو عدم احتواء المعاني للمفوظ الواحد، إلا أنّ هذا لا يعتبر نقصا، بل ميزة تكتسب طواعية من أجل الاستجابة لأغراض التبليغ التي لا تحصى.[3]

كانت هذه مجموعة من العناصر التي اعتمدت عليها التداولية أثناء دراستها لاستعمال اللغة، والمفاتيح التي تكشف بها عن المعاني والمقاصد المنطوية داخل الخطابات.

3- محاور التداولية: بعد تطور البحث في التداولية واتساع الدراسة فيها، تفرعت عنها مجالات ومحاور تعددت من باحث لآخر لكنها شملت أغلبها: الإشاريات، الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، نظرية أفعال الكلام، نظرية الملاءمة، وعليه سنقوم بالتطرق لكل محور على حدة.

3-1 الإشاريات (الإشارة – التأشير) deixis: إنّ لفظ إشاريات هو اختصار لكلمة إشارة، ويعتبر هذا المبحث غير مستجد ذلك أنّه كان متناول في الدرس اللغوي من قبل إلا أنّه لم يحظ

1 ـ حمو الحاج ذهبية، **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب**، الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ط2، ص: 104.

2 ـ ينظر، طه عبد الرحمن، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء،المغرب، 2000، ط2، ص: 99.

3 ـ ينظر، المرجع نفسه، ص: 99.

بالعناية اللازمة، لكن مع ظهور الدرس التداولي فقد تم الانفراد به في مبحث خاص وكان « بيرس أول واضع له.»[1]

والإشاريات « عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي متلفظا يتوجه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني محدد»[2].

يستبين من هذا المفهوم أنّ بفضل الإشاريات يمكن لنا تحديد ممن الخطاب؟ وإلى من هو موجه؟، كما يمكن بها تحديد الإطار الزماني والمكاني للخطاب، ويعتبر السياق من أهم الآليات التي تساعدنا على فهم الإشاريات الموجودة في الخطاب، « فإذا قرأت جملة مقتطعة من سياقها مثل: **سوف يقومون بهذا العمل غدا، لأنهم ليسوا هنا الآن**، وجدتها شديدة الغموض لأنها تحوي على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد على تفسيرها اعتمادا تاما على السياق المادي الذي قيلت فيه، ومعرفة المرجع reference الذي تحيل إليه...»[3]، وللسياق دور كبير في الكشف عن المعنى المقصود والمراد تبليغه من هذه العناصر؛ « وذلك أنّ في كل اللغات كلمات وتعبيرات لا يمكن إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عن السياق.»[4]

ونجد أنّ أغلب الباحثون جعلوا للإشاريات خمسة أنواع: إشاريات شخصية، وإشاريات زمانية، وإشاريات مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية أو نصية.

3-1-1 الإشاريات الشخصية: تعتمد الإشاريات الشخصية بشكل كبير وملحوظ على ضمائر الحاضر؛ حيث أنّها تتمثل هذه الأخيرة في الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده نحو: **أنا**، أو المتكلم ومعه غيره نحو: **نحن**، والضمائر الدالة على المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا، مذكرا أو مؤنثا[5]، وتعتبر ضمائر الحاضر في غالبية الأوقات عناصر إشارية، لأنّ مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه؛ أي عند تفسير هذه الضمائر إلى ما تحيل إليه فإننا نعود إلى السياق الذي استعملت فيه حتى نعلم المراد منها، أمّا ضمير الغائب فلا يدخل في الإشاريات إلا إذا كان حرا لا

1 ـ محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 16.

2 ـ جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 76.

3 ـ محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 16.

4 ـ خديجة محفوظ محمد الشنقيطي، **المنحى التداولي، في التراث اللغوي، الأمر والاستفهام نموذجين**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، ص: 30.

5 ـ ينظر، محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 17، 18.

يعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات.[1]

3-1-2 الإشاريات الزمانية: تتمثل الإشاريات الزمانية في كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم الذي هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام ... فقولك: بعد أسبوع يختلف مرجعها عن بعد شهر أو اليوم.[2]

وعليه يتضح لنا أنّ مثل هذه العناصر الإشارية لا يمكن تفسيرها ولا تحليلها إلا بالعودة إلى زمان التكلم، فإذا لم يتم التعرف على هذا الأخير التبس الأمر على السامع في فهم الزمن الذي قيل فيه الخطاب.

3-1-3 الإشاريات المكانية: هي عناصر إشارية دالة على أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم، أو على مكان معروف آخر لدى السامع؛ أي أنّ معرفة المكان المشار إليه أثناء التكلم تساعد على تحديد مقصدية المتكلم وسياق الكلام.[3]

حيث أنّه لا يمكن تفسير كلمات من قبيل: هذا وذاك، هنا وهناك ونحو ذلك، إلا إذا تم الوقوف على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فحال المكان من حال الزمان، لا يتم التعرف على مرجع الإشارة فيه إلا بالعودة إلى السياق المرتبط به، **كقولك:** أحب العمل **هنا**، فهل تعني: المكتب، المؤسسة، المدينة، البلد وما إلى ذلك، فكلمة **هنا** تعبير إشاري لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة قصد المتكلم من المكان الذي يشير إليه.[4]

3-1-4 إشاريات الخطاب: قد تلتبس إشاريات الخطاب بالإحالة إلى سابق أو لاحق، لذلك هناك من أسقطها من الإشاريات، إلا أنّ هناك من ميّز بين النوعين، فرأى أنّ الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه مثل، **زيد كريم** و **هو** ابن كرام، فالمرجع الذي يعود إليه **زيد** و **هو** مرجع واحد، أمّا إشاريات الخطاب قد لا تحيل إلى ذات المرجع؛ بل تخلق المرجع، فإذا كنت تروي قصة ثم ذكرتكَ بقصة أخرى فقد تشير إليها، ثم تتوقف قائلا: لكن تلك قصة أخرى، فهنا تعتبر إشارة إلى مرجع

---

1 ـ ينظر، محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 18.

2 ـ ينظر، المرجع نفسه، ص: 19.

3 ـ ينظر، المرجع نفسه، ص: 21.

4 ـ ينظر، المرجع نفسه، ص: 22.

جديد، إلا أنّ إشاريات النص والإحالة إلى عنصر فيه، ليس حاسما؛ ذلك أنّ الإحالة هي ضرب من إشاريات النص أو هي أساس فيها.[1]

ومن خلال هذا التوضيح نستنتج أنّ الإشاريات الخطابية تختلف عن الإحالة؛ ذلك لأنها تخلق لنفسها مرجع جديد فيكون بذلك انطلاقة تساعد في تحديد سياق الكلام، بيد أنّها تبقى بين مؤيد ومنكرٍ لها.

3-1-5 الإشاريات الاجتماعية: إنّ الإشاريات الاجتماعية عبارة عن ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين من حيث هي علاقة رسمية، أو علاقة ألفة ومودة[2]؛ أي أنّها تتمثل في تلك الألفاظ التي تصف العلاقات بين الأشخاص لتكون بذلك هذه الألفاظ عبارة عن عناصر إشارية في الخطاب، وتصنف هذه الألفاظ حسب العلاقات التي تجمع الأفراد مع بعض، وهي تتأرجح بين نوعين كما سبق الذكر، علاقات رسمية وعلاقات غير رسمية؛ أي شخصية.

3-2 الافتراض المسبق (الاقتضاء) Presupposition: إنّ التكلم على الافتراض المسبق هو التكلم عن المعرفة المشتركة بين المتكلم والسامع، حيث « يوجه المتكلم حديثه إلى المتلقي، على أساس مما يفترضه سلفا أنه معلوم له.» [3]

وأمثلة ذلك: "في الملفوظ(1)، مثلا: (1)- أغلق النافذة.

في الملفوظ (2)، مثلا: (2)- لا تغلق النافذة.

في الملفوظين كليهما هناك «خلفية افتراض مسبق، مضمونها أنّ **النافذة مفتوحة**.»[4]

نلاحظ أنّ جملة "**النافذة مفتوحة**" معلومة مشتركة عند كل من المتكلم والمتلقي، وكما يبدو لنا أنّ المتكلم في مرتبة الآمر (ففي الملفوظ الأول أسلوب الأمر وفي الملفوظ الثاني أسلوب النهي)، وما نستنتجه أنّ الافتراض المسبق هو ما يسبق قوله قبل الكلام عند المتكلم، وما يستلزم أنْ يكون معلوم عند المتلقي، وبالتالي هو « موجود عند المتكلمين وليس في الجمل.»[5]

---

1 ينظر، محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 24.

2 ينظر، المرجع نفسه، ص: 25.

3 ـ خديجة شنقيطي، **المنحى التداولي**، ص: 30.

4 ـ مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 31.

5 ـ جورج يول، **التداولية**، ص: 51.

3-3 الاستلزام الحواري Conversational implicature: يعتبر الاستلزام الحواري من أهم محاور التداولية التي تقوم عليها خلال دراستها لاستعمال اللغة، حيث أنّه ظهر هذا المبحث على يد الفيلسوف الأمريكي **جرايس***، وذلك من خلال محاضرات ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1968 قدَّم فيها بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس، والأسس المنهجية التي تقوم عليه، حيث تمثل تصوره، أّن النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، وجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين **ما يقال** what is said، **وما يقصد** what is meant ... فأراد أن يُقيمَ مَعبَرًا بين ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله من معنى متضمن، ومنه نشأت عنده فكرة الاستلزام.[1]

ومن أجل أن يصف هذه الظاهرة اللغوية قام جرايس« باقتراح **نظرية المحادثة** سنة 1975، التي تنّص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون)، وبمسلمات حوارية »[2]، ويتمثل مبدأ التعاون وفروعه فيما يلي:

مبدأ التعاون: اجعل مساهماتك في المحادثة كما يتطلب منها أن تكون، في مرحلة ورودها، وفقا للغرض المقبول أو اتجاه تبادل الحديث الذي تخوضه، ويتفرع مبدأ التعاون إلى أربعة مبادئ ثانوية؛ تتمثل فيما يلي:

مبدأ الكم Quantity:

- اجعل مساهماتك إخبارية بقدر ما يتطلب الأمر (لأغراض التبادل الآنية).
- لا تجعل مساهماتك إخبارية بقدر يفوق المطلوب.

مبدأ النوع Quality: حاول أن تجعل مساهماتك من النوع الذي يوسم بالصحة.

- لا تقل ما تعتقده كذبا.
- لا تقل شيئا يعوزه عندك دليل كاف.

مبدأ العلاقة Relation: كن وثيق الصلة (بالموضوع).

مبدأ الحال Manner: كن واضحا.

---

* من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية natural language. ينظر: محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 32.

1 ـ ينظر، محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 32،33.

2 ـ مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 33.

- تجنب استبهام التعبير.
- تجنب الغموض.
- كن موجزا (تجنب الإطناب غير الضروري).
- كن منتظما.[1]

حيث يحصل الاستلزام الحواري عندما يتم خرق مبدأ من المبادئ الأربعة لمبدأ التعاون، ومن أجل توضيح ذلك، نأتي بالمثال الموالي:

الأستاذ(1): هل **الطالب** مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

الأستاذ(2): إنّ **الطالب** لاعب كرة **ممتاز**.[2]

الملاحظ من الحوار؛ هي أنّ إجابة الأستاذ (2) تحمل معنيين: مصرح وضمني، فأمّا المصرح هو أنّ الطالب فعلا لاعب كرة **ممتاز**، والضمني هو أنّ الطالب غير مستعد للدراسة بقسم الفلسفة، وبالتالي الإجابة، **إنّ الطالب لاعب كرة ممتاز**، تستلزم حواريا معنى الطالب غير مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة، وهنا تم خرق للمبدأ الثالث (**مبدأ العلاقة**: كن وثيق الصلة **بالموضوع**)، ذلك أنّ إجابة الأستاذ (2) لا تلائم السؤال الذي طرحه الأستاذ (1).

3-4 نظرية أفعال الكلام: Speech acts theory تعتبر نظرية أفعال الكلام من أهم القضايا التي عالجتها التداولية، ويعتبر أوستين المنظر لهذه النظرية، مع تلميذه سيرل.

فالفعل الكلامي هو: « كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري »[3]؛ ومعناه أنّ المتكلم عند الكلام هو لا يتكلم فقط من أجل التحاور مع السامع؛ بل الأمر يتعدى ذلك إلى أنْ ينجز فعلا في نفس الوقت، « فإذا كنت تعمل في مكان يكون للمدير فيه قدر كبير من السلطة، فإنّ قول المدير للتعبير **أنت مطرود** يفوق الجملة الخبرية؛ ذلك أنّ اللفظ المستعمل هو لإنجاز فعل إنهاء وظيفتك.»[4]

1 - جورج يول، **التداولية**، ص: 68.

2 - ينظر، مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 33،34.

3 - المرجع نفسه، ص: 40.

4 - جورج يول، **التداولية**، ص: 81.

وقد جعل أوستين لأفعال كلام تقسيمات ثلاثة؛ وهي:

- فعل القول Locutionary act: يراد به التلفظ بقول ما استنادا إلى جملة من القواعد الصوتية والتركيبية التي تضبط استعمال اللغة.
- فعل الإنجاز Illocutionary act: ويراد به القصد من الذي يرمي إليه المتكلم من فعل القول، كالوعد والاستفهام والنهي...
- فعل التأثير Perlocutionaryact: يراد به التأثير الذي يحدثه فعل الإنجاز في المخاطَب، فيدفعه إلى التصرف بهذه الطريقة أو تلك.[1]

وبالرغم من الذي قدمه أوستين من جهود حول نظرية أفعال الكلام؛ إلا أنها لم تكن كافية للقيام بنظرية أفعال الكلام قياما كاملا، بيد أنّ هذه الجهود تظل اللبنة الأولى من أجل تحديد المفاهيم الأولية لها، ثم جاء بعد أوستين تلميذه جون سيرل الذي أعاد النظر في جهد أستاذه، ذلك من خلال محورين متكاملين، الأول خصصه لتحليل شروط نجاح الفعل الكلامي، والآخر مداره حول اقتراح نمذجة عامة لأفعال الكلام.[2]

والجدير بالذكر أنّ سيرل خلال تقسيمه لأفعال الكلام أضاف فعلا آخر على الذي جاء به أستاذه أوستين وهو الفعل القضوي، كما أنّه قام بالتمييز بين أفعال كلامية مباشرة وأفعال كلام غير مباشرة، وقد قام بإضافة مبدأ يسمى بمبدأ التعبيرية ينص فيه على أنّه كل ما ننوي قوله يمكن أن يقال.[3]

3- 5 نظرية الملاءمة Théorie de la pertinence: تعد نظرية الملاءمة نظرية تداولية معرفية، أرسى معالمها كل من البريطاني: ديردر ولسن D.Wilson، والفرنسي دان سبربر .D. Sperber، ومن أهم المبادئ التي تركز عليها المزاوجة بين الترميز والاستدلال في عملية تأويل الخطابات، وذلك بإنتاج مثير واضح للمخاطب، فيسعى إلى جعل مجموعة من الافتراضات واضحة[4]؛ ما يعني أنّ هذه النظرية تعتمد على الرموز في الخطاب؛ لأنها تعين المتلقي على تحليل الخطاب في أقل وقت ممكن، وتهتم بالدلالات التي توحي إليها هذه الرموز فهي تجعل من الخطاب أكثر وضوحا.

1 ـ ينظر، جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 90.

2 ـ ينظر، المرجع نفسه، ص: 91.

3 ـ ينظر، المرجع نفسه، ص: 94.

4 ـ ينظر، خديجة الشنقيطي، **المنحى التداولي**، ص: 32.

كما أنّ «أهم ميزة تتميز بها نظرية الملاءمة تصورها للسياق، فهو لم يعد شيئا معطى بشكل نهائي أو محدد قبل عملية الفهم، وإنما يبنى تبعا لتوالي الأقوال»[1]؛ ما يعني أنّ السياق في نظر هذه النظرية يبنى وفق ما تقتضيه الأقوال وليس حسب ما تتطلبه عملية الفهم.

وعليه إنّ محاور التداولية هي بمثابة الفروع المنبثقة عن الشجرة الأم ألا وهي التداولية، فهي تبحث عن غاياتها، كما تسعى لإدراكها من خلال نظريات ترتكز عليها في ذلك.

وفحوى القول إذن التداولية هي علم دراسة استعمال اللغة بجدارة وأحقية، نظرا لما تراعيه من أحوال المتكلمين والسامعين وكذا الظروف المحيطة بإنتاج الخطاب، وهذا فتح لها مجالا واسعا للتعمق في ماهية الخطاب وقصده، حيث هذا ما لمحناه من المحاور والمباحث التي انطوت تحتهم، فكل كان له لمسته الخاصة التي يكشف فيها عن المعاني الصريحة أو المضمرة في الأقوال التي يتداولها الناس فيما بينهم.

1 ـ مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 38.

المبحث الثالث: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى ودرجاتها.

1- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى: عندما جاءت التداولية لدراسة استعمال اللغة، فتحت على نفسها مجالات معرفية واسعة، حيث كان من الطبيعي أن تحتك التداولية بعلوم أخرى كاللسانيات بما أنّها تظل فرعا من فروعها المتشعبة، وعلم النفس اللغوي وعلم الاجتماع اللغوي، وغيرها من العلوم، ومن أجل رصد علاقات هذه العلوم مع التداولية، سنوضح البعض منها:

1-1 علاقة التداولية باللسانيات: تعتبر اللسانيات المنطلق لمعظم المناهج والنظريات التي ظهرت حديثا ومعاصرة في الدراسات الغربية، خاصة بعد الذي جاء به دي سوسير من ثنائيات في محاضراته- التي ألقاها تلامذته بعد وفاته- من بينها ثنائية اللغة والكلام، بيد أنّ اللسانيات كانت مهتمة في دراساتها باللغة، كانت التداولية مهتمة بدراسة الكلام، مما ساق آخرين إلى عد التداولية لسانيات كلام* مقابل لسانيات اللغة التي أوضحها دي سوسير.[1]

إنّ الجلي من هذه العلاقة هي التعارض، حيث أنّه يبدو هناك تقابل بين اللسانيات والتداولية، ومما كان معروف عن التداولية أنها **سلة مهملات اللسانيات؛** حيث كانت اللسانيات البنيوية ترمى فيها كل القضايا الشائكة العويصة، إلا أنّ التداولية جعلت من هذه القضايا موضوعا لها، إذ بدأت به من أجل معالجتها والبحث فيها، وكما ذكرنا سابقا أنّ اللسانيات تبنت اللغة وقامت بتهميش الكلام دون أن توليه دراسة واهتمام، لتأتي التداولية وتقوم بالدراسة عليه.

إذن إنّ العلاقة التي تجمع اللسانيات بالتداولية هي علاقة تقابلية من جهة، وعلاقة تكاملية من جهة أخرى.

1-2 علاقة التداولية بعلم الدلالة Sémantics: يعرف علم الدلالة بـ « دراسة المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى.»[2]

إنّ ما نلاحظه من خلال التعريف أنّ علم الدلالة أثناء دراسته للغة يركز على المعنى الذي تحيل إليه التراكيب اللغوية، إلا أنّ هذا المعنى يكون محدود؛ ذلك أنّ التحليل الدلالي يكون خارج السياق الذي قيل فيه الكلام، وبالتالي علم الدلالة لا يكشف على السياق ولا على القصد الذي يرجوه المتكلم،

---

* لسانيات كلام: مصطلح قد يقيد حدود التداولية ويقوضها. ينظر: خليفة بوجادي، **اللسانيات التداولية**، ص: 123.

1- ينظر، خليفة بوجادي، **اللسانيات التداولية**، ص: 123.

2 _ أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، 1985، ط: 02، 1988، 1991، 1993، 1998، ط01، ط03، ط04، ط05، ص: 11.

وهنا يأتي دور التحليل التداولي من أجل استخراج المعنى، وتحديده وفق السياق المنظوم فيه[1]، وبالتالي تبيان غاية المتكلم من الكلام.

وعليه العلاقة التي تجمع بين علم الدلالة والتداولية علاقة تكاملية، فما لا يستطيع علم الدلالة التوصل إليه (قصد المتكلم) تتوصل إليه التداولية، كما أنّ التداولية هي الأخرى تنطلق من منطلق علم الدلالة؛ أي البحث في المعنى الذي يكمن في الكلام.

1-3 علاقة التداولية بعلم اللغة النفسي: يعتبر علم اللغة النفسي فرع من علم اللغة، يدرس العوامل النفسية والعصبية والعقلية والمعرفية التي تمكن الإنسان من اكتساب اللغة... ولا يطلق على الكلام لغة إلا إذا أدى وظيفة نفسية قائمة على التحليل والتصور ورد الفعل، ولا تدرس اللغة بمعزل عن العوامل النفسية والعقلية والاجتماعية.[2]

الظاهر من الكلام أعلاه، أنّ علم اللغة النفسي يهدف إلى دراسة اللغة من خلال الكشف على الجوانب النفسية والمعرفية والعقلية للمتكلمين؛ أي ربط الجانب السيكولوجي للمتكلم عند تحليل الكلام، وهذا جانب من الجوانب التي أدلت التداولية الاهتمام به، فمعرفة الحالة النفسية للمتكلمين تزيد من تبيان مقاصد الكلام سواء كان مصرحا أو مضمرا بها.

1-4 علاقة التداولية بعلم اللغة الاجتماعي: يعتبر علم اللغة الاجتماعي هو الآخر فرعا من فروع علم اللغة، حيث أنّه يعنى بدراسة اللغة في كنفها الاجتماعي، بمعنى آخر« يدرس اللغة في ضوء المجتمع الذي يستعملها.»[3]

وبالتالي يقوم علم اللغة الاجتماعي بالكشف عن العلاقة التي تربط اللغة بالأفراد في ظل بيئتهم، وعن الانعكاسات التي يخلفها المجتمع في بنية لغة الكلام بدوره، وهذا ما تقوم التداولية بالتركيز عليه أثناء دراستها للغة؛ إذْ تحاول معرفة البيئة الاجتماعية التي بُني فيها الكلام، ومدى تأثره بها، وهنا نلحظ الجانب المشترك بين علم اللغة الاجتماعي والتداولية، وما نوع العلاقة التي تجمع بينهم، حيث أنّهما يقومان بالسعي من أجل توضيح كيفية تأثير العلاقات الاجتماعية في نظم الكلام.

---

1 ـ ينظر، صالح شاهين، **النظرية التداولية**، ص: 29.

2 ـ ينظر، محمود عكاشة، **النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ**، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013، ط01، ص: 75، 76.

3 ـ المرجع نفسه، ص: 70.

1-5 علاقة التداولية بتحليل الخطاب: يعرّف الخطاب بأنه: «متوالية غير اعتباطية من الملفوظات»[1]، معناه أنّ الخطاب يتميز بكونه مقصود يهدف للإخبار والتواصل بين الأفراد.

بينما تحليل الخطاب «يقوم بتحليل استعمالات اللغة... واستخراج المعنى المرتبط بظروف الإنتاج.»[2]

وبالتالي تحليل الخطاب يركز على الوصول إلى المعنى المنطوي بين سطور الخطاب؛ حيث أنّه يولي الاهتمام بـ المتكلم، والسامع، والمقصد، وكذا السياق؛ إذْ أنّ هذه العناصر تساعد أثناء التحليل في الوصول إلى المعنى، وهذا ما تعتمد عليه التداولية أيضا من خلال دراستها لمقاصد المتكلمين سواء كانت صريحة أو ضمنية.

وفي ظل التعالق بين التداولية وتحليل الخطاب، شاع مصطلح تداولية الخطاب؛ حيث أنّ تحليل الخطاب يعتبر الخطاب كونه ظاهرة لسانية، بينما تراه التداولية ظاهرة تداولية، كما أنّ تحليل الخطاب يعتبر الخطاب استجابة لمجموعة من القواعد الخاصة به، بينما تداولية الخطاب تنظر في إمكانية تحليل الخطاب وفق المبادئ التداولية المطبقة على الملفوظ، ثم إنّ تحليل الخطاب يرى الخطاب كونه وحدات لسانية أو جمل، في حين تداولية الخطاب ترى الخطاب وحدات تداولية أو ملفوظات.[3]

1-6 علاقة التداولية بالحجاج: تعنى الدراسات الحجاجية بمدى التأثير في المتلقي من أجل تغيير رأيه أو إقناعه بأمر ما، وهذه الغايات التي يسعى الدرس الحجاجي لبلوغها هي نقطة تقاطع مع الدرس التداولي؛ إذ يتجلى هذا التقاطع في « منظورات ثلاثة كبرى هي: منطقيّ ولغويّ ومحادثيّ.»[4]

1-6-1 المنظور المنطقي: تجلى هذا المنظور في نظريتين هما:

- اللسانيات النفسية العرفانية: وهي التي « يبحث فيها عبر تحليل الخطاب والمحادثة عن إنشاء منطق للتفكير في اللغة الطبيعية »[5]؛ أي أنّ هذه اللسانيات تنطلق من تحليل الخطاب والمحادثة من أجل تحقيق منطق ينظر به في اللغة الطبيعية؛ إذ نجد أنّ التضمن من أساسيات اللسانيات، وهذا ما عني به غرايس في تحديد حساب للمفهوم الذي هو عبارة عن تفكير تأويلي، نحو: « **أ** قال **س**، والحال أنّ كل تلفظ يطابق حكم المحادثية أو كل انحراف عن هذا الحكم يفسر باحترام إحداها،

1 ـ حافظ إسماعيل علوي، **تساؤلات التداولية، وتحليل خطاب**، دار كنوز المعرفة، عمان، 1438 هـ، 2016 م، ط01، ص: 158.

2 ـ محمود عكاشة، **النظرية البراجماتية اللسانية**، ص: 78.

3 ـ ينظر، حافظ إسماعيل علوي، **تساؤلات التداولية، وتحليل خطاب**، ص: 161.

4- صابر الحباشة، **لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية**، دار الحوار، سورية، 2010م، ط01، ص: 243.

5- المرجع نفسه، ص: 244.

وليكن، مثلا، مبدأ الاستقصاء: أ بقوله **س**، قال كل ما يعرف، فتأويل الملفوظات يمكن أن يعبر عنه في شكل استنتاج قياسي...»[1]

– علم الدلالة المنطقي "روبار مارتان": « الذي يجرب تكييفا منطقيا للحواريات اللغوية، انطلاقا من إعادة تشكيل مفهوم الحقيقة في العلاقة بين الجمل تحديدا »[2]؛ أي أنّ روبار مارتان يسعى إلى أقلمة الحواريات اللغوية بين المتكلمين وفق إعادة تشكيل مفهوم الحقيقة خاصة تلك التي تجمع بين الجمل، وعلى ما يبدو أن مارتان يريد أن يحقق شيء صعب وقوعه، لذلك « ابتكر لهذا الأمر مفهوم عالم الاعتقاد وهو... مجموعة قضايا يعتبرها المتكلم صحيحة لحظة تكلمه... أو التي يبحث عن تصديقها كما هي .»[3]

نلاحظ أنّ هذا التعريف مرتبط باعتقاد المتكلم فهو عندما يتكلم في قضية ما، يعتبر لحظة تلفظه صحيحة أو عندما تعرض عليه قضية ما يصدقها كما هي.

1-6-2 المنظور اللغوي: هذا المبحث يهتم به أوزفالد ديكرو بوجه خاص، وينطلق هذا المنظور من أنّ البنى الحجاجية ذات طبيعة لغوية لا منطقية؛ أي أنّ اللغة في حد ذاتها تحمل قوى حجاجية؛ حيث أنّ « أعمال أوزفالد ديكرو وجون كولد أنكسمبر ... يعتبران أنّ هذه القطبيات الحجاجية ليست مضافة إلى ملفوظ، ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساسا لكل دلالة. »[4]

1-6-3 المنظور المحادثي: ينطلق هذا المنظور في دراسته: « إذا كانت البنية المنطقية للتفكير في منشأ اللغة، فإنّ الخطاب والتبادلات اللغوية هي مصبها »[5]، وينحى هذا المنظور إلى وجهة مزدوجة تتمثل فيما يلي:

- الوجهة الأولى تعنى بـ « دراسة نظامية للروابط الحجاجية وعوامل للتسلسل اللغوي... مما يسمح بإنشاء تحليل مصغر للمحادثة »[6]؛ أي أنه من خلال الروابط، نقوم بتحليل المحادثة ونصل إلى مقصدها الحجاجي.

1- صابر الحباشة، **لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية**، ص: 244.

2- المرجع نفسه، ص: 244.

3- المرجع نفسه، ص: 245.

4- المرجع نفسه، ص: 246.

5- المرجع نفسه، ص:247.

6- المرجع نفسه، ص: 247.

- الوجهة الثانية تعنى بـ « دراسة بنيوية للمحادثة ولوحداتها الصغرى... بالنظر إلى مقصدها الحجاجي »[1]؛ حيث تقوم هذه الوجهة بدراسة الجانب البنيوي للمحادثة بالانطلاق من مقصدها الحجاجي.

إنّ هذا المنظور المحادثي، هو نفسه إطار النظرية التي جاء بها غرايس **قوانين الخطاب**، التي هي حسب افتراضه تشكل مبادئ منظمة لكل محادثة التي ينبغي على المتكلم مراعاتها أثناء الكلام.[2]

1-7 علاقة التداولية بالأسلوبية: تعتبر الأسلوبية وليدة اللسانيات، حيث ظهرت على يد شارل بالي، والمقاربة الأسلوبية تلغي الأبعاد التي تخرج عن البعد اللساني المحض للظاهرة الأدبية، حتى وإن أقرت بوجود جوانب نفسية واجتماعية ...إلخ، فهي لا تهتم بها في التحليل؛ لأن ذلك يقدم أحكام قيمية، وهذه هي السمة الفارقة بينها وبين النقد الأدبي.[3]

ونجد أنّ مولينييه يقيم علاقة تواصل متينة بين الأسلوبية والتداولية تجعل الأولى موجهة للثانية وليس العكس، كما يفسر تصوره للقيمة التداولية للعمل اللغوي ذي الطبيعة الأدبية؛ حيث هذه القيمة تقوم بعملية إبدال وتحويل لتجعل من العمل الكتابي شيء فني، كما تقوم بوضع النشاط الكتابي مرجع ذاتي في العمل اللغوي.[4]

كما يرى مولينيه أنّ إمكانية تلاقي الأسلوبية بالتداولية لا تتم إلا إذا صادق الأسلوبيون والتداوليون على تصور موحد في نظرية المعنى، فإذا اقتصر التداوليون على المعنى المقامي واعتبروه عمدة التفسير، وانكب الأسلوبيون على المعنى اللغوي، فسيكون هذا الافتراق بعينه في تصورهم للمعنى، وللأسلوبية والتداولية مواطن تداخل كثيرة بينهما فكلتاهما منهج من مناهج تحليل الخطاب، غير أنّ كلّ واحدة منهما لها خصوصياتها، ومن بين المواطن التي تتداخل فيه كل من الأسلوبية والتداولية علاقتهما بالبلاغة، فالأسلوبية المعاصرة استثمرت في مباحثها كل من البلاغة الإقناعية والبلاغة الإنشائية، وتتفق التداولية معها في الأبحاث الحالية في هذا التوجه، سواء بمحاولة سبر الأساليب البرهانية الراجعة إلى تلفّظ خيالي بالكلام داخل كون أدبي أو بمحاولة قيس المعطى الثقافي في الأعمال الأدبية بشكل مخصوص.[5]

1- صابر الحباشة، **لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية**، ص: 247.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص:248،247.

3- ينظر، صابر الحباشة، **الأسلوبية والتداولية، مداخل لتحليل الخطاب**، (د.ن.ت،د.ط،د.س)، ص: 36.

4- ينظر، المرجع نفسه، ص: 39، 43.

- ينظر، صابر الحباشة، **الأسلوبية والتداولية**، ص: 43،41،40.

إنّ كلّ من التداولية والأسلوبية مدونتين متنافرتين عند التطبيق، أمّا التجاور من ناحية أنهما مقاربتين فذلك يكمن من خلال أنّ التداولية تعتبر وريثة البلاغة الإقناعية- الخطابية، والأسلوبية وريثة البلاغة الإنشائية- الجمالية.[1]

ومن الضروري التنويه إلى أنّ البلاغة العربية هي غير البلاغة الغربية وإن كان يتقطعان في مواطن كثيرة، ذلك أنّ لكل بلاغة خصوصياتها سواء في ثقافتها أو مرجعيتها الفكرية، أو مراحلها التاريخية.

1-8 علاقة التداولية بالسميائيات: يعتبر بيرس هو الواضع لعلم السميائيات أو ما يعرف بعلم العلامات، حيث تتمثل غاية هذا العلم في « ضبط قواعد اشتغال العلامات »[2]، وهذا عكس ما ينادي به المنطق الذي جاء من أجل ضبط قواعد اشتغال التفكير البشري.

وإذا جئنا إلى ما تحيل إليه العلامة لعلمنا أنّ « العلامة كيفما كان نوعها لا معنى لها في ذاتها؛ بل إنّ معناها يتحدد... ضمن سياق معين »[3]؛ أي أنه لا يمكن لنا تحديد المقصود من العلامة إلا إذا كانت ضمن سياق محدد.

ومن خلال تحديد السيرورة الدلالية للعلامة فإنه يأخذ بعدا تداوليا حسب رأي بيرس، « فعندما يتلفظ شخص ما بجملة من قبيل **الجو غائم** فإنّ دلالات هذه الجملة تختلف باختلاف المؤولين؛ فهي تعني للمؤول المباشر المعنى المصرح به... أمّا بالنسبة للمؤول الدينامي فيستأثر باهتمامه لفظ غائم، ويتساءل في نفسه ما الذي جعل المتكلم يتلفظ بهذه الجملة؟ أيتوخى الإخبار أم له مقاصد أخرى؟... »[4]

ونستشف منحى تداوليا آخر من سميائيات بيرس من خلال « الإشارة إلى أنّ كلّ موضوع أو مفهوم لا دلالة له إلا في إطار ما يترتب عنها من أثار أو أفعال »[5]؛ أي أنّ كل إشارة لها دلالة مرتبطة بها، نستخرجها من خلال الأفعال الصادرة عنها.

1- ينظر، صابر الحباشة، **الأسلوبية والتداولية**، ص: 44، 45.

2- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 45.

3- المرجع نفسه، ص: 48.

4- المرجع نفسه، ص: 48، 49.

5- المرجع نفسه، ص: 49.

نجد بيرس قد « عمق تصوره للعلاقة بين الموضوعات وآثارها من خلال بحثه الذرائعية 1905؛ حيث نص على أنّ مفهوما ما يصبح ذا معنى إذا ترتبت عنه نتائج عملية، على هذا الأساس يتحدد موضوع التداولية بالنسبة لبيرس في معرفة ما ينبغي فعله، وكيف ننجز الفعل .»[1]

يظهر من خلال هذا القول أنّ التداولية تتقاطع بما نادى به بيرس في الذرائعية، فكل منهما يهتم بقول المتكلم والفعل المصاحب له أثناء التكلم.

إنّ التداولية لما قامت به من دراسات جديدة في ميدان اللغة، فتح عليها مجالات أخرى تتعالق مع علوم أخرى، وهذا يدل على مدى تشعبها، وقدرتها الهائلة على التوغل في شتى المجالات والميادين، ويعكس طبيعتها الزئبقية التي تتكيف مع العلوم الأخرى بطريقة سريعة.

1- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 49، 50.

2- درجات التداولية: إنّ التداولية في صلبها تبحث عن المقاصد، وخصوصا دراسة أفعال الكلام، فهي تدرس استعمال اللغة في السياق، فاللغة ليست وظيفة المتحدث ولكنها منتج يتم استقباله بواسطة الفرد، كما أنّ للسياق دور أساسي في تحقيق النمط التداولي للغة، فقد أضحى هو العامل المشترك بين مختلف النظريات المشكلة للتداولية، حيث أنها تستلهم وجودها من المنطق، كما تستنبط من فلسفة اللغة، ونظرية أفعال الكلام بوجه خاص، وكذلك من ضروب تحليل الحوار[1]، إلا أنّ درجة تدخل السياق في كل نظرية هو الذي يحدد ميزات كل منها، وأضحى هذا التصور الخطوة الأولى في تنظيم وهيكلة النظريات التداولية، ويُعد الهولندي "هانسون" أول من جرب التوحيد بطريقة نظامية وتجزئة مختلف المكونات التي تطورت لحد الآن بطريقة مستقلة، فلقد مرت التداولية بثلاث درجات تمثلت في:

2-1 التداولية من الدرجة الأولى: إنّ أشهر من نظّر لهذه النظرية العالم اللغوي الفرنسي "إميل بنفنست"، الذي أكد على ضرورة التمييز بين اللغة كسجل من الأدلة ونظام تتركب فيه هذه الأدلة، واللغة كنشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة، فالتداولية تتمثل في دراسة رموز التعبيرات المبهمة ضمن ظروف استعمالها، حيث أنّها تعتمد على السياق الوجودي المتمثل في المخاطبين، ومعطيات الزمان والمكان، وتعكسها أعمال دارسي الإشارة والرمز، نحو بيرس، روسل، قيومين، كودمان، رايشنباخ، بارهييل، بول كوشي... وبعض إشارات بنفنست في البعد الإشاري للزمن.[2]

2-2 التداولية من الدرجة الثانية: فهذه النظرية تنظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الاقتراحات المسبقة ومن الأقوال المضمرة والحجاج، حيث تتضمن التداولية دراسة الأسلوب الذي يرتبط بقضية مطروحة، قد تكون متباينة عن الدلالة الحقيقية للقول، فهي تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى مستوى التلميح، بالسعي وراء استنباط ومعرفة العمليات المتسببة في ذلك، حيث تهتم بقضايا مختلفة، نحو: شروط التواصل، التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى التواصلي لدى "ستالناكر وجاك"، أو المعنى الحرفي والمعنى السياقي "سيرل"، أو المعنى الحرفي والمعنى الموضوعي "ديكرو"[3]،

1- ينظر، فان دايك، **النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، تر، عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، 2000، ص، 255.

2 ـ ينظر، خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 79.

3 ـ ينظر، المرجع نفسه، ص، 79.

كذلك تدرج ضمن حكم الحديث لـ جرايس، القائمة على مبدأ التعاون بين المتخاطبين، والخطاب في نظره نشاط مقنّن؛ يخضع إلى قواعد، والمشاركون في الخطاب يحترمون مبدأ التعاون، وميّز إلى جانب هذا المبدأ أربعة أصناف للقواعد، وهي مستقاة ممّا وضعه الفيلسوف "كانط": الكمية quantité، الكيفية qualité، العلاقة relation، الصيغة "حكم الكلام" modalité.[1]

2-3 التداولية من الدرجة الثالثة: وتنطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة عن المتكلمين، ضمن وضعيات محددة، تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية، وترجع هذه النظرية في أول عهدها إلى الفلاسفة التحليليين الإنجليز أمثال "أوستين" وتلميذه "سيرل" اللذان بيّنا أنّ اللغة ليست بنى ودلالات فقط، بل هي أيضا أفعال كلامية ينجزها المتكلم ليؤدي بها أغراضا، فهو عمل يطمح المتكلم من خلاله إلى إحداث تغيير معين في سلوك المخاطب بالفعل أو بالكلام، فلقد نشأت في حضن نشاط بحث الملفوظية، ومن الدارسين من عدّ ما قدمه "بنفنست" من بحوث في الملفوظية نظرية مستقلة من النظريات التداولية، تجتمع كلها حول دراسة الآثار التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب، ضمائر، إحالات على الزمان، إحالات على المكان... ، واللغة في نظره تتحقق على ثلاثة أشكال؛ الأول شكلها الكلّي بعدّها سجلا من الأدلة، والثاني بعدّها نظاما تركب فيه هذه الأدلة، والثالث على أنها نشاط يتحقق من وقائع الخطاب؛ وهو موضوع لسانيات التلفظ.[2]

وعليه إذن، لقد مرت التداولية بدرجات ثلاث، درجة أولى، ودرجة ثانية، ودرجة ثالثة، والأخيرة هي أهم درجة في التداولية، حيث تمثلت في نظرية أفعال الكلام.

وفحوى القول إذن تتميز التداولية بعلاقات شتى تجمعها مع العلوم الأخرى، حيث أنّها تتقاطع معها في أمور مشتركة أو تكون مكملة لبعضها البعض، وهذا يبرهن على مدى قابلية التداولية على التأقلم مع غيرها من العلوم، وهذا ما يوضحه ذلك التطور الذي عهدته خلال مراحل نموها ونشأتها، وتوضحه درجات التداولية التي تحاول تنظيم نظريات التداولية.

1 - ينظر، خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص، 80.

2 - ينظر، المرجع نفسه، ص، 81.

خاتمة الفصل: لقد عرفت التداولية تحديات كبيرة خلال مرحلة نشأتها ونموها، فهي علم مستجد وحديث الظهور جاء من أجل دراسة اللغة أثناء استعمالها وتداولها، وكان المشروع الذي سعت لتحقيقه قد فتح عليها مجالات واسعة، حيث ظهرت تحت مكامنها نظريات متعددة تحاول أن تدرس الجانب التداولي للغة، وتكشف عن أهم ما يحيط بها من عوامل من قصد وسياق وغيرها من الأمور، وكل هذا مكّنها من توطيد علاقاتها مع غيرها من الميادين والعلوم، منها من تجمعها علاقات مشركة، ومنها من تكمل بعضها البعض، وبهذا صنعت التداولية لنفسها مجال علمي دراسي مستقل بذاته.

❖ الفصل الثاني: نظرية أفعال الكلام.

- الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند الغرب.
- الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند العرب.
- أوجه الاختلاف والتشابه بين الجاحظ وأوستين.

توطئة:

بعد إنهاء الفصل الأول والذي تم فيه عرض نشأة التداولية بين الغرب والعرب، ومن خلال هذا تبيّن لنا أهمية التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى، وبما أن التداولية تمثل حقلا خصبا لدراسة نظرية الأفعال الكلامية، فسيكون الغرض الأسمى من هذه الدراسة في هذا الفصل هو محاولة الكشف عن هذه النظرية، وتبيين دور أفعال الكلام عند الجاحظ، وذلك من أجل محاولة التأكيد على وجود نظرية أفعال الكلام "الخبر والإنشاء" في أسلوبي الجاحظ، إذ ترمي هذه الدراسة إلى استخدام الأداة التداولية في الكشف عن الخصائص الخطابية للنص الجاحظي، في كتابه البيان والتبيين، وأثر المفاهيم التداولية في تحليل الخطاب، ومن بين فروعها الأساسية نظرية أفعال الكلام، حيث يعد مفهوم القوة الإنجازية أو القوة المتضمنة في القول من أهم المفاهيم هنا، كما يعتبر الخطاب سلسلة من الأفعال الكلامية، ولهذا فإنّ فهم النص ما هو إلا إجابة عن سؤال تداولي هو لماذا؟ ولأي غاية انتج هذا النص؟

فقد انبثقت الأفعال الكلامية أو الأفعال اللغوية، من الدراسات الفلسفية اللغوية الحديثة، والتي تُعد اليوم من أهم المبادئ التي تأسست عليها اللسانيات التداولية، فقد حاول العديد من الباحثين أن يؤسسوا لها أطرًا معرفية، بيد أن تشعب منطلقاتها الفكرية جعل وجهات النظر فيها تختلف وتتضارب، فهي تشمل البحث الفلسفي واللساني بالتقاء اللسانيات والمنطق والسيميائيات وعلم الاجتماع.

كما تعد نظرية أفعال الكلام التداولية من أهم جوانب اللسانيات التداولية لما تحويه من أفكار ورؤى لسانية مهمة، وما تضمه من آليات تشترك فيها مع بقية جوانب اللسانيات التداولية، (القصد، والإفادة، والحجاج ...)، ولذلك لقيت اهتماما بالغا أمره في الدراسات الحديثة، حيث تقوم على فرضية أساسية مفادها أنه يقصد بالكلام وتبادل المعلومات والقيام بفعل خاضع لقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، ويهدف هذا الفعل إلى تفسير وضعية المتلقي، وتغيير نظام معتقداته ومواقفه السلوكية.[1]

1- ينظر، محمد مفتاح، **تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992، ط3، ص: 139.

مفهوم الفعل الكلامي: قبل التطرق إلى نظرية الأفعال اللغوية أو الأفعال الكلامية، كان علينا توضيح وشرح المصطلح "**الفعل الكلامي**"؛ لأنه يوجد لُبس مع بعض المفاهيم النحوية؛ إذْ أنّ مصطلح الأفعال الكلامية ترجمة لما يقابلها باللغة الانجليزية Speech acts، وقد تناولها الدارسون والباحثون العرب بكثرة، فالفعل في اللغة العربية يدخل ضمن باب المشترك اللفظي، بحسب بعض كتب فقه اللغة، أو لنقل بشكل أوضح إننا نتحدث عن الفعل ونقصد به الصيغة بمعناها الصرفي والنحوي، كما نقصد به أيضا الحدوث والوقوع، كما يذكر النحويون تعاريف مختلفة للكلام في اصطلاحهم، ومن أَجمعها أنه اللفظ المركب، المفيد بالوضع، المقصود لذاته[1]، أمّا إنجاز الأفعال بمعنى الإنشاء والابتكار، وعليه فالإنشاء؛ «ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام وهذا المعنى للإنشاء هو الذي قدمه "أوستين"، فنحن ننجز الأشياء بالكلمات؛ أي نخرجها من حيز العدم إلى الوجود.»[2]

وهذا ما يؤكد عليه أوستين في قوله: «أنّ قولنا شيئا ما يعني تصرفنا أو فعلنا شيئا ما، أو على وجه آخر إن النطق بشيء ما هو حصول تعلق المفعولية، إذ التصرف يحتاج في حدوثه إلى النطق... هو إيقاع الفعل وإحداث أمر ما.»[3]

إنّ الفعل الكلامي « كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يُعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...الخ)، وغايات تأثيرية Actes perlocutoires تخُصُ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثمَّ فهو فِعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً؛ أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطَب، اجتماعيا أو مؤسساتياً، ومن ثَمَّ إنجاز شيء ما،»[4] كما يُعد الفعل، بوصفه مصطلحا لغويا، من أقسام الكلام الأساسية في أي لغة لأهميته ودوره الفعّال في اكتمال عملية التواصل.

1- ينظر، عبد السلام محمد هارون، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 2001، ط5، ص: 23.

2- العياشي أدراوي، **الاستلزام الحواري في التداول اللساني**، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011، ط1، ص: 73.

3- أوستين، **نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام**، تر، عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص: 115.

4- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية**، في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، لبنان، بيروت، 2005، ط1، ص: 40.

أمّا الفعل في اللغة العربية يعتبر « لفظ مشترك، فنحن نتحدث عن الفعل ونقصد به الصيغة، ونتحدث عن الفعل ونقصد به الحدوث والوقوع، وفي اللغة الإنجليزية وغيرها هناك الفعل كصيغة verb، وهناك الفعل كحدث ووقوعه act action.»[1]

كما أشار أيضا مرتضى كاظم، في كتابه اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، إلى أن يشتغل مفهوم الفعل الكلامي، موقعا محورياً في اللسانيات التداولية، بوصفه الوحدة الأساسية للتواصل، إذْ « أنّ الباعث للتركيز على دراسة أفعال الكلام ببساطة هو: أنّ كلَّ اتصال لغوي يقتضي فعلاً كلامياً، فوحدة التواصل اللغوي هي ليست ما كان مفترضاً بأنها الرمز، المفردة أو الجملة، ولا حتى علامة على الرمز أو المفردة أو الجملة، بل هي إنتاج أو إصدار ذلك الرمز أو المفردة أو الجملة في تأدية فعل الكلام.»[2]

فالمراد من الفعل (مفرد أفعال)، هو ذلك العمل الناتج عن القول، حيث يختص بدراسة أغراض الكلام، التي يقصد إليها المتكلم، سواء أكان العمل الناتج عنها ظاهرا واقعيا أم ذهنيا، ومن هنا جاءت التسمية "**الفعل الكلامي**"؛ للدلالة على الحدث الذي أوجده النطق، وليس الفعل الذي يُعد مؤشرا أو وسيلة لغوية لإنجاز الحدث، حيث « يختلف الفعل الكلامي عن الفعل في الدراسات النحوية، وتحديداً في التقسيم الثلاثي للكلام، لأنّ الفعل الكلامي الإنجازي، هو الحدث الذي أوجده النطق، سواء أكان النطق اسما، أم فعلا، أم حرفا ، كما أنّ زمن مضمون القول يتنوع بين الماضي والمضارع والأمر، أما زمن الأعمال التي تنجز بالقول، فهو الحاضر زمن التخاطب، ويقتضي حصوله ضمير المتكلم.»[3]

كما نجد أنّ علماء اللغة العربية قد أشاروا إلى ذلك ومن بين هؤلاء، سيبويه (ت180هـ) عالم النحو، يعرّف الفعل: " وأمّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع فأمّا بناء ما مضى، فذَهَبَ، وسَمِعَ، ومكُثَ، وحُمِدَ، وأما بناء ما لم يقع، فإنه قولك **آمرًا**، اذهَب، واقتُل، واضرِبْ، **ومخبرًا**، يقْتُلُ، ويذهَبُ، ويضربُ، ويُقْتَلُ،

1- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية**، في التراث اللساني العربي، ص: 7.

2- مرتضى جبار كاظم، **اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين**، منشورات الضفاف، دار الأمان، ط1، الرباط، 2015، ص: 41.

3- محمد الشاوش، **أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية**، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001، ج2، ص: 225.

ويضرَبُ، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن، إذا أخبرتَ"[1]، ويدل الفعل بمادته على المعنى المصدري؛ أي الحدث نحو الضرب والحمد.

وعليه الفعل دلالة على إحداث شيء من العمل وغيره، بحيث يدل هذا على أن الفعل أعم من العمل؛ لأنه كلمة تدل على معنى مختص بزمان دلالة الإفادة، أو ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة،كما أنه أيضا كلمة تدل على حدث مقترن بزمن.

1- سيبويه، **الكتاب**، تح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج1، ط3، ص: 12.

المبحث الأول: الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند الغرب:

1- أوستين والأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء:

تعتبر نظرية أفعال الكلام **Speech acts theory** أوّل مفهوم أسس للفكر اللساني التداولي على يد الفيلسوف الإنجليزي جون لانكشو أوستين **John Langshaw Austin*** (1911-1960)، مع متضمنات القول وهي مفهوم تداولي يتمثل في الجمل الملفوظة والظروف العامة المحيطة بها، فهي نظرية لسانية، ومقاربة فلسفية لبعض القضايا التي تثيرها اللغة الإنسانية؛ إذْ أنّ أوستين هو أول من نبّه إليها من فلاسفة اللغة في الغرب بصورة واضحة عندما كان يحاول دحض ما سماه المغالطة الوصفية فعرض للفرق بين المنطوقات التقريرية، والمنطوقات الأدائية – بذرة الأفعال الكلامية – وأهم نموذج لها وظل يطوّر فيها، ويحسن في أنساقها حتى آخر حياته من خلال المقالات والمحاضرات ومن خلال كتابه الشهير الذي طُبع بعد وفاته؛ وهو(كيف ننجز الأشياء بالكلمات)[1]، كما يعود الفضل له (أوستين) في تعميق الفهم بالأفعال الكلامية في كتابه How To Do Things With Words، المتمثلة في المحاضرات الإثنتي عشرة التي ألقاها سنة 1955 بجامعة هارفرد حول فلسفة وليام جيمس The William James Lectures، توخى منها وضع بعض أسس الفلسفة الإنجليزية موضع السؤال و التشكيك، خاصة ما يتعلق بوظيفة اللغة.

فقد رأى الفلاسفة والمناطقة أنّ اللغة تستعمل لوصف الواقع، لذلك تظل الجمل خاضعة لمعيار الصدق والكذب، حيث تكون الجمل صادقة إذا طابقت الواقع، وكاذبة إذا خالفته؛ إذْ أنّ عددا كبير من الجمل لا تخضع لمعيار الصدق ولا الكذب، كما لا تتوخى وصف العالم، بقدر ما تطمح لتغييره.[2]

---

*جون لانكشو أوستين: منطقي لساني بريطاني (1911-1960)، درّس الفلسفة في أكسفورد (1952-1960)، لم تصدر له كتب، إلا أنّ مقالات جمعت في:
philosophical papers , 1961
Sens and Sensibilia ,1962.
How to Do Things With Words ,1962 .

ينظر: آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم**، علم جديد في التواصل، تر، سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مرا، لطيف، زيتوني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2003، ط1، ص: 243

1- ينظر، علي محمود حجي الصرّاف، **في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية**، دراسة دلالية ومعجم سياقي، كلية الآداب، جامعة الكويت، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010، ص: 29.

2- ينظر، جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2012م، ط1، ص: 86.

كما يرى مسعود صحراوي في كتابه، التداولية عند العلماء العرب، بأنّ « مفهوم الفعل الكلامي Speech act، أصبح النواة المركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كلُ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي وتأثيري.»[1]

1-1 بين الخبر والإنشاء عند أوستين: لقد أشار عبد الرحيم الحلوي في كتابه تداوليات الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل، إلى أنّ أوستين ينطلق في نظريته من انتقاد الرأي القائل بوجود أقوال صحيحة نحويا ولكنها تفتقد إلى دلالات منطقية، فالفلاسفة يعتقدون، « بأن دور الإثبات هو الإخبار (الوصف) بحال الأشياء، أو إثبات واقعة أو حدث أيا كان، وهما وظيفتان لا يمكن أن يقوم بهما الإثبات دون أن يدخله الصدق أو الكذب، تبعا لمطابقته الواقع أو عدم مطابقته له. »[2]

انطلاقا من هذا الوضع فلقد لاحظ أوستين، ما لم يلاحظه الفلاسفة، وقال بوجود نمطين من الملفوظات لا يؤديان الدور نفسه، فاللغة لا يمكن أن تختزل في وصف الوقائع فقط.[3]

1-2 التمييز بين أنواع الملفوظات: قد ميّز أوستين بين نوعين من الملفوظات: يتمثل النوع الأول في تلك الملفوظات التي تصف حالا معينا لشيء أو شخص ويسميها، الملفوظات التقريرية الوصفية،constative sentences / descriptive، وقد سماها العرب بالأساليب الخبرية، تظل خاضعة لمعيار الصدق والكذب؛ وهي « أنّ الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، سمي كلاما خبريا، والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع.»[4]

أما النوع الثاني من الملفوظات الإنجازية performative sentences؛ فهي لا تصف ولا تخبر ولا تمثل ولا هي خاضعة لمعيار التصويب، إنّ ميزتها الأساسية تكمن في أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، ويسميها أوستين الملفوظات الإنشائية. التي تمتاز بما يلي: [5]

- ✓ من الضروري أن يكون الفعل المحوري للملفوظ إنجازيا (وعد، وحذر، والتمس...) مبنيا للمعلوم.
- ✓ من الضروري أن يسند الفعل المحوري لضمير المتكلم.

1- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية**، في التراث اللساني العربي، ص: 40.

2- عبد الرحيم الحلوي، **تداوليات الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل**، منشورات القصبة، المغرب، 2017، ص: 84.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص: 85.

4- عبد السلام محمد هارون، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، ص: 13.

5- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 87.

✓ من الضروري أن يرتبط الفعل المحوري بالزمن الحاضر.

وقد أطلق أوستين على هذه الظاهرة الإيهام الوصفي the descriptive fallacy/L'illusion descriptive. ، و من أمثلة هذه الجمل:[1]

ـ الجملة الأولى: أُسمي هذه السفينة الملكة إلزبيت. " I name this ship the queen Elizabeth "

ـ الجملة الثانية: أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي. I do (sc. take this woman to be my lawful wedded wife)

هذا النوع من الجمل، لا يخضع لمعيار الصدق أو الكذب، كما لا يصف حقيقة ما، وإنما ينجز فعلا، هو فعل التسمية، وفعل قبول الزواج على الولاء.

1-3 شروط الملاءمة عند أوستين: كما ربط أوستين الملفوظات الإنجازية بجملة من الشروط، يفضي الالتزام بها إلى تحقيق الغايات المرجوة من الفعل الإنجازي، كما قد يؤدي الإخلال بها إلى الإخفاق وعدم التوفيق، ومن ثم إنتاج ملفوظات فاشلة the infelicity/les infélicités وتتلخص هذه الشروط فيما يلي: [2]

✓ لا بد من وجود إجراء عرفي مقبول، له أثر عرفي محدد.

✓ لا بد أن ينفذ جميع المشاركين الإجراء بطريقة صحيحة وكاملة.

✓ لا بد للطرف الذي يشارك في الإجراء أن يتوافر فعليا على الأفكار والمشاعر.

✓ لابد بالتبعية على المشاركين في الإجراء أن يتصرفوا على النحو التالي.

كما حاول أيضا " أوستين " التمييز في هذه الملفوظات بين نوعين هما: الإخفاقات والإساءات، إذْ « حصر مختلف أنواع الفشل المؤثرة قي الإنشاءات ووسمها بالإخفاقات، وهي إجمالا نتاج انتهاك شروط بديهية اعتبر استيفاءها ضروريا للحكم بنجاعة الملفوظ الإنشائي.»[3]

يرى أيضا محمود أحمد نحلة في كتابه آفاق جديدة في البحث اللغوي، أنّ أوستين « قد أطلق على الأفعال التي خالفت الشروط الأربعة مصطلح الإخفاقات "misfires"، وعلى ما خالف شرطا من الشرطين الأخيرين مصطلح الإساءات abuses.»[4]

1- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 87.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص: 88.

3- الصحبي هدوي، الإنشاء بالقول، **مقاربة نحوية تداولية للأوامر والنواهي**، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2012م، ط1، ص: 107.

4- محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي**، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص: 65.

فقد انتبه أوستين أيضا إلى أنّ الملفوظات الوصفية التقريرية ليست في واقع الأمر سوى ملفوظات إنجازية فعلها الإنجازي مضمر، يظهر ذلك جليا عندما نتأمل جملة من قبيل: **السماء ستمطر** فظاهرها بالنسبة لأوستين وصفي، وباطنها إنجازي، على اعتبار أن أصلها هو " أحذرك من أنّ السماء ستمطر "، بناءً على ذلك « ميّز أوستين في الملفوظات الإنجازية بين جمل إنجازية مضمرة implicit performatives وجمل إنجازية صريحة explicit performatives.»[1]

وعليه تُعد اللغة وسيلة للتواصل اللغوي عند أوستين، ومن ثم توصل إلى ما يسمى بـ "الفعل الكلامي" الذي يرتبط بالإنجاز، ومن هذا المنطلق يعتبر أوستين أول من وضع الحجر الأساس لبناء نظرية أفعال الكلام، كما اعتبر الفعل الخطابي طريق لتأدية الإنجاز، وكيفية استعمال الألفاظ، بغرض التأثير في المتلقي، حيث قسم الملفوظات إلى نوعين هما: الملفوظات الإنجازية والملفوظات الوصفية، ففي الملفوظات الإنجازية ميّز بين الجمل الصريحة والجمل المضمرة.

1-4 بنية الفعل الكلامي عند أوستين: قد رأى أوستين أنّ تمييزه بين الأفعال الإخبارية والأدائية غير حاسم، وأنّ كثيرا مما تنطبق عليه الأفعال الأدائية ليس منها، وأنّ كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظائف الأفعال الأدائية، فاستدراك هذا بالإجابة على سؤال طرحه: كيف ننجز فعلاً حين ننطق قولاً ؟ تبعا لهذا السؤال رأى أوستين، أنّ الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تُعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يُفصل بينهما إلا لغرض الدرس، وقام بتقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية:

- ✓ **فعل القول، أو الفعل اللفظي (locutionary Act)**: ويتمثل في ثلاثة مستويات للجملة وليس الكلمة، وهي: "الصوتي والتركيبي والدلالي للجملة التي يعبر بها المتكلم عن قصده، أو القول المفيد عند علماء النحو، والبراجماتية اللسانية تهتم بالمعنى المستفاد من التركيب، وتستبعد المعنى العام المعجمي (ويسميه بعضهم المعنى الحرفي، وهي تسمية غير دقيقة، والصواب أن نقول المعنى المعجمي أو العام)، والمعنى السياقي هدفها الرئيسي."[2]

1- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 89.

2- محمود عكاشة، **النظرية البراجماتية اللسانية، التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ**، مكتبة الآداب، القاهرة ، 2013، ط1، ص: 102.

- ✓ **الفعل المتضمن في القول أو فعل الإنجاز Illocutionary act** : يرى أوستين أنّه « قد لا يدل الفعل المتضمن في القول على دلالته المباشرة، بل يفيد معنى إنجازيا آخر غير مباشر يحدده سياق القول بتعبير آخر.»[1]
- ✓ **الفعل الناتج عن القول أو الفعل بواسطة القول: perlocutionary act** ويُراد به في نظر أوستين « التأثير الذي يحدثه فعل الإنجاز في المخاطب، فيدفعه إلى التصرف بهذه الطريقة أو تلك»[2] ،كما أنه " العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئاً ما"[3]، ويطلق عليه أيضا فعل التأثير، كما يقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي؛ ويعني ذلك أن « الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة محمَّلة بمقاصد معينة في سياق محدّد تعمل على تبليغ رسالة وتحدث أثرا عند المتلقي.»[4]

لقد جاء هذا التقسيم بعد عدوله عن التقسيم الأول للصيغ الفعلية الإنشائية الصريحة في قوله: « أنه لا يكون ذلك دائما سهلا متيسرا حتى تتميز العبارات الإنشائية عن الخبرية، وأنه بالتالي يكون من المناسب أن نرجع إلى الوراء قليلا حتى نضع تلك المبادئ الأساسية على قواعد متينة، أقصد أنه ينبغي أن نبحث في موضوع دراستنا بحثا دقيقا بأن نتساءل عن الوجوه والمعاني التي تحصل من كلامنا. »[5]

خلُص أوستين إلى ضرورة التفكير في مراجعة أفعال الكلام، واقترح أن تتم هذه المراجعة ضمن نظرية شاملة لأفعال الكلام يجري التفريق فيها بين ثلاثة أفعال كلامية هي فعل القول، وفعل الإنجاز، وفعل التأثير.

1-5 نمذجة أوستين للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية: صنف أوستين الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف، وأشار إلى أنه قد توجد إمكانات لظهور حالات أخرى قائلا: « وإن

1- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 87.

2- طالب سيد هاشم الطبطبائي، **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغين العرب**، الكويت، 1994، ص: 9.

3- آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، تر، سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مرا، لطيف زيتوني، دار الطبعة، لبنان، 2003، ط1، ص: 32.

4- علي محمود حجي الصرّف، **في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية**، دراسة دلالية ومعجم سياقي، كلية الآداب، جامعة الكويت، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010، ص: 43.

5- جون أوستين، **نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام**، ص: 115.

كنت مع ذلك غير مسرور ولا راض عن أية واحدة منها، وكل هذه الأصناف تسمح بأن أقسمها تقسيما أوليا »[1]، وهذه الأصناف هي:

- ✓ **الأفعال اللغوية الدالة على الأحكام Verdictivs**: وهي التي تقوم على الإعلان عن الحكم.
- ✓ **الأفعال اللغوية الدالة على القرارات Exercitivs**: وهي التي تقوم على إصدار قرار لصالح سلسلة الأفعال، أو ضدها.
- ✓ **الأفعال اللغوية الدالة على التعهد commissives**: تتمثل في الضمان، التعهد، الاشتراط، اليمين، العقد، والتكفل، ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة.[2]
- ✓ **الأفعال اللغوية الدالة على السلوكيات behabitives**: وهي ردود الفعل اتجاه سلوك الآخرين.
- ✓ **الأفعال اللغوية الدالة على الإيضاح أو العرض Expositifs**: وتستعمل لعرض الآراء والمفاهيم وبسط الموضوع وتوضيح استعمال الكلمات.[3]

2- سيرل والأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء:

جون روجر سيرل* John Roger Searle وسّع وطوّر نظرية أفعال الكلام؛ إذْ قام باقتراح بعض التعديلات على النظرية، فطوّر هذه النظرية الثلاثية لأفعال الكلام، والتي اعتبرها أربعة أفعال فرعية، فأوضح فكرة أوستين السابقة وشرحها، فالفعل الكلامي عنده مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، وهو أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، وذلك لما قام بتقديم شروط إنجاز كل فعل، كما أوضح خطوات استنتاج الفعل المقصود[4]، فوضع مجموعة من القواعد تتحول بها الأفعال الكلامية المباشرة إلى أفعال كلامية غير المباشرة.

1- جون أوستين، **نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام**، ص: 175.

2- محمود عكاشة، **النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)**، جراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، 2012، ص: 101.

3- المرجع نفسه، ص: 101.

* **جون سيرل**: فيلسوف أمريكي، ولد سنة 1932، تلميذ أوستين، اعتبر أنّ وحدة التواصل هي العمل اللغوي، من أهم مؤلفاته: Speech acts, An Essay in the philisiphy of Language, 1969. Expression and Meaning, 1979.

ينظر: آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، ص: 244.

4- ينظر، خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي**، جامعة سطيف، الجزائر، 2009، ط1، ص: 98.

يرى سيرل أنّ الفعل الإنجازي هو وحدة الاتصال الإنساني باللغة، فالفعل الإنجازي هو الوحدة الأولية لمعنى الجملة، وهو الوحدة الأولية للاتصال، كما أعاد تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية وقدم تصنيفا بديلاً.

فقول من في المكتب:[1] " تركت الباب مفتوحا " لمن يدخل عليه، يخضع إلى جملة خطوات لإدراك الفعل المقصود إنجازه، منها:

ـ إنّ الضجيج في الرواق، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ـــ فهو يأمر بإغلاقه.

ـ المكتب مكيف، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا، ـــ فهو يطلب منّي (بشكل ما إغلاقه).

ـ من الأدب أن تغلق الباب كما وجدته مغلقا حال دخولك ـــ فهو يعاتبني على سوء سلوكي.

لقد كرَّس سيرل جهوده لإعادة النظر في نظرية أفعال الكلام من خلال محورين متكاملين؛ " الأول خصصه لتحليل شروط نجاح الفعل الكلامي، والأخير مداره حول اقتراح نمذجة عامة لأفعال الكلام."[2]

أمّا تركيز سيرل على فعل الإنجاز قاده إلى « التمييز في كل ملفوظ بين الفعل القضوي والقوة الإنجازية، ومعنى ذلك أن الجملة التي نتلفظ بها تتضمن محتوى قضويا، فضلا عن قوة إنجازية ملازمة له، فأن أقول **أعدك بالزيارة عما قريب**، يتضمن محتوى قضويا متمثلا في **سأزوك عما قريب**، وقوة إنجازية متمثلة في **أعدك**، وبذلك يكون المتكلم قد عبّر عن رغبته في زيارة المخاطب عما قريب استنادً إلى جملة من الشروط المفضية إلى تأويل الملفوظ، وهي شروط تتعالق فيها مقاصد المتكلم من جهة، والعرف الاجتماعي واللغوي من جهة أخرى.»[3]

2-1 شروط الملاءمة عند سيرل: قام سيرل بتطوير شروط الملاءمة وإعادة صياغتها، فقد حدد سبعة شروط متحكمة في الفعل الإنجازي، نوجزها فيما يلي:

- ✓ **الشروط الأولية: preliminary conditions** وهي شروط تبيّن ضرورة اشتراك المتخاطبين في جملة من المعارف القبلية التي تمثل خلفية background للتواصل بينهما.

1ـ خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي**، سطيف، الجزائر، 2009، ط1، ص: 98.

2ـ جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 91.

3ـ المرجع نفسه، ص: 92.

- ✓ **الشروط التحضيرية: preparatory conditions** وهي شروط متصلة بسياق الكلام الذي يؤطر حديث المتخاطبين، وتندرج هذه الشروط التحضيرية ضمن متضمنات القول.
- ✓ **شروط الغاية: purpose conditions** وتقتضي هذه الشروط أن للمتكلم غايات يرمي إليها، كالإخبار والتعبير والالتزام والتقرير...[1]
- ✓ **شروط المواضعة: onvention conditions** وتتشكل من التعابير اللسانية التي يلجأ إليها المتكلم لإنجاز فعل ما، مثل أعد، ألتزم، أتعهد...
- ✓ **شروط القصد: Intention conditions** وتضم مختلف النوايا التي بمقدور المتكلم عنها كالإخبار والاستفهام والأمر...
- ✓ **شروط المحتوى القضوي: propositional content conditions** وتتشكل من القواعد التركيبية والدلالية التي توجه القوة الإنجازية لملفوظ ما، فالمحتوى القضوي للوعد.
- ✓ **شروط الوفاء/ الإخلاص: Sincerity conditions** وتحدد هذه الشروط الحالة النفسية للمتكلم، من حيث اعتقاداته ورغباته ونواياه أثناء التلفظ بالفعل، فعندما يخبر المتكلم، فمن المفترض أن يكون حديثه صادقا، وعندما يلتزم بفعل شيء ما فذاك يقتضي القدرة على الوفاء بالوعد، وقد تختلف درجة قوة شرط الوفاء Degree of strength of the sincerity conditions من فعل لآخر.[2]

لقد تحقق التطوير الأساسي للنظرية على يد سيرل، وهذا ما يعرف بالمرحلة الأساسية الثانية لنظرية أفعال الكلام، حيث ظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمالات الأفعال الكلامية، مبنية على أنّ الكلام محكوم بقواعد مقصدية، يمكن تحديدها بأسس منهجية واضحة ومتصلة باللغة.

يرى سيرل بأنّ الأفعال الكلامية « يجب أن تؤدي الأفعال التمريرية قصديا فإذا لم تقصد أن تعطي وعداً، أو تصدر حكما، إذا فأنت لم تطلق وعداً أو حكما، غير أنّ الأفعال التأثيرية لا يجب أن

1- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 92.

2- المرجع نفسه، ص: 92،93.

تؤدى قصديا بالضرورة، قد تقنع شخصًا بشيء ما، أو تدفعه إلى فعل شيء، أو تزعجه، أو تحيره دون أن تقصد ذلك.»[1]

2-2 الوظائف العامة الخمس لأفعال الكلام ومميزاتها الأساسية عند سيرل:

لقد أعاد سيرل تصنيف أوستين للأفعال الكلامية وصنفها إلى خمسة أفعال تتمثل في: الإعلانات، والممثِلات، والمعبِرات، والموجِهات، والملزِمات.

- ✓ **الإعلانات declarations**: هي أنواع أفعال الكلام تلك التي تغير الحالة عبر لفظها.
- ✓ **الممثِلات representatives**: هي أنواع أفعال الكلام تلك التي تبيّن ما يؤمن به المتكلم أنه الحالة أم لا.
- ✓ **المعبِرات expressives**: هي أنواع أفعال الكلام تلك التي تبيّن ما يشعر به المتكلم؛ فهي تعبر عن حالات نفسية.
- ✓ **الموجِهات directives**: هي أنواع أفعال الكلام، تلك التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء ما.
- ✓ **الملزِمات commissives**: هي أنواع أفعال الكلام تلك التي يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل مستقبلي؛ لأنها تعبر عما ينويه المتكلم،[2] حيث تتمثل في هذا الجدول:

نوع فعل الكلام	العملية	س=المتكلم/ص=الحالة
الإعلانات	الكلمات تغير العالم	س بسبب ص
المَمثِلات	جعل الكلمات تلائم العالم	س يؤمن ص
المعبرات	جعل الكلمات تلائم العالم	س يشعر ص
الموجهات	جعل العالم يلائم الكلمات	س يريد ص
الملزمات	جعل العالم يلائم الكلمات	س ينوي ص

1- جون سيرل، **العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي**، تر، سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، 2006، ط1، ص: 203.

2- جورج يول، **التداولية**، تر، قصي العنابي، دار الأمان، الرباط، 2010م، ط1، ص: 90.

2-3 بنية الفعل الكلامي عند سيرل:

قام سيرل بتعديل التقسيم الذي قدمه أوستين للأفعال الكلامية حيث جعله أربعة أقسام، أبقى منها على القسمين الإنجازي والتأثيري، لكنه جعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين: [1]

- ✓ **الفعل النطقي utterence act**: وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.
- ✓ **الفعل القضوي propositional act** : وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع reference، والمتحدث به أو الخبر predication.
- ✓ **الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى minimal unit**: للاتصال اللغوي، ومن أمثلة ذلك:

1- يقرأ زيد الكتاب 2- أيقرأ زيد الكتاب

3- يا زيد، اقرأ الكتاب 4- لو يقرأ زيد الكتاب

إذن عند النطق بأيّ من هذه الجمل ينجز المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال في وقت واحد، الفعل النطقي، والذي يتمثل في النطق الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي، والفعل القضوي، والذي يتمثل في مرجع هو محور الحديث، والفعل الإنجازي الذي يتمثل في الإخبار في الأولى والاستفهام في الثانية والأمر في الثالثة والتمني في الرابعة.

- ✓ **الفعل التأثيري perlocutionary act**: ليس أساسي ولا يوجد له أهمية كبيرة عند سيرل؛ لأنه ليس من الضروري عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما.

الفعل الكلامي عند سيرل « أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم؛ لأنه مرتبط أيضاً بالعرف اللغوي الاجتماعي، كما استطاع سيرل أن يطور تصور أوستين لشروط الملاءمة أو الاستخدام felicity conditions الذي إذا تحقق في الفعل الكلامي كان موفقاً، فجعلها أربعة شروط، وطبقها تطبيقا موجزاً ومحكماً على أنماط من الأفعال الإنجازية، فطبقها على أفعال الرجاء، والإخبار، والاستفهام، والشكر، والنصح، والتحذير، والتحية، والتهنئة وبين ما قد يحتاجه كل منها إلى بعض شروط إضافية، وما يستغني منها عن بعض الشروط.»[2]

1- ينظر، محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، الإسكندرية، 2002، ص : 72.

2- المرجع نفسه، ص: 74.

2-4 نمذجة سيرل لنظرية أفعال الكلام: استفاد سيرل من الانتقادات التي وجهها بعض التداوليين لنظرية أوستين، حيث تمثلت انطلاقة سيرل في تغير منهجية أوستين، وذلك من خلال التمييز بين الأفعال verbs والأعمال Acts من جهة، والتركيز على مقاصد المتكلمين من جهة أخرى، فقد قسمها إلى خمسة أقسام هي:

- ✓ **الملفوظات التعهدية: commisives** تتصف بكون المتكلم يلتزم تجاه المخاطب بإنجاز عمل ما في المستقبل، وتكون الحالة النفسية هي الصدق/ القصد.
- ✓ **الملفوظات الإنجازية: Directives** تتوخى حمل المخاطب على إنجاز عمل ما.
- ✓ **الملفوظات الإخبارية: Assertives** تتميز بكون المتكلم يستهدف الإخبار بمحتوى معين، يعلم بصحته، لذلك فهي ملفوظات ينطبق عليها معيار الصدق والكذب. [1]
- ✓ **الملفوظات التصريحية: Declaratives** المتكلم في هذا الصنف يكشف عن مضمون واقعة ما، من خلال الإحالة إلى معطيات غير لسانية، والواقع الخارجي، لذلك يظل هذا الصنف من الملفوظات خاضعا للعرف المؤسسي والمجتمعي.
- ✓ **الملفوظات التعبيرية: expressive** تتحدد الغاية منها في تعبير المتكلم عن حالته النفسية، شرط أن تكون نيته صادقة، وهذا الصنف من الأفعال يوافق طبقة الأفعال السلوكية Behavitives verbs عند أوستين. [2]

وقد مهدت هذه النمذجة الطريق لسيرل من أجل إعادة النظر أيضا في مكونات الفعل الكلامي، ولم تختلف جهود سيرل كثيرا عما قدمه أستاذه باستثناء إضافة الفعل القضوي لمكونات الفعل الكلامي المباشر من جهة، والتعمق في دراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة من جهة أخرى.

2-5 التمييز بين أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة: ميّز سيرل بين ما أسماه الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة أو الحرفية وغير الحرفية، فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول، أما الأفعال غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم.

تكون الأفعال الكلامية مستندة إلى البنية، بحيث يوجد في الانجليزية تمييز بنوي بسيط للتفريق بين ثلاثة أنواع عامة لأفعال الكلام، بين الأشكال البنوية الثلاثة (الخبرية declarative، الاستفهامية

1- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 93.

2- المرجع نفسه، ص: 94.

interrogative، الأمرية imperative)، والوظائف التواصلية العامة الثلاث (جملة خبرية statement، سؤال question، أمر/طلب command / request).[1]

ومن أمثلة ذلك: أ – تضع حزام الأمان (خبرية).

ب – أتضع حزام الأمان؟ (إستفهامية).

ج – ضع حزام الأمان. (أمرية).

كلما وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة، نحصل على فعل كلام مباشر direct speech act، بينما كلما وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة، نحصل على فعل كلام غير مباشر indirect speech act، لذا يعتبر استعمال البنية الخبرية؛ لتكوين جملة خبرية فعل كلام مباشر، ولكن استعمال البنية الخبرية؛ لتكوين طلب فعل كلام غير مباشر، ونوضح ذلك بأمثلة: [2]

أ – الطقس بارد اليوم.

ب– أنا بهذا أخبرك عن الجو.

ج– أنا بهذا أطلب منك أن تغلق الباب.

إنّ اللفظ "**خبري**"، في أ، ولكن عند استعماله لتكوين جملة خبرية، كما في ب، حيث أعيدت صياغة الجملة، فإنه يؤدي وظيفة فعل كلام مباشر، وعند استعماله لتكوين أمر/ طلب،كما في الصياغة الأخرى في ج، فإنه يؤدي وظيفة فعل كلام غير مباشر.

يمكن استعمال بنى مختلفة لإنجاز الوظيفة الأساسية ذاتها، بحيث « يريد المتكلم من المخاطب أن لا يقف أمام التلفاز، كما أنّ الوظيفة الأساسية لجميع الألفاظ هي أمر/ طلب، غير أن البنية الأمرية في (أ) فقط تمثل فعل كلام مباشر، لم تستعمل البنية الاستفهامية في (ب) كسؤال فقط، لذا فهي فعل كلام غير مباشر.» [3]

تمثل البنية الخبرية في (ج) طلبا غير مباشر أيضا.

أ– تنح جانبًا! **ب**– أيتوجب عليك الوقوف أمام التلفاز. **ج**– أنت واقف أمام التلفاز.

يحتوي أكثر أنواع أفعال الكلام غير المباشر شيوعا في الانجليزية، على صيغة استفهامية ولكنه لا يستعمل عادة لطرح سؤال (أي أننا لا نتوقع جواباً فحسب وإنما فعلاً).

1- ينظر، جورج يول، **التداولية**، ص: 91.

2- ينظر، المصدر نفسه، ص: 92.

3- المصدر نفسه، ص: 92.

تفهم الأمثلة عادة على أنها طلبات.

أ- هل لك أن تناولني الملح ؟ **ب**- هل لك أن تفتح هذا ؟

وهذا نموذج شائع في الانجليزية والعربية، يمثل طرح السؤال عادة حول قابلية المستمع المفترضة (هل لك؟ ، أيمكنك؟) أو حول احتمالية مستقبلية للقيام بشيء (هل ستقوم؟) طلبا للقيام بذلك الشيء، إذن « ترتبط أفعال الكلام غير المباشرة عموما بتهذيب أعظم في الانجليزية والعربية يفوق ما يتطلبه الفعل المباشر، ولفهم السبب علينا إلقاء نظرة على صورة أكبر من مجرد لفظ منفرد يؤدي فعلا كلامياً واحداً.»[1]

انطلاقا مما سبق يكون سيرل قد وضع تفسيراً شمولياً للأفعال الكلامية غير المباشرة ولآليات تأويلها، فقد احتل سيرل مكانة متميزة في تداولية أفعال الكلام، وهو من أبرز رواد هذه النظرية، وقد وافق أستاذه أوستين في الكثير من مجالات الدرس التداولي، ولعل أهم مسألة كانت بمثابة القاسم المشترك بين الأستاذ وتلميذه؛ هي الفعل الإنجازي.

2-6 الأفعال الكلامية والخطاب التخييلي: إنّ نظرية أفعال الكلام التي أرسى دعائمها أوستين، وطوّرها سيرل حيث قادته "سيرل" إلى توسيع اشتغاله، فامتد به البحث في الأفعال الكلامية غير المباشرة إلى تناول موضوع الخطاب التخييلي عامة، والاستعارة خاصة.[2]

في حين يراها "سيرل" بأنها نوع من أنواع الخطاب الجدلي الخيالي، الذي يسعى فيه المتكلم بطريقة واعية مقصودة إلى التعبير عن نواياه بطريقة غير مباشرة، ومن أمثلة ذلك:

– إذا الموت اقترب، فلا راد له.

قال أبو ذؤيب الهذلي: وإذا المنية أنشبت أظفارها **** ألفيت كل تميمة لا تنفع

فالجملتان تعبران عن المحتوى القضوي نفسه، « ممثلا في وصف موعد اقتراب الموت، ووجه الاختلاف بينهما يتجلى في كون المثال الأول يفصح عن هذا المعنى بطريقة تقريرية مباشرة، فإنّ القوة الإنجازية في هذه الحالة حرفية، في حين أن الشاعر يعمد إلى التعبير عن المحتوى القضوي نفسه بطريقة غير مباشرة، موظفا الاستعارة حيث شبه انقضاض الموت على الإنسان بانقضاض الحيوان المفترس على فريسته ليجهز عليها، والسبيل إلى إدراك هذه المعنى الإيحائي هو تأويل الملفوظ من خلال

1- جورج يول، **التداولية**، ص: 93.

2- ينظر، جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 95.

الانتقال من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية المستلزمة اعتمادً على ملاحظة التنافر الموجود بين مكونات الملفوظ.»[1]

يلاحظ سيرل أن « الخطاب الكاذب يتصف بكونه غير خاضع لشروط المواضعة أو شروط القصد، لأجل ذلك لا يمكن اعتبار الكذب فعلا إنجازيا، بقدر ما يعتبره فعلا تأثيريا.»[2]

كما يرى سيرل بأنّ: « عمل التأثير بالقول يتحقق على نحو غير مباشر كما هو شأن العمل المتضمن في القول... لهذا يمكننا أن نفترض أنّ نجاح عمل التأثير بالقول الخاص بالكذب، مرتبط بشكل أو بآخر بنجاح العمل المتضمن في القول المتمثل في الإخبار المنجز بواسطته.»[3]

وعليه يمكن القول بأن نظرية الأفعال الكلامية مرت بعدة مراحل، لعل أهمها مرحلة التأسيس والنشأة يمثلها ج.ل.أوستين، ومرحلة النضج والضبط المنهجي يمثلها ج.ر.سيرل، حيث تعد "نظرية الأفعال الكلامية" أهم ما في الدرس التداولي، لم تعرف كنظرية لها أسسها الفلسفية وضوابطها المنهجية إلا على يد أوستين وتلميذه سيرل فهما اللذان أعطيا لهذه النظرية بعدها الفلسفي والعلمي حين درسا فلسفة اللغة العادية، أو اللغة المستعملة محللين الظواهر اللغوية والصيغ الكلامية التي ينشأ عنها الفعل الكلامي، لقد اهتم أوستين بالأساس بمعرفة كل ما يمكن أن تحققه بواسطة فعل اللغة، فبداخل مجال أفعال الكلام يتم التمييز بين أفعال الكلام الفعلية وأفعال الكلام الوصفية، كما بيّن أيضا " أوستين " أنّ كل قول يعبِّر عن عمل، فأقرّ الطبيعة الإنجازية للعبارات اللغوية، وقد ذكر أنّ حينما ننطق أفعالا معيّنة فإنّنا نقوم بأفعال كلامية، وهي في حقيقتها أفعال اجتماعية، ومنه فوظيفة اللغة في إطار هذا الطرح لا تقف عند حدود إيصال المعلومات أو وصف العالم، أو التعبير عن الفكر، كما هو متداول في اللسانيات البنيوية، أو اللسانيات التوليدية التحويلية، تحويل الأقوال إلى أفعال لغوية ذات صبغة اجتماعية معينة، تتحدّد بالسياق الذي ترد فيه؛ إذْ كل إنتاج لغوي يؤطره عقد كلامي معيّن، وهو مكون أساسي من مكونات الخطاب التداولي.

1- جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 95.

2- المرجع نفسه، ص: 96.

3- آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم**، ص: 40.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند العرب:

ومن بين الاهتمامات التي تميزت بها الدراسات اللغوية في التراث العربي، الاهتمام بدراسة النص باعتباره خطابا متكاملا، مع وصف البنية والشكل النحوي وكل ما يتعلق بعملية التواصل اللغوي، حيث لا يختلف البلاغيون عن الفلاسفة، في مبحث الخبر والإنشاء لدى البلاغين العرب، كما نلاحظ أن الخبر عندهم كلام يحتمل الصدق والكذب، ويصح أن يقال لصاحبه صادق أو كاذب.[1]

كما تحدث الدكتور عبد الرحيم الحلوي في كتابه تداوليات الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل، عن النحاة قائلا « قد أشاروا إلى أنّ جمل اللغة ليست عبارة عن إثباتات وحسب، بل هناك أساليب أخرى لا يدخلها الصدق ولا الكذب، كالاستفهام، والتعجب، والأمر، والتمني... لكن الفلاسفة أحسوا بصعوبة تمييز هذه الأساليب من الإثبات.»[2]

فتوجهت عناية النحاة والبلاغين العرب إلى « التفريق بين الجملة الخبرية والإنشائية إلى الطريقة التي تبنى بها الجملة، أو إلى ما تتضمنه من عناصر كلامية خاصة، أو إلى الصيغة، فتبيّن أنّ الخصائص الشكلية غير كافية، وتبيّن للنحاة أنّ الأصل في الجملة أن يتفق لفظها مع معناها، بيد أنّ هذا الأصل خولف في الاستعمال، ومن ثم قالوا بوجود جملة إنشائية لفظا وخبرية معنى، وبوجود جملة خبرية لفظا، وإنشائية معنى.»[3]

إنّ تقسيم العلماء العرب للخبر إلى أقسام، كان في غالب الأحيان يعتمد رؤية تداولية، « فقد يقع الخبر موقع الإنشاء إذا كان لإفادة التفاؤل، كأن يقصد به طلب الشيء، وصيغة الأمر هي الدالة عليه، فيعدل عنها إلى صيغة الماضي الدالة على تحقق الوقوع تفاؤلا بوقوعه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾[4]؛ إذْ قال الزمخشري: هو خبر في معنى الأمر، ويتجلى خروج الخبر عن أصله في صيغ كثيرة أبرزها: ألفاظ العقود والمعاهدات؛ وهي الصيغ التي تستعمل في إبرام العقود والمعاهدات والتي إجرائها يمثل أهم نقطة في بحث الأفعال الكلامية، وإنّ نموذج القول الذي يحصل به الفعل يتجلى بوضوح في هذا النوع من الأقوال، أما في غيرها، فقد جاءت لاحقا بتوسيع

1- ينظر، جواد ختام، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، ص: 86.

2- عبد الرحيم الحلوي، **تداوليات الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل**، ص:84،85.

3- محمد مدور، **نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة، دراسة تداولية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع16، 2012، ص: 52.

4- سورة **البقرة**، الآية: 228.

النظرية، والمصدر الأساسي لبحث هذا القسم الإنشائي؛ هو: كتب الفقه وأصوله التي تبحث عن أحكام المعاملات، فلا تتم إلا بالفعل الكلامي.»[1]

مثلا: **بعتك زوجتك، أعتقتك،** وبمعايير سيرل « فألفاظ العقود ضمن الأفعال المتضمنة في القول، هي السبب في بحث الظاهرة من أصلها.»[2]

1- الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند الأصوليين: قسّم الأصوليين الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أصناف، الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر، الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء، والأفعال الكلامية المنبثقة عن ألفاظ العقود والمعاهدات، وهذا ما قال به مسعود صحراوي، في كتابه التداولية عند العلماء العرب.

أمّا الأصوليون والفقهاء فقد تميّز بحثهم للظاهرتين الأسلوبيتين معا، برؤية تداولية محكومة بآلية البُعد المقاصدي، إذ اتخذوا من البحث فيهما أداة لاستنباط الأحكام والقواعد الشرعية، إضافة إلى محاولات عديدة لتقسيم الأساليب الإنشائية والخبرية، حيث أنّ العلماء العرب قسموا اللفظ المفيد إلى قسمين كبيرين هما: **الخبر والإنشاء،** وميزوا بين هذين الأسلوبين، فقد كان لبعض العلماء رؤية تداولية في تحديد قيمتي الصدق والكذب وفي التميز بين الخبر والإنشاء.[3]

1-1 الخبر: عرّف علماء البلاغة الخبر بأنه: « ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان صادقا وإن كان غير مطابق له كان كاذبا.»[4]

يرى مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند العلماء العرب، بأن فكرة تقسيم الكلام عند العرب نشأت مشتركة بين البلاغين وعلماء الأصول والنحاة والفلاسفة، حيث يشكل مفهوم الخبر والإنشاء في التراث العربي بابا يتساوى مع ما تعرضه نظرية أفعال الكلام التي عرضها أوستين وطوّرها سيرل، والخبر هو ما قبل الحكم عليه بالصدق أو الكذب، والإنشاء ما لا يقبل ذلك الحكم، وهي نفس الأفكار التي بنيت عليها نظرية أفعال الكلام، فالقول يتمحور في الخبر والإنشاء.[5]

1- محمد مدور، **نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة، دراسة تداولية**، ص: 53.

2- المرجع نفسه، ص: 53 .

3- ينظر، مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 92.

4- أحمد فهد صالح شاهين، **النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة**، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، 2015، ط1، ص: 38.

5- ينظر، مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 92.

1-1-1 تقسيم إبراهيم النظّام (ت231هـ): أشار طالب سيد هاشم الطبطبائي في كتابه نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، إلى أنّ النظّام المعتزلي رأى بأن « صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر، سواء طابق الواقع أم لم يطابقه، وكذب الخبر عدم مطابقته لاعتقاد المخبر سواءً لم يطابق الواقع أم طابقه »[1]، وقد قابل العلماء رأي النظّام هذا بشيء من الحدة، ومن عبارات تسفيههم له ما صرح به الدسوقي في قوله: أنّ « وجه كمال سخافته ما يلزم عليه من تصديق اليهودي إذ قال **الإسلام باطل** وتكذيبه إذا قال **الإسلام حق** وإجماع المسلمين ينادي على ذلك بالبطلان والفساد.»[2]

ولعل « النظّام قد أراد أمرا شبيها بما يحاوله اليوم بعض اللسانيين المعاصرين من تعيين قيمة تداولية للصدق في مقابل القيمة السيمانطيقية المتعارفة، فقيمة الصدق التي يقترحها هي تلك القيمة التداولية.»[3]

1-1-2 تقسيم الجاحظ (ت255هـ): يقول مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند العلماء العرب، لقد أورد سعد الدين التفتازاني التقسيم الآتي ونسبه إلى الجاحظ، ويمثله في الرسم التالي:

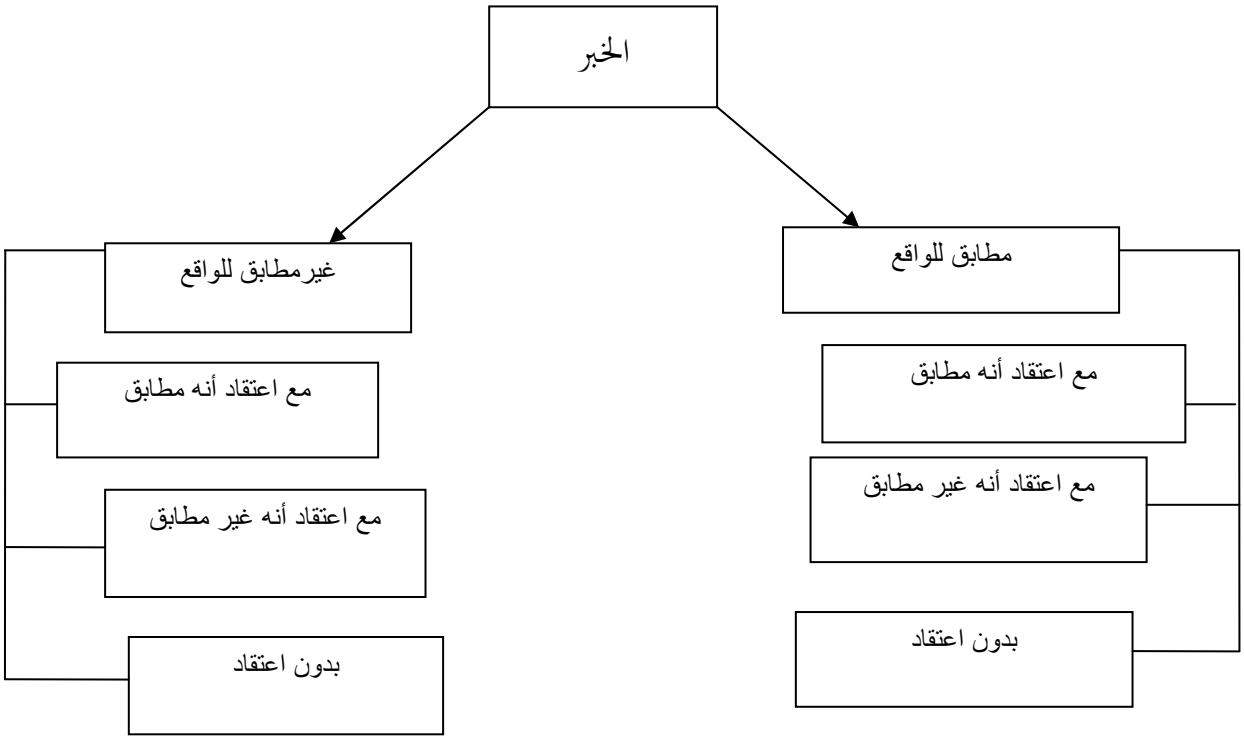

1- طالب سيد هاشم الطبطبائي، **نظرية الأفعال الكلامية، بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب**، ص: 52.

2- المرجع نفسه، ص: 53.

3- المرجع نفسه، ص: 53.

كما نجد الجاحظ قد قسم الخبر إلى قسمين، الخبر الصادق والخبر الكاذب، حيث أنّه « يحتكم إلى معيارين في الحكم على صدق الخبر أو كذبه، وهما: مطابقة الواقع، واعتقاد المخبر أو قصده، كما أضاف صنفا ثالثا من الأخبار صنَّفه بأنه **غير صادق ولا كاذب** وهو أمر خالف به جمهور العلماء والبلاغين العرب، ووافق النظّام المعتزلي، إذْ أنّ القسمة الثلاثية ناشئة عن اعتماد معيار تداولي في التصنيف هو اعتقاد المتكلم وقصده »[1]، وعليه تحصر الأنواع الصادقة والكاذبة من الخبر في التحديدات الآتية:

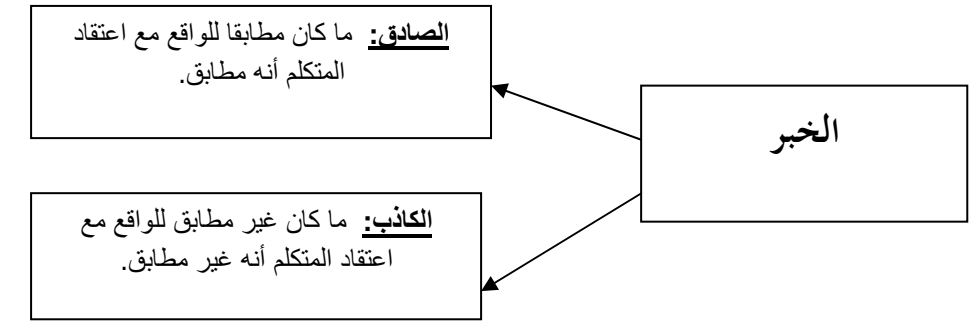

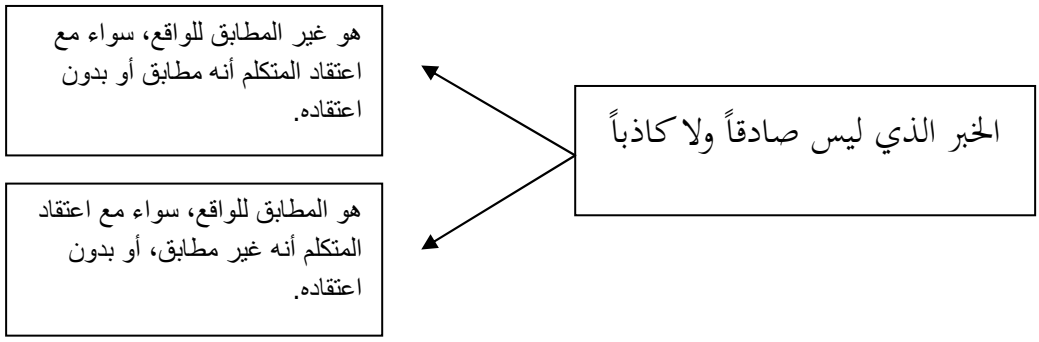

الجاحظ ينحو منحى تداوليا في تحليله، فعمله شبيه بعمل سيرل تلميذ أوستين، حينما جعل شرط الصراحة معيارً من معايير القوى المتضمنة في القول لإثبات هويتها الإنجازية.

1- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 94.

كما « يلتقي الجاحظ في هذه الرؤية التداولية بالدسوقي والسبكي حينما احتاجا إلى إدراج قصد المتكلم في التمييز بين الخبر والإنشاء"[1]، كما أنّ "رأي الجاحظ شبيه برأي النظّام، مع الإشارة إلى أنّ الجاحظ قد تتلمذ على يد النظّام.»[2]

1-1-3 تقسيم أبو العباس اللغوي*: (المبرد، ت 286هـ)؛ وهو تقسيم تداولي، قوي صريح؛ «لأنه يقوم على ملاحظة مقتضى الحال؛ أي مراعاة الموقف النفسي من حال السامع تجاه ما يُخبَر به، واضطرار المتكلم إلى تعديل الكلام والتصرّف فيه حتى يُلائم حال السامع ويؤدي وظيفته التواصلية الإبلاغية؛ وهو ما عُرف عند بعض المعاصرين بـ **التعالق بين الوظيفة والبنية** في الأنماط المقامية المختلفة.»[3]

في اللغة العربية ظاهرة الاختلاف والتباين في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول التي تحدث عنها سيرل موجودة بكثرة بفعل وفرة الأدوات الدالة على القوى الإنجازية المختلفة، والتي سمّاها النحاة **حروف المعاني**، وهي التي تُثري العربية بأساليب كثيرة متنوعة، وتمدها بطاقة تعبيرية هائلة، « كدلالة **رُبّ** على التقليل، و**كم الخبرية** على التكثير، ودلالة **ليت** على التمني، و**لعلّ** على الترجي، ودلالة **هل** على الاستفهام، ودلالة **إنّ** و **أنّ** على التوكيد، ودلالة **نِعمَ** على المدح، و**بِئسَ** على الذم، ودلالة **الواو والباء** على القسم، ودلالة **ألا** على العرض، و**هلاّ** على التحضيض، وهذان الأخيران نوعان مختلفان للطلب يحكمهما مبدأ **درجة الشدة للغرض المتضمن في القول**، كما أنّ التوكيد نوع للخبر يختلف عن القسم والشرط، ويحكم الجميع نفس المبدأ الذي تحدث عنه سيرل... وهكذا بقية الأدوات المسماة عندهم حروف المعاني.»[4]

كما اختلف العلماء في تنميط ظواهر أسلوبية أخرى، إذْ « عدّها أغلبهم من **الخبر** وخالف فريق آخر فعدّها من **الإنشاء** ومن تلك الظواهر: الوعد والوعيد، والشهادة والرواية... الخ، فقد صرَّح السيوطي بأن من أقسام الخبر، الوعد والوعيد، لكن أشار إلى أنّ في كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه

1- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 94.

2- طالب سيد هاشم الطبطبائي، **نظرية الأفعال الكلامية**، ص: 53.

*اختلف العلماء في من يكون أبو العباس هذا: هل هو ثعلب أم المبرد؟ وقد كانا متعاصرين، ويرجح أنه الثاني. ينظر: مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 95.

3- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 95.

4- المرجع نفسه، ص: 97.

إنشاء، وكذلك صرّح السبكي وأضاف بأنه إن كان من الإنشاء فهو من الإنشاء غير الطلبي»[1]، حيث نجد القاضي عبد الجبار « فرق بين الوعد والوعيد، وفرق أيضا بين **الكذب** و**الخلف**؛ فالكذب؛ كل خبر لو كان له مخبر لكان مخبره لا على ما هو به، أما الخلف؛ فهو أن يخبر أنه يفعل فعلاً في المستقبل ثم لا يفعله، فعلى هذا التحديد يكون الخلف متعلقا بـ **الوعد**، وأمّا **الكذب** فخبر عادي لا يُطابق مخبره، كما يرى شهاب الدين القرافي؛ أنّ الكذب يختص بالماضي والحاضر، والوعد إنما يتعلق بالمستقبل فلا يدخله الكذب.»[2]

2- الإنشاء: يرى الخطيب القزويني أنّ « الإنشاء ضربان: طلب، وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل »[3]، وكذلك أيضا » قد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك، كالتهديد.»[4]

كما يرى محمود أحمد نحلة في كتابه آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، بأنّ « الإنشاء ليس له واقع يطابقه أو لا يطابقه، ولا يوصف بصدق ولا كذب»[5]، أمّا أحمد فهد صالح شاهين يرى في كتابه النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، بأنّ القسم الثاني من أقسام القول فهو الإنشاء وهو: « ما لا يحتمل الصدق والكذب، وقد قسمه البلاغيون إلى ضربين: طلبي، وغير طلبي.»[6]

2-1 أنواع الإنشاء الطلبي:

2-1-1 التمني: هو أن تطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعاً فيه، مع حكم العقل بامتناعه، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.[7]

2-1-2 الاستفهام: هو طلب العلم بأمر معين، كما أنه من الأساليب البلاغية التي تخرج عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستنتج من المقام وملابسات العملية التواصلية، فلقد "رأى السكاكي

1- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 103.

2- المرجع نفسه، ص: 104.

3- الخطيب القزويني، **في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003 ، ط1، ص: 108.

4- المصدر نفسه، ص: 117.

5- أحمد محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 94.

6- أحمد فهد صالح شاهين، **النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة**، ص: 45.

7- سورة **الأنعام**، الآية: 27.

أنّ المعاني الأصلية للطلب خمسة هي **التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء**، والتمني – فيما أرى ليس طلبا–؛ بل هو تعبير عن رغبة تحرك في النفس فهو داخل في التعبيريات، أمّا النداء فلا يُعد فعلا كلاميا؛ لأنه لا يعبر عن قضية proposition أو لا يقوم على الإسناد، وتقديرهم لإسناد محذوف غير مقبول، كما ذكر السكاكي أنّ الطلب بأنواعه يخرج عن المعنى الأصلي إلى المعنى المقامي حين يمتنع بقرائن الأحوال ومقامات الكلام إجراؤه على الأصل فيتولد عنه معنى آخر يخالف المعنى الأصلي."[1]

لقد أقر جمع من الأصوليين أن صيغ الأمر والنهي تستدعي فعلا، وتستلزم نقيض ذلك الفعل المستدعي بالقول، في حين أنكر فريق آخر هذه الفكرة، معتبرين أنّ فعل القول في الأمر والنهي يستدعي فعلا آخر يتحقق بمجرد التلفظ به.

إنّ فعل القول يتضمن فعلا، ويستلزم نقيضه، فيكون الفعل الكلامي متفرعا إلى عدة تفريعات فيما يتعلق بالأمر والنهي، كما يتبين أنّ الأصوليين على اختلاف مذاهبهم وتنوع مشاربهم قد أثاروا قضايا لغوية دقيقة ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمنهج التداولي في دراستهم للمنجز اللغوي أثناء الاستعمال، إذْ تتجلى ملامح نظرية الأفعال الكلامية التي جاء بها أوستين بوضوح في مباحث التكليف عند الأصوليين، فالمتفق عليه أنّ الأمر والنهي هي أفعال يطلب حصولها بأقوال، مما يكشف عن فكر تداولي متميز.

تعددت أدوات الاستفهام في العربية وتعددت معانيها بحسب الاستخدام والقرائن المصاحبة لها، وأدوات الاستفهام كثيرة منها: « الهمزة، هل، ما، من، أي، كم، كيف، أين، متى، أنّى، أيان، فكيف يستفهم بها عن الحال، وكم يسأل بها عن العدد، أين يستفهم بها عن المكان، ومتى يستفهم بها عن الزمان، وأيان يستفهم بها عن المستقبل...»[2] لكن تلك الأدوات لا ترتبط بدلالتها ارتباطا تلازمياً، فقد تخرج أدوات الاستفهام عن مقتضى دلالاتها الظاهرة لأغراض تواصلية يحكمها سياق الحديث وما يقتضيه المقام، فالاستفهام يخرج عن وظيفته اللغوية لغايات بلاغية تداولية يحددها السياق ويكشف عنها، ومن هذه الأغراض:

– **التقرير**: قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾.[3]

1- محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 114.

2- أحمد فهد صالح شاهين، **النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة**، ص: 47.

3- سورة **الأنبياء**، الآية: 62.

– **التعجب**: قال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.[1]

– **الوعيد**: قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾.[2]

–**الأمر**: قال تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.[3]

–**النهي**: قال تعالى: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.[4]

2–1–3 الأمر: الأمر هو طلب حصول أو إيقاع فعل، والنهي هو طلب ترك الفعل، أمّا ابن وهب فيرى أن الأمر يكون لمن دونك، ويقسمه إلى قسمين فيقول: « أحدهما ما أمرت أن تعمل فيخص باسم الأمر، والآخر ما أمرت بأن يترك فيسمى به نهيًا. »[5] وللأمر صيغ محددة لها دلالات محددة تصدر من مرسل إلى متلقي على وجه الاستعلاء، فعل الأمر أفعل، وفعل المضارع المسبوق باللام، واسم الفعل **صه، حذار**، أما الأمر الثاني فهو علاقة المرسل بالمتلقي، « والتي تتحكم ببنية النص الداخلية... فليست المسألة لغوية بحتة، بل لغوية تداولية ؛ فهي التي تحول دلالة الصيغة من الأمر إلى غير ذلك بحسب مناسبة المقام ومن تلك الأغراض":[6]

– **الدعاء**: وذلك إذا استعملت صيغة الأمر في طلب الفعل على سبيل التضرع: قال تعالى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾.[7]

– **الالتماس**: قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾.[8]

– **التعجيز**: قال تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.[9]

1- سورة **البقرة**، الآية: 28.

2- سورة **المرسلات**، الآية: 15.

3- سورة **هود**، الآية: 14.

4- سورة **التوبة**، الآية: 13.

5- ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، تح، حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، ج1، القاهرة، 1969، ص: 2.

6- أحمد فهد صالح شاهين، **النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة**، ص: 51.

7- سورة **نوح**، الآية: 28.

8- سورة **يونس**،الآية: 80.

9- سورة **البقرة**، الآية: 23.

– **التهديد والوعيد:** قال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.[1]

– **التهكم:** قال تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾.[2]

وبهذا يبدوا أن « الطلب باستعمال صيغة الأمر ليس تابعا للمواضعة اللغوية فقط، وإنما المعول عليه هو قرائن سياقية تداولية، فلا يحدد أي نوع من هذه الأنواع، الأمر، والدعاء، والالتماس، إلا عبر رؤية تداولية فحواها النظر إلى حال المتكلم أو منزلته مقارنة مع المخاطب. »[3]

نجد النهي هو إنشاء طلبي لا يختلف عن الأمر في الطلب على وجه الاستعلاء، غير أنّ النهي طلب الكف عن أمر محدد، يصدر ممن هو أعلى مرتبة إلى ممن هو دونه، وله صيغة واحدة يتلفظ بها المرسل في خطابه؛ أي **لا تفعل**، كما للنهي حرف واحد وهو **لا** الجازمة.[4]

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾.[5]

وقد يعبّر النهي « عن أمور أخرى يكشف عنها السياق ويحددها الموقف الكلامي، وطبيعة من تصدر عنه صيغة النهي ومن تصدر إليه تلك الصيغة، فقد تتضمن صيغة النهي قوة إنجازية تؤدي وظائف تواصلية معينة يحكمها مبدأ الغرض أو القصد الذي يبتغيه المتكلم من خطابه، فإن جاءت صيغة النهي من الأدنى إلى الأعلى في صيغة الأمر أفادت: الدعاء، والالتماس، والتهديد، والتوبيخ، والنداء.»[6]

وعليه يمكن القول بإدراج الإنشاء بقسميه الطلبي وغير الطلبي ضمن الإعلانات والمِثلات والموجهات والملزمات والتعبيرات، فالأفعال الإنجازية تنهض من جهتها بإقامة العلاقة فيما بين المتكلم والمتلقي، فواقع الأساليب الإنشائية هو الواقع الخارجي الذي يقع في نفوس المتلقي مع التمني، والأمر، والنهي، والاستفهام، إلى غير ذلك.

2-1-4 أسلوب القصر وموقف السامع من الخطاب: يُعد القصر « -وهو من علم المعاني - أحد الموضوعات البلاغية التي تهتم في مباحثها بالسامع، وموقفه من الخطاب، ومعناه يرجع إلى

1- سورة **فصلت**، الآية: 40.

2- سورة **الدخان**، الآية: 49.

3- أحمد فهد صالح شاهين، **النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة**، ص: 51.

4- ينظر، المرجع نفسه، ص: 52.

5- سورة **الإسراء**، الآية: 36.

6- أحمد فهد صالح شاهين، **النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة**، ص: 53.

تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان »[1]، كقولك: زيد شاعر لا منجم، لمن يعتقده شاعراً ومنجماً، كما أنه « يشترك مع مجالات اللسانيات التداولية التي تتناول ما يرتبط بالسامع في دراستها للّغة »[2]، نجد القزويني قد « ميّز بين حالتين للمخاطبين في أساليب القصر:

المخاطب الأول: يعتقد الشركة؛ أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعا، فيكون القصر حقيقيا، نحو: ما زيد إلا كاتب، لمن يعتقد أنه يتصف بصفات أخرى غير الكتابة.

المخاطب الثاني: يعتقد العكس؛ أي اتصاف ذلك الأمر بغير تلك الصفة، فيكون فيها القصر قصر قلب، لأنه يتم فيه قلب حكم السامع، نحو: ما شاعر إلا زيد، لمن يعتقد أنّ غيره شاعر أيضا.

إذن القصر بحسب هذين الحالتين يقوم مفهومه على السامع أساسا، وبذلك فهو يُدرج ضمن الاهتمامات التداولية في الدرس العربي القديم.»[3]

3- نظرية الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند النحاة: جاء في كتاب شرح شذور الذهب لابن هشام النحوي، بأنّ النحاة قد قسموا الكلام إلى « خبر وطلب وإنشاء، وضابطُ ذلك أنه إمّا أن يحتمل الكلام التصديق والتكذيب أو لا، فإن احتملهما فهو خبر، وإن لم يحتملهما فإمّا أن يتأخر وُجُودُ معناه عن وجود لفظه، أو يَقترِنَا، فإن تأخّر عنه فهو الطلبُ، وإن اقترنا فهو الإنشاء.»[4]

يرى خالد ميلاد في كتابه الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية بأنّ « الأمر والنهي عند النحاة صيغ مخصوصة مجرّدة، لذلك فإنّه لا يشترط فيهما استعلاء أو غيره مما سيخوض فيه الأصوليين بصفة خاصة، كما يرى أيضا أنّ الأمر صيغة يصح أن يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب، وقد سعى النحاة إلى ضبط هذا الاختصاص؛ حيث أنّه يجري على مستويين اثنين:

- مستوى أوّل يتحدّد بمنزلة المتكلم من المخاطب.

1- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 187.

2- المرجع نفسه، ص: 187.

3- المرجع نفسه، ص: 188.

4- جمال الدين أبي عبد الله بن يوسف، ابن هشام النحوي، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تح، محمد أبو الفضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص: 21.

– مستوى ثان يتحدّد بموقف المتكلم، من المخاطب وغرضه ومقصده وما يأتلف مع ذلك من ألوان المقامات، ويمكن أن نقسّم هذا المستوى إلى قسمين: قسم يحافظ فيه لفظ الأمر على هيئته، وقسم ثان يضمر فيه لفظ الأمر قياسا. »[1]

والنحاة في كلّ ذلك « يميّزون الأمر باعتباره معنى نحويا من الدعاء والالتماس باعتبارهما معنيين نحويين مقاميين، فسمى النحاة جميع ذلك أمرا...وكذا الكلام في النهي.»[2]

3-1 قضايا التداولية في النحو العربي:

3-1-1 تداولية المخاطِب في النحو العربي: للمتكلم مكانة بارزة في الدرس النحوي العربي؛ حيث « يُعتدّ به في كثير من المباحث نحو الفرق بين الكلام والتكليم الذي مرّ بيانه؛ ف التكليم تعليق الكلام بالمخاطب، فهو أخص من الكلام، وذلك أنه ليس كل كلام خطابا للغير، وأنّ المتكلم هو فاعل الكلام فقد سُميّ متكلما بالنظر إلى الفعل الذي يؤديه، كما تجاوز ابن جني ذلك إلى حدّ أنه أرجع أمر الرفع والنّصب والجر للمتكلم نفسه »[3]، فلقد فرق بين الكلام والقول، بحيث أنّ «المجال الدلالي للقول هو الخفة والحركة، خلاف مجال الكلام الذي يتحدد في القوة والشدة، ويعدّ كل كلام قولا وليس كل قول كلاما، ويجمع الشروط التي حددّها النحاة للكلام في كلّ لفظ يستقلّ بنفسه مفيد لمعناه، كما أضاف السيوطي على هذه الشروط شرطاً آخر هو القصد، كذلك ابن هشام أدخل القصد قي مفهوم الكلام، فقال: الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالقصد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه، فشروط الكلام مرتبطة بالمتكلم لأنّ ابتداء الكلام واختتامه والقصد فيه، مرتبط به لا بغيره.»[4]

وتظهر القيمة التداولية للمتكلم خلال القصد في قولنا: جاءني زيد (جملة فعلية) يظهر فيها الاهتمام بالمعنى، قبل الشخص المسند إليه.

زيد جاءني (جملة اسمية) يظهر فيها الاهتمام بالشخص قبل المجيء والمسند.

وكذلك ما في التنكير من تعظيم في (جاءني رجل)، وما في التعريف من أنه ليعادله أحد من الرجال في (جاءني الرجل): وكلّ ذلك متعلق بقصد المتكلم ومنوط به.

1- خالد ميلاد، **الإنشاء في العربية، بين التركيب والدلالة**، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، تونس، 2001، ط1، ص: 438.

2- المرجع نفسه، ص:339،340 .

3- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 220.

4- المرجع نفسه، ص: 221.

3-1-2 تداولية المخاطَب في النحو العربي: تتضح قيمة السامع في الدرس النّحوي من خلال جملة من الشواهد أهمها مفهوم الكلام وأقسامه، حيث قُسم اعتدادً بالسامع، وفي هذا قيمة تداولية، يقول ابن فارس في (باب مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله): « أما واضح الكلام فالذي يفهمه كلّ سامع عرف ظاهر كلام العرب فوضوح الكلام قائم على مدى فهم السامع له، بناء على الأساليب اللغوية التي يعرفها، وحقيقة الكلام نفسه مرتبطة بما سُمع وفهم، وذلك قولنا: قام زيد وذهب عمرو»[1]، كما ذكر ابن الأثير في التفسير بعد الإبهام؛ إذْ يعمد إلى استعماله لضرب من المبالغة، لتفخيم أمر المبهم وإعظامه، لأنه هو الذي يطرق السمع أولا، فيذهب بالسامع كلّ مذهب، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[2]، حيث يعمد المتكلم إلى أن يبهم كلامه ثم يفسره بعد ذلك، وهنا تبدو قيمة السامع ودوره في بناء مثل هذا الخطاب.

والكلام عند النحاة « مرتبط بالفائدة وما يحرزه السامع من نفع، والفائدة نفسها تتحدّد بالسامع دون غيره،كما يرى ابن عقيل في شرح الكلام عند النحاة: أنّ اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها(...) والكلم ما تركّب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه؛ أي أنّ تعريف الكلام كان بالنظر إلى موقف اتصالي ما، وهي قيمة تداولية معتمدة في بيان الكلام من غيره عند النحاة.»[3]

وفحوى القول إذن، أنّ ما يحكم الفرق بين الجملة والكلام والقول عند النّحاة، أربعة مقاييس، ومنها ما يرتبط بالمخاطِب، ومنها ما يرتبط بالمخاطَب، ومنها ما يرتبط بالخطاب في ذاته، وهي: الإسناد، القصد، الإفادة وحسن السكوت، وهي مقاييس تداولية في الواقع، لاسيما الثلاثة الأخيرة التي لا تتحقق إلا بالانسجام الفعلي للغة، ومن مواضع الاهتمام بالمخاطب أيضا، ما ورد في باب الحذف؛ أي أنه ينبغي للحذف أن يقوم على دليل يعرفه المخاطب، نحو قوله تعالى:

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾.[4]

3-1-3 تداولية الخطاب في ذاته في النحو العربي: يحظى الخطاب « بقيمة كبيرة في الدرس النّحوي العربي، وأوّل ما يلفت النظر في ذلك دراسة النّحاة لأغراض الأساليب، وخروج أسلوب من

1- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 222 .

2- سورة **الحجر**، الآية: 66.

3- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 223.

4- سورة **النحل**، الآية: 30.

معنى حقيقي لاصق، إلى معنى آخر، فتناولوا مثلا خروج أداة الاستفهام من الدلالة على السؤال إلى الدلالة على معان أخرى، نحو الإنكار وغيره، ونحو الدلالات التي فصلها ابن هشام لـ **(ال)** التعريف، وجعلها عهدية وجنسية، وكلّ منها ثلاثة أقسام، ترتبط بالاستخدام الفعلي للغة، لاسيما أقسام **(ال)** العهدية »[1]، وهي:

- ✓ **أن يكون مصحوبها معهوداً ذكرياً**، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾.[2]
- ✓ **أن يكون مصحوبها معهوداً ذهنياً**، نحو قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.[3]
- ✓ **أن يكون مصحوبها معهودا حضوريا**، نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[4]

ومن أهم مباحث النّحو العربي التي اهتمت بتداولية الخطاب أيضا، التقديم والتأخير، « فتناول النّحاة دواعي تقديم المسند إليه، ومنها أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه نحو: والذي حارتِ البريةُ فيه *** حيوانُ مستحدثُ من جماد»[5]

وذكروا إلى جانب ذلك « خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، فيوضع المضمر موضع المظهر، نحو التزام تقديم ضمير الشأن، أو القصة في نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾.[6]

فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه، ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض وقوع الفعل ممن وقع منه، لا وقوعه على من وقع عليه»[7]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾.[8]

1- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 225.

2- سورة **المزمل**، الآية: 16،15.

3- سورة **الفتح**، الآية: 18.

4- سورة **المزمل**: 2،1.

5- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 226.

6- سورة **الإخلاص**، الآية: 1.

7- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 227.

8- سورة **الإسراء**، الآية: 31.

ومن مباحث الخطاب ذاته في النحو العربي، « التعبير بالجملة الفعلية واختلافه عن التعبير بالجملة الاسمية، حيث يكون الأوّل عندما يتلقى السامع الخبر لأول مرّة وليس لديه فكرة عنه، أما الثاني فيكون حين يملك السامع على الأقل أدنى معرفة بموضوع الحديث، لكن المتكلم يرسله بقصد ومبالغة، ولقد ذكر ابن الأثير أمثلة له منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[1]، فقد عبّروا بالفعلية حين حديثهم مع المؤمنين، وبالاسمية مع إخوانهم الكفار.»[2]

وتحدّث النحاة أيضا « عن الوحدات اللغوية، نحو الضمائر، أسماء الإشارة، الظروف الزمنية والمكانية، وزمن الفعل... وغيرها من الوحدات التي ترد فيها، وهي بذلك ذات دلالات تداولية، اشترك في دراستها النّحويون قديما، واللسانيون التداوليون حديثا.

لقد قدّم سيبويه في نظرته إلى المعنى وعلاقته بالبنية، إلى جانب ربط ذلك بمدى صحته في الاستعمال ومطابقة الكلام للواقع، حيث جعل المعنى في العربية خمسة أقسام:

- مستقيم حسن: أتيتك أمسن سأتيك غدا.
- مستقيم محال: أتيتك غدا، وسأتيك أمس.
- مستقيم كذب: حملت الجبل، شربت ماء البحر.
- مستقيم قبيح: قد زيدا رأيت.
- محال كذب: سوف أشرب ماء البحر أمس.»[3]

حتى أنّ مفهوم الشعر ذاته، « يحمل قيما تداولية، نحو: القصد، حمل المخاطب على فعل سلوك ما، يقول في ذلك القرطاجني: الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يجيب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكرهيه لتحمل بذلك على طلبه، والهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصوّرة بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو مجموع ذلك.»[4]

1- سورة **البقرة**، الآية: 14.

2- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 228.

3. المرجع نفسه، ص: 229.

4- المرجع نفسه، ص: 231.

أمّا في الخطابة، « فأكثر ما ترتبط بمبحث الحجاج، أحد أهم المباحث التداولية، حيث أنه متوفر في كلّ لحظة من لحظات استعمال اللغة، وهو مهيمن على اللغة ذاتها إلى جانب هيمنته على الطرف الثاني من الحوار فيصبح حينها مكتسبا بعداً تواصلياً.»[1]

فحوى الكلام إذن، أنّ نظرة اللغويين والبلاغيين وعلماء الأصول وعلماء كلام العرب إلى هذه الظاهرة، تتميز بالشمولية لإدراكهم للبعد التبادلي والتفاعلي للغة، فاعتماد القدماء عند دراسة ظاهرة الاستفهام على جوانب لغوية تتعلق بالتراكيب الاستفهامية، وجوانب غير لغوية تتعلق بالجوانب الدلالية، التداولية كشرط طلب في الاستفهام، وكون الآمر أعلى منزلة من المأمور في ظاهرة الأمر، فظاهرة الأفعال الكلامية تندرج في التراث العربي ضمن مباحث علم المعاني، فتقابل ما اصطُلح عليه بمبحثي الخبر والإنشاء، حيث يشكل مفهوم الخبر والإنشاء في التراث العربي بعامة سواء عند اللغويين أو البلاغيين أو النحويين أو الأصوليين، بابا مهما يقف على قدم المساواة، ودليل ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء، فالجملة الخبرية هي التي تحتمل الصدق والكذب، أما الجملة الإنشائية هي نوعان إما أنها لا تحتمل الصدق والكذب، وإما أنّ مدلولها يتحقق بمجرد النطق بها.

1- خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية**، ص: 231.

المبحث الثالث: أوجه الإختلاف والإتفاق بين الجاحظ وأوستين:

1- أفعال الكلام عند الجاحظ: لقد قام الجاحظ بجمع إسهامات من سبقوه ومن عاصروه من الأدباء والبلاغين، بالإضافة إلى كل ما اهتدى إليه من حقائق بلاغية، حيث نظر إلى اللغة من زاوية وظيفتها، ونجاعتها في المجادلة، وقدرتها على التأثير في المتلقي وإقناعه، ومن هذا المنظور حدد مفهوم البلاغة، وماهية البيان، وضبط مقاييس الأسلوب لفصاحة النص وبلاغته، انطلاقا من فكرة التواصل، ممّا ولد في صلب نظريته الاهتمام بالخطيب، والمخاطب والخطاب، كما خصص الجاحظ في كتابه البيان والتبيين فصولاً للخطابة مبينا صفات الخطيب، حيث ركز على المخاطبين وعلى ضرورة مراعاة أحوالهم وطبقاتهم السياسية والاجتماعية، أو ما يسمى بـ **مراعاة مقتضى الحال**؛ لأنّ غاية الخطيب هي الفهم والإفهام، والإقناع، ومن هنا يحصل الفعل الكلامي، حيث تتمثل الأفعال الإنجازية في الإفهام، أمّا الأفعال التأثيرية تتمثل في الإقناع.

1-1 الإفهام: يقول الجاحظ: « ومدار الأمر على إفهام كلّ قومٍ بمقدارِ طاقتهم، والحملِ عليهم على أقدار منازلهم، وأن تُواتيهَ آلاتُه، وتتصرّفَ معه أداتهُ، ويكونَ في التُهمَة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظنِّ بها مقتصدا.»[1]

كما قال: أنّ عبد الرحمن بن اسحاق القاضي يروي عن جده بن سلمة، قائلا: سمعت أبا مسلمٍ يقول: سمعت الإمام إبراهيم بن محمد يقول: « يكفي من حظِّ البلاغة أن لا يؤتى السَّامع من سوء إفهام النَّاطق، ولا يؤتى النَّاطق من سوء فهم السّامع. »[2]

2-1 الإقناع: تحدث الجاحظ عن صفات الخطيب، منها الإقناع والتأثير في المتلقي، قائلا: « جِمَاع البلاغة البَصر بالحُجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال أيضا: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفُرصة، أن تدَعَ الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعرَ طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغَ في الدّرك، وأحق بالظفر.»[3]

قال كذلك: « أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابطَ الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخيّر اللّفظ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السّوقة، ويكون في قواه فضلُ التصرّف في كلّ طبقة، ولا يدقّق المعاني كلّ التدقيق، ولا يُنقحَ الألفاظ كل

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، مج1، ص: 93.

2- المصدر نقسه، ص: 87.

3- المصدر نقسه، ص: 88.

التنقيح، ولا يُصفيها كلّ التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعلَ ذلك حتى يصادِفَ حكيماً، أو فيلسوفا عليماً، ومَن قد تعوّد حذف فُضول الكلام، وإسقاط مشتركات الألفاظ.»[1]

كما قال أيضاً: « البيان اسم جامع لكلّ شيء كشفَ لك قناع المعنى، وهتَكَ الحِجَاب دون الضمير، حتى يُفضى السّامع إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ، ومن أيّ جنس كان الدّليل؛ لأن مدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجري القائل والسّامع، إنّما هو الفهم والإفهام؛ فبأيّ شيء بلغتَ الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع. »[2]

1-3 أسلوبي الخبر والإنشاء عند الجاحظ: لقد ذكرنا سابقا، بأنّ العرب قسموا الكلام إلى قسمين الخبر والإنشاء، « الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب؛ أي منحصر في الصدق والكذب، مع مراعاة قصد واعتقاد المخبر، فالخبر يقبل الحكم عليه بالثبوت أو النفي، أمّا الإنشاء هو ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا، كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء وغيرها، وينقسم إلى طلبي وغير طلبي، الإنشاء غير الطلبي هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وهو على أقسام: المدح والذم وألفاظ العقود، أما الإنشاء الطلبي فهو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب – حسب اعتقاد المتكلم – وهو مجال علم المعاني»[3]، وأنواعه خمسة: الأول: « الأمر، وهو طلب حصول الفعل من المخاطب على سبيل الاستعلاء، ومن ذلك الدعاء، والالتماس، والإرشاد، والتهديد، والتعجيز، والإباحة، والتسوية، والتكريم... والتعجب، الثاني: النهي، وهو طلب المتكلم من المخاطب الكف عن الفعل، على سبيل الاستعلاء، ومن ذلك الدعاء والالتماس، والإرشاد والدوام...التحقير، الثالث: الاستفهام، وهو طلب الفهم، فيما يكون المستفهم عنه مجهولا لدى المتكلم، وقد يكون لغير ذلك كالأمر، والنهي، والتسوية، والنفي، والإنكار، والتشويق... والتكثير»[4]، الرابع: « التمني، وهو طلب المحبوب الذي لا يرجى حصوله، لاستحالته عقلا أو شرعا أو عادة، والفرق بين التمني والترجي، أن التمني يأتي فيما لا يرجى حصوله، ممكنا كان أم ممتنعا، والترجي فيما يرجى حصوله، الخامس: النداء، وهو طلب توجه المخاطب إلى المتكلم، وربما يسعى النداء إلى تحقيق غايات أخرى كالاستغاثة، والإغراء، والزجر، والتعجب، والتضجر، والتذكر»[5].

1- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام هارون، مج1، ص: 92.

2- المصدر نفسه، ص: 76.

3- بهاء الدين محمد مزيد، **من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية**، القاهرة، 2010، ط1، ص: 53.

4- المرجع نفسه، ص: 53.

5- المرجع نفسه، ص: 53.

كما يطلق أيضا «على نفس الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه وقد يقال على ما هو فعل المتكلم.»[1]

قد قسم الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي، الإنشاء الطلبي كالاستفهام والأمر والنهي والتمني والنداء، وغير طلبي، كالترجي، والقسم، والمدح، والذم، والتعجب، وألفاظ العقود.

1-3-1 الأمر: قال الجاحظ: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[2] هنا أسلوب الأمر؛ حيث أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يلقي عصاه عن يمينه، فلما ألقى العصا صارت حية تتحرك بجد وجلادة وذلك أمر غير مترقب من جماد لا حياة له.[3]

1-3-2 الاستفهام: قال الجاحظ: وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلُّق فرعونَ بكلِّ سبب، واستراحته إلى كل شغَب، ونبَّهنا بذلك على مذهبِ كلِّ جاحدٍ معاند، وكلِّ مُحتالٍ مكايِد[4]، حين خبرنا بقوله: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾.[5]

لنجد في الآية استفهام تقريري، وذلك حين فرعون قلل وصغر من شأن موسى، وعاب عليه واحتقره لعِيِّ لسانه، فقد حمل فرعون على هذا القول الكفرُ والعنادُ والصدُّ عن سبيل الله.

إذْ يرى الطاهر بن عاشور في تأويل الآية الكريمة أنّ، « أم مُنقطعة بمعنى بل للإضراب الانتقالي، والتقدير: بل أأنا خيرٌ، والاستفهام اللازمُ تقديره بعدها تقريري، ومقصودُهُ: تصغير شأن موسى في نفوسهم بأشياء هي عوارضُ ليست مؤثرةً انتقلَ من تعظيم شأن نفسهِ إلى أظهارِ.»[6]

1- سعد الدين التفتازاني، **مختصر المعاني**، منشورات دار الفكر، 1411هـ، ط1، ص: 129.

2- سورة **طه**، الآية:19،20.

3- ينظر، الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام هارون، مج3، ص: 90.

5- المرجع نفسه، ج1، ص: 7.

6- سورة **الزخرف**، الآية: 52.

7- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، ج 25،ص: 230.

مثال آخر: قال الجاحظ: وحين اجتهد إبليس الاحتيال لآدم وحوّاء صلى الله عليهما، ولم يصرف الحيلة إلا إلى الشجرة[1]، وقال تعالى:﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[2]، "هَلْ أَدُلّكَ" استفهام مستعمل في العرض، وهو أنسب المعاني المجازية للاستفهام لقربه من حقيقته، والشجرة هي التي نهاه "آدم" الله عز وجل عن الأكل منها دون جميع شجر الجنة، ولم يذكر النهي عنها، هنا تشويق وفيه لا يطلب السائل بشيء لم يكن معلوما له من قبل، وإنما يريد أن يوجه المخاطب ويشوقه إلى أمر من الأمور.

1-3-3 النفي: قال الجاحظ: « ثم أعلم أنّك لم ترَ قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دِينه، ولا أشدّ استهلاكاً لعِرضه، ولا أطولَ نصباً، ولا أقل غُنْما من أهل هذه النّحلة»[3]، الجاحظ هنا يؤكد شقاء الشعوبية، وعدائها لدينها، ويرى سبب رميهم للعرب بكل تلك التهم، "المخصرة، العصا"، بحيث استعمل صيغ التفضيل، (أشقى، أعدى، أشد، أطول، أقل).

أمّا بالنسبة لأسلوب الخبر يرى الجاحظ « بأنّه ينحصر في ثلاثة أقسام متمثلة في:

- أن يكون صادقاً، وبالتالي فهو مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر بأنه مطابق له.
- أن يكون كاذباً، وبالتالي فهو مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر بمطابقة له.
- أن لا يكون لا صادقا ولا كاذبا، وفيه حالات:
- مطابق للواقع سواء مع اعتقاد المتكلم أنه غير مطابق، أو بدون اعتقاده.
- غير مطابق للواقع سواء مع اعتقاد المتكلم أنه مطابق، أو بدون اعتقاده.»[4]

فالجاحظ « يحتكم إلى معيارين في الحكم على صدق الخبر أو كذبه، وهما:

- مطابقة الواقع.
- واعتقاد المخبر (أو قصده).

جعل الجاحظ « شرط الصراحة معياراً من معايير القوى المتضمنة في القول لإثبات هويتها الإنجازية، ولهذا يتميز الجاحظ برؤية تحليلية عميقة ذات طابع تداولي.»[5]

1- الجاحظ، **البيان والتبيين**، مج3، ص: 36.

2- سورة **طه**، الآية: 120.

3- الجاحظ، **البيان والتبيين**، مج3، ص: 29،30.

4- مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 94.

5- المرجع نفسه، ص: 95.

2- أفعال الكلام عند أوستين: كما ذكرنا آنفاً بأنّ أوستين هو من وضع أسس نظرية **أفعال الكلام**، إذْ « التداولية تقوم بتحويل مختلف الموضوعات إلى أفعال لغوية، بل أنّ التداولية كانت في مبدئها مرادفةً لنظرية الأفعال الكلامية، ولا عجب حين عُدَّ أوستين أباً لها، بالرغم من تكوينه الفلسفي الذي غلب على الاهتمامات اللسانية.»[1]

ذلك أنّ أوستين يرى « بإنتاجنا فعلا لغويا نقوم في الواقع بثلاثة أفعال متزامنة: الفعل اللغوي (أي ننتج متوالية من الأصوات لها تنظيم تركيبي وتحليل على شيء بعينه)، والفعل الإنشائي (أي ننجز من خلال كلامنا نفسه فعلا يغير العلاقات القائمة بين المتفاعلين، التصريح بشيء، الوعد بشيء الخ... والفعل التأثيري (يمكننا إنجاز فعل إنشائي لتحقيق أفعال متنوعة: فالسؤال مثلا قد تكون الغاية منه استمالة المتلفظ المشارك، أو الإبانة عن تواضعنا أو إزعاج طرف ثالث... الخ)، إن كان الفعل الإنشائي ذا طبيعة لغوية، فإن الفعل التأثيري يفلت من مجال اللغة.»[2]

2-1 تصنيف أوستين لأفعال الكلام:

2-1-1 فعل القول: أو العمل القولي، وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما، ويقصد به أن يرد الفعل الكلامي في قالب لفظي صوتي، خاضع لبناء نحوي تركيبي، ذو دلالة معينة.[3]

-الفعل الصوتي: يعتبر الفعل الصوتي مكونا أساسيا لفعل القول، والفعل الكلامي بصفة عامة عند أوستين، فلا يتحقق الفعل الكلامي إلا بوجود فعل الصوت، إذ يقول أوستين: من الواضح أنه لكي ننجز فعلا كلاميا، وجب أن نؤدي فعلا صوتيا، وإن شئت قلت، في إحداثي وإيجادي لإحداهما، وجب أن أكون فاعلا آخر، لا على معنى أنّ الأفعال الكلامية هي فئة جزئية داخلة تحت الأفعال الصوتية، لأننا قد عرفنا فعل الكلام بكونه النطق بالألفاظ من حيث هي منتمية إلى معجم ما.[4]

-الفعل التركيبي: يقصد بالفعل التركيبي انتظام مجموعة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وفق نظام تركيبي مضبوط؛ بحيث أنه يؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة.[5]

1- نعمان بوقرة، **المدارس اللسانية المعاصرة**، مكتبة الآداب، القاهرة، ص: 189.

2- دومينيك مانغونو، **المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب**، تر، محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ص: 8.

3- ينظر، آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، تر، سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2003، ط1، ص: 31.

4- ينظر، أوستين، **نظرية أفعال الكلام العامة**، ص: 116.

5- ينظر، مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 41.

-الفعل الدلالي: يقصد به توظيف فعل القول حسب معان وإحالات محددة يقصدها المتكلم، بهدف إيصالها إلى المتلقي.[1]

فقولنا مثلا: - إنها ستمطر.

يمكن أن « نفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي: إخبار بـ أنها ستمطر، أم تحذير من عواقب الخروج في الرحلة، أم أمر يحمل مظلة أم غير ذلك... إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.»[2]

2-1-2 الفعل المتضمن في القول: أو العمل المتضمن في القول، « وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما.»[3]

2-1-3 الفعل الناتج عن القول: أو عمل التأثير بالقول، « وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما.»[4]

لقد قام أوستين « بتمييز صنف من الجمل ذات الصيغة الخبرية، غير ما يميزه كانط والوضعيون، مما لا يقبل الصدق والكذب، حيث عرض دراسة أولية لازال يتابعها تلاميذه وآخرون، لهذه الجمل على نحو عام للفلسفة والمنطق، وبعد ذلك وسّع المفهوم الذي قدمه ليشمل جميع الجمل حتى تلك التي تقبل الصدق والكذب، وبذلك يكون قد أنتج فلسفة عامة للغة تجد تطبيقات هامة في علم اللسانيات.»[5]

2-2 التمييز بين الجمل ذات الصيغة الخبرية إلى وصفية إنشائية: لقد تعارف النحويون على «تقسيم الجملة الإنجليزية بحسب الصيغة إلى جملة خبرية، وأمرية، واستفهامية... الخ»[6]، فقام أوستين «بتقسيم الجملة الخبرية نفسها إلى وصفية وإنشائية، بانيا هذا التقسيم على أساس أنّ ما وضعه تحت الإنشائيات هو: جمل تقال لا لوصف أو سرد أو تصوير أي شيء، فهي ليست صادقة أو كاذبة، وتلفظ هذه الجمل هو جزء من القيام بفعل لا يوصف عادة بأنه قول شيء أو مجرد قول شيء. »[7]

1- ينظر، مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص: 41.

2- المرجع نفسه، ص: 42.

3- آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، ص: 31.

4- المصدر نفسه، ص: 32.

5- طالب سيد هاشم الطبطبائي، **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب**، ص: 4.

6- المرجع نفسه، ص: 4.

7- المرجع نفسه، ص: 5.

2-2-1 العبارات الإخبارية "وصفية تقريرية": فلقد أنكر أوستين أن تكون « الوظيفة الوحيدة للعبارات الإخبارية هي وصف حال الواقع state of affairs وصفا يكون إما صادقا أو كاذبا، وأطلق عليها المغالطة الوصفية discriptive fallacy، ومضى يثبت أن بجانب هذه العبارات الوصفية نوعا آخر من العبارات قد يتشابه في التركيب مع العبارات الوصفية، لكنه لا يصف شيئا في الواقع الخارجي، ولا يحتمل الصدق أو الكذب»[1]، ومن أمثلة ذلك: « إذا قال لك رجل والشهود حضور: زوجتك إبنتي، فقلت: قبلت، فإن هذه العبارة لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، ولا تحتمل الصدق والكذب، بل إنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تلقى قولا، بل تنجز فعلا، فالقول هنا هو الفعل أو هو جزء منه.»[2]

لقد ميّز أوستين بين نوعين من الأفعال: « أفعال إخبارية econstativ تخبر عن وقائع العالم الخارجي وتكون إمّا صادقة وإمّا كاذبة، وقد آثر أن يعدل عن تسميتها أفعالا وصفية descriptive؛ لأنه ليس كل ما يقبل الصدق والكذب وصفياً، وأخرى تنجز بها في ظروف ملائمة الأفعال، وقد أطلق عليها مصطلح الأفعال الأدائية performative.» [3]

2-2-2 العبارات الإنشائية: "القول الإنجازي"؛ فإنّ الأقوال الإنشائية « تعود إلى فعل شيء ما فقط بمجرد التلفظ بها، بشرط توفّر شروط نجاح معينة، وهي لا تصف أعمالا، بل هي في حد ذاتها أعمال، وفي هذا السياق نتحدث عن أعمال تخص الزواج – المباركة – التوريث – المراهنة.»[4]

وقد لاحظ أوستين أنّ « الإنشائيات تتأسس غالبا على أساس فعل مبني للمعلوم ومُسند إلى ضمير المتكلم، محاولا بذلك اعتماد معيار نحوي لتحديد هذه الإنشائيات، ومن أمثلة ذلك: يسمح لك بالخروج، أو قد يرد في صيغة الأمر مثل: أُخرُجْ التي تعادل صيغة آمرك بالخروج.»[5]

1- محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص: 61.

2- المرجع نفسه، ص: 62.

3- المرجع نفسه، ص: 62.

4- فليب بلانشيه، **التداولية من أوستن إلى غوفمان**، تر، صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، 2007، ط1، ص: 53،54.

5- المصدر نفسه، ص: 56.

أمّا بالنسبة إلى صيغة الأمر، فإنّ أوستين « يعتبر كلّ قول في صيغة الأمر إنشائياً، ولكنها تبقى معبّرة عن دلالة الإنشاء. ومن أمثلة ذلك: غادِرْ! يفيد الأمر أو النصيحة أو التهديد أو الالتماس... الخ. وهذا ما جعله يعدل عن التعويل على المعايير النحوية لأنها غير كافية، ليعتمد على معايير دلالية.»[1]

ومن أرجح معاني الأمر «كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب أو الإباحة أو التهديد أو الحض أو التعارض على وجه من الإضراب.»[2]

وهكذا عندما نقول: اغلق الباب، فإنه « يفهم من السياق معاني متعددة:

– اغلق الباب، اغلق الباب، يدل هذا التكرار على أني آمرك بالقيام بالفعل المأمور به، والإنشاء هنا دال على الوجوب.

– اغلق الباب كما أفعل، وهنا يكون الإنشاء، متشابها لقولي أنصح لك أن تغلقه، والأمر هنا للإرشاد.

– اغلق الباب إن أحببت، والأمر هنا للإباحة.

– نعم إذن اغلقه، يشبه أن يكون الأمر هنا دالا بلفظه على الطلب.

– اغلقه لو استطعت، تدل هذه الصيغة هنا على التهديد والوعيد.

ويصح أيضا أن نستعمل الأفعال المساعدة.

يجوز أن تغلقه، وكأني هنا قلت لك أبيح لك أن تغلقه.

يجب أن تغلقه، وهذه الصيغة شبيهة بالأمر والإرشاد.

آمرك أن تغلقه، وهذا النوع قريب من الوجوب.»[3]

كما عدّ الفيلسوف الإنجليزي أوستين من أهم الدارسين الذين قدّموا جهوداً معتبرة في هذا المجال، حيث « قام بتمييز نوع الجمل التي تحمل الصيغة الخبرية ممّا لا يقبل الصدق والكذب، وقسم الجملة الخبرية إلى إنشائية ووصفية، وهو ينطلق في هذا التقسيم من أقسام الجملة الإنجليزية التالية: أمرية واستفهامية وخبرية، فالجمل الإنشائية عنده تحمل معنى الفعل؛ أي يراد الفعل، بينما يراد بالجمل الوصفية الوصف»[4]، ولاحظ أوستين أنّ « الجملة الإنشائية في النحو الإنجليزي تحتوي على فعل

1- فليب بلانشيه، **التداولية من أوستن إلى غوفمان**، تر، صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، 2007، ط1، ص: 56،57.

2- أوستن، **نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام**، ص: 91.

3- المصدر نفسه، ص: 91.

4- نعمان بوقرة، **المدارس اللسانية المعاصرة**، ص: 191.

يحمل صيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد، كما أضاف الكثير في مجال الأفعال الكلامية، كإطلاقه لقيمتي – صائبة وخاطئة – بدلا من لفظي- صادقة وكاذبة -، وقال كذلك بتقسيم الجملة الإنشائية التي لاحظ أنّ بعضها لا يحتوي على الفعل المذكور سابقا، ومع هذا فإن التلفظ بها معناه القيام بفعل معين لا وصفاً يقبل الصدق والكذب، إلى إنشائيات أوّلية، وإنشائيات صريحة.»[1]

ولكن هذا التقسيم « الذي وضعه أوستين للجمل الإنشائية عرف نوعاً من التعقيد والتداخل، بين الجمل التي تقبل الصدق بما لا يقبله.»[2]

2-2-3 الأفعال الإنشائية الصريحة: لنجد عبد الرحيم الحلوي يقول: « لقد احتفظ أوستين بثنائية إنشاء أولي، وإنشاء صريح دون غيرها، فقد تخلى عن كل شيء، من أجل وضع لائحة تصنيفية من الأفعال الخطابية، تربط فيما بينهما، وهذه الأفعال تدخل في خمسة أصناف عامة، بتبنيها سيفجر أوستين قضيتين اثنتين: **أ**-الصدق / الكذب **ب**-القيمة / الواقع

إذْ هذه الأصناف هي كالآتي: الحكمية، والممارسية، والتعهدية، والسلوكية، والتحليلية.»[3]

وفحوى القول إذن أنّ فعل القول فعلا لغويا، يصدر في قالب صوتي، وهذا ما قال به الجاحظ إذ اعتبر الأمر والنهي حقيقة في تلك الأصوات، كما أنّ صدور الأمر والنهي في صورة الفعل التركيبي، كون الأمر خاضع لنظام تركيبي معين، وهو صيغة "افعل"، وباعتبار أفعال الأمر والنهي أفعالا كلامية بالمعنى التداولي، فقد اهتم الجاحظ بتفريعات الفعل الكلامي وغاص في كل جزئياته، فيما يلي الفعل المتضمن في القول عند أوستين، كما كان تقسيم العرب لأفعال الكلام انطلاقا من الغرض الذي يرمي المتكلم إلى بلوغه؛ أي حمل الشخص على القيام بفعل معين، وهو ما يطابق مفهوم أوستين وسيرل للغرض الكلامي.

1- نعمان بوقرة، **المدارس اللسانية المعاصرة** ص: 191.

2- المرجع نفسه، ص: 192.

3- عبد الرحيم الحلوي، **تداوليات الأفعال الكلامية، من العلامة إلى الفعل**، منشورات القصبة، المغرب، 2017، ص: 125،126.

خاتمة الفصل: تعد نظرية أفعال الكلام من أكبر القضايا التداولية، وتسمى أيضا بـ "النظرية الأوستينية" تقوم هذه النظرية على فكرة أنّ الكلام يتمثل في تبليغ الغير بعض المعلومات عن الشيء الذي يتم الكلام في شأنه، بيد أنه يتمثل في الفعل؛ أي محاولة التأثير في المخاطب، حيث تقوم نظرية الأفعال الكلامية على أساسين منهجيين هما: عرفية الاستعمال ومقصدية المتكلم، فأمّا عرفية الاستعمال فذلك أنّ استعمال اللغة منوط بما تعارف في ألفاظ وصيغ وتراكيب، وما تقتضيه مقامات الكلام وأعراف الناس وأحكام الشرع، والأعراف ثلاثة؛ عرف لغوي استعمالي، وعرف اجتماعي، وعرف شرعي، كما تهتم نظرية الأفعال الكلامية بدراسة المعنى.

❖ إسقاط نظرية أفعال الكلام على البيان والتبيين.

- تحديد وضبط المصطلحات (النظرية – الفعل – الكلام).
- كتاب البيان والتبيين (الجاحظ).
- دراسة تطبيقية في البيان والتبيين للجاحظ من خلال نظرية أفعال الكلام.

توطئة:

بعد إنهاء الجانب النظري في الفصلين الأول والثاني، والذي تم فيه عرض التداولية، وعرض أهم محور فيها ألا وهو نظرية الأفعال الكلامية، فتبين لنا أهميتها؛ لأنها حقل مهم في المجال التداولي، فسيكون الغرض من هذه الدراسة في هذا الفصل هو تطبيق النظرية "أفعال الكلام" في كتاب الجاحظ الموسوم بالبيان والتبيين، وذلك باستخراج الأفعال الكلامية من نصوص الجاحظ، وتبيين قوتها الإنجازية حسب تصنيفات أوستين وسيرل.

المبحث الأول: تحديد وضبط المصطلحات: (النظرية – الفعل – الكلام)

1– مفهوم النظرية:

1–1 النظرية لغةً: يُعد مصطلح النظرية مصطلحا عاماً جرى استخدامه في معظم العلوم التي اشتغل بها الإنسان، حيث تكمن طبيعتها في إعداد التفسير الحقيقي فيما يخص الأحداث والوقائع والظواهر، أمّا وظيفتها تتمثل في تعميم التفسيرات المعطاة للأحداث والظواهر، ومن دون النظرية تظل العلاقات بين الظواهر مبهمة، كما أن النظرية تعمل على جعل الحقيقة منطقية ومصاغة في سياق مرتب ومنظم، والنظرية من حيث اللغة مشتقة من لفظ نظر، وهو كما جاء في لسان العرب لابن منظور: نظر: النظر، حس العين، نَظَره ينظُره نظراً ومنظراً ومنظَرة ونظر إليه، والمنظر: مصدر نظر، نَظَر العين ونَظَر القلب.[1]

كما جاء في المعجم الوسيط، « نَظَرَ إلى الشيء، نَظَرًا، ونَظْرًا: أبصره وتأمله بعينه، وفيه: تدبر وفكر، يقال نَظَر في الكتاب، ونَظَر في الأمر، والنَظَرُ: البَصَرُ، والبصيرة، والنظرية: قضية تثبت ببرهان، وفي الفلسفة: طائفة من الآراء تفسر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنية.»[2]

كذلك جاء في القاموس المحيط لفيروز آبادي، « نَظَرَ: نَظَرُهُ كنَصَرَهُ وسَمِعَهُ، وإليه نَظَرًا ومَنْظَراً ونَظَرانا ومَنْظَرة وتَنْظَارً: تأملهُ بِعَيْنِه، والنظرُ، محرَّكةً: الفِكرُ في الشيءِ تُقَدِّرُهُ وتَقِيسُهُ.»[3]

1–2 النظرية اصطلاحا: تُعد النظرية بوصفها مصطلحا متداولا علميا، يختلف من حيث الدلالة عن بعض المصطلحات التي تشترك معه في الحقل الدلالي نفسه، فالنظرية أكثر دقة وصدقاً، وللنظرية

1- ينظر، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، مج5، بيروت، مادة نظر، ص: 215.

2- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط5، القاهرة، 2011، مادة نظر، ص: 932، 933.

3- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد،دار الحديث، القاهرة، 2008، مادة نظر، ص: 1623.

دور بنّاء في تطوير المعرفة في حين أنّ المفاهيم الأخرى ليس لها هذا الدور، والنظريات يمكن أن تكون نظريات علمية أو غير علمية، ولكن في كلا الحالتين فإنهما كنظريات قد تطورت عن طريق فنيات العلم أو عن طريق منطق مطوّر بدقة أو بكليهما معًا، محققة قواعد متشددة تماما، حيث أن هناك اتفاق عام على أن النظرية هي مجموعة من العبارات المترابطة لتفسر سلسلة ما من الأحداث.[1]

حيث تعددت تعريفات النظرية بمفهومها العام في مصادر العلوم الطبيعية ومصدر الأدب التربوي، وحتى يتضح لنا مفهوم النظرية نرى أن نعرض مجموعة من التعريفات لتسهم في تقديم مفهوم واضح لها.

يقول كابلان kaplan : « النظرية في المنطق الذي أعيد بناؤه سوف تبدو كأداة لتفسير ونقد وتوحيد القوانين الراسخة وتطويعها لتتناسب مع البيانات غير المتوقعة في تكوينها، وكذلك بتوجيه السعي نحو اكتشاف تعميمات جديدة أكثر قوة.» [2]

كما عرّف هال وليندزي Hall and Lindzey أنّ النظرية هي: « مجموعة من الأمور الاصطلاحية والتي يجب أن تحتوي على تجمع من الفروض المناسبة ترتبط بعضها ببعض بشكل منتظم، أمّا أوكونر O'Connor لقد أشار إلى أنه عند مقابلة النظرية مع الفروض فإننا... نشير إلى مجموعة أو نظام من القوانين أو مجموعة من الفروض توجه أو تتحكم في عمليات مختلفة الأنواع.»[3]

وقد عرّف ردنر Rudner النظرية على أنها:«... مجموعة من العبارات المترابطة بشكل منتظم، تشمل بعض التعميمات التي تشبه القوانين، كما يلخص سنو Snow مفهومه عن النظرية بقوله: "تعتبر النظرية وفي أبسط صورها بناءً رمزياً، صُمم ليحول الحقائق المعممة (أو القوانين) إلى ارتباط منتظم »[4]، وهي تتكون من:

(أ) مجموعة من الوحدات (حقائق، مفاهيم، متغيرات).

(ب) نظام من العلاقات بين الوحدات.

1- ينظر، جورج بوشامب، **نظرية المنهج**، تر، ممدوح محمد سليمان، وآخرون، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 25.

2 - المرجع نفسه، ص: 26.

3- المرجع نفسه، ص: 27.

4- المرجع نفسه، ص: 27.

لنجد أنّ كيرلنجر kerlinger عرّف النظرية بأنها: « مجموعة من الأبنية أو المفاهيم المتفاعلة والتعاريف والافتراضات والقضايا التي تمثل وجهة نظر منتظمة لتفسير ظاهرة ما وذلك بإيجاد علاقات بين متغيرات بهدف تفسير الظاهرة والتنبؤ بها.»[1]

ويعرّف فيست feist النظرية بأنها « مجموعة من الافتراضات المترابطة التي يمكن أن تستخلص عن طريق الاستدلال العقلي المنطقي واختبار الفرضيات.»[2]

وعليه إذن تعتبر النظرية مجموعة علاقات تقوم بين أجزاء ظاهرة ما أو عدة ظواهر، بهدف تفسير هذه الظواهر أو شرحها أو التنبؤ بها.

2- مفهوم الفعل:

2-1 الفعل لغةً: إن الاهتمام بالفعل يشغل مكانا مهما في سائر اللغات فقد كان الأقدمون يرون أنّ الفعل صاحب العمل، أما المحدثون يرون أن الفعل مادة لغوية مهمة في بناء الجملة وهو لا يعدو أن يكون حدثا يجري على أزمنة مختلفة، فقد يُعد الفعل أهم جزء في أي جملة، وهو يدل على الحدث المرتبط بالفاعل، فقد اختلف العلماء في بيان كلمة فعل وتفسيرها، يلاحظ ذلك في معاجمهم؛ حيث يشتق الفعل من لفظ فعل، فقد عرّفه ابن منظور: الفِعل: بأنه كناية عن كل عمل متعدّ أو غير متعدّ، فَعَل يَفْعَل فَعِلًا وفِعلاً، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح، والفعل بالفتح مصدر فَعَل يَفْعَل.[3]

يذهب الفيروز آبادي في القاموس المحيط إلى: أنّ « الفِعل بالكسر: حركة الإنسان، أو كناية عن كلِّ عمل متعدّ، وبالفتح: مصدر فعل، كمنع، وحياء الناقة.»[4]

كما جاء في المعجم الوسيط، أنّ الفعل: « فَعَلَ الشيء فعلاً، وفعالاً: عَمِلَهُ: افتعل الشيء: اختلقه وزوّره، يقال: افتعل الحديث، وافتعل عليه الكذب، الفِعلُ: العَمَلُ، وفي النحو: كلمة دلّت على حدث وزمنه، جمع فِعالٌ، وأفعالٌ.»[5]

1- يوسف محمود قطامي، **نظريات التعلم والتعليم**، دار الفكر، ناشرون وموزعون، الأردن، 2005، ط1، ص: 21.

2- المرجع نفسه، ص: 21.

3- ينظر، ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم)، **لسان العرب** ، دار صادر، بيروت، مج11، مادة فعل، ص: 528.

4- الفيروز آبادي، (مجد الدين محمد بن يعقوب)، **القاموس المحيط**، تح، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص: 1255.

5- مجمع اللغة، **المعجم الوسيط**، القاهرة، ص: 695.

2-2 الفعل اصطلاحا: الفعل ركن مهم في بناء الجملة العربية اسمية أو فعلية، فلقد اهتم النحاة القدامى بمسألة الفعل في مباحثهم النحوية كما اهتم به المحدثون في دراساتهم الحديثة، فقد تعددت مفاهيم الفعل، حيث يرى محمد داود في كتابه الدلالة والحركة، أنّ الفعل يتميز بمكانته المهمة في اللغة؛ وذلك لأهمية دوره في التعبير عن النشاط والحركة وكل ما تموج به الحياة من أحداث؛ حيث أخذ الفعل أهميته من بين أجزاء الجملة، لأهمية وظيفته فيها من حيث الكلمة المعبرة والمؤدية لأهم معنى في الجملة، بالإضافة إلى ارتباط عناصر التركيب به.[1]

حدُّ الفعل عند القدماء: بتأمل أقوال القدماء عن الفعل، « يظهر أنها تدور حول أساسين هما:

أ – دلالة الفعل على الحدث.

ب – دلالة الفعل على الزمن.

لكنهم اختلفوا بصورة واضحة فيما بينهم بشأن زمن الفعل كما يظهر من أقوالهم التالية في معرض بيان أقسام الكلمة، حيث يعرف سيبويه الفعل بقوله: وأما الفعل فأمثلة أخذت لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع.»[2]

يرى البصريون « الدلالات التالية بشأن الفعل:

– أن الفعل مأخوذ من المصدر، وهذه الدلالة مستفادة من قوله: وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء.

– دلالة الفعل على الحدث؛ حيث اشترك الفعل مع مصدره في مادة واحدة.

– دلالة الفعل على الزمن، وينقسم الفعل باعتبار الزمن إلى: ماض ومضارع وأمر، هذا في حين أن الكوفيين وإن اتفقوا مع البصريين على دلالة الفعل على اقتران الحدث بزمان، إلا أنهم اختلفوا مع البصريين في تحديد هذا الزمن، فقد أبعد الكوفيون الأمر ولم يجعلوه قسيماً للماضي والمستقبل، حيث يقول الزجاجي: والفعل ما دل على حدث وزمان ماض أو مستقبل.»[3]

1- ينظر، محمد محمد داود، **الدلالة والحركة**، دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة، في إطار المناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص: 32.

2- المرجع نفسه، ص: 32.

3 - المرجع نفسه، ص: 33.

نخلُص من هذا إلى أن « القدماء اتفقوا على أنّ الفعل يدل على حدث Action، اقترن بزمن Time، غير أنهم اختلفوا بشأن حدود هذا الزمان، ولم يفرقوا بين الزمن اللغوي والزمن الفلسفي أو الزمن الفلكي.»[1]

حدُّ الفعل عند المحدثين: اتَّسم تناول الباحثين المعاصرين، « لمفهوم الفعل بالتخلص من سيطرة الاتجاه العقلي التحليلي الذي ساد عند القدماء، ورغم اتفاقهم مع القدماء على دلالة الفعل على الحدث المقترن بالزمان، وأن دلالة الفعل على الحدث تأتي من اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة، لأن المصدر هو اسم الحدث، إلا أنهم فصلوا في مسألة الزمن على أساس لغوي، بعيدا عن المنهج الفلسفي الذي سار عليه القدماء، فميزوا بين ثلاثة أنواع من الزمن: اللغوي؛ أي تحديد مفهوم الفعل، والزمن الفلسفي، والزمن الفلكي»[2]، كما " ميزوا بين نوعين من زمن الصيغة الفعلية:

– **الزمن الصرفي:** وهو الزمن الذي تدل عليه الصيغة في مجال بنائها الإفرادي: فعل للماضي، يفعل للمضارع، افعل للأمر.

– **الزمن النحوي:** وهو وظيفة الصيغة داخل التركيب، في السياق اللغويLinguistic Context، وهنا قد تتجرد الصيغة الفعلية عن الزمن الصرفي لها، وتعطي داخل السياق زمنا آخر، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [3]، فالصيغة الفعلية " أتى تجردت من الماضي لتدل على المستقبل بسبب السياق. »[4]

نخلُص إلى أنّ «حدّ الفعل عند المحدثين يتلخص فيما يلي: الفعل؛ هو ما دل على حدث اقترن بزمان، أمّا دلالة الفعل على الحدث أتت من اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة؛ لأن المصدر اسم الحدث، ومعنى الزمن في الفعل على المستوى الصرفي يأتي من شكل الصيغة، وعلى مستوى التركيب (النحوي) من السياق، فالفعل من حيث المبنى الصرفي ينقسم إلى: ماض، ومضارع، وأمر، وهذه الأقسام تختلف فيما بينها شكلا ومعنى.»[5]

---

1 ـ محمد محمد داود، **الدلالة والحركة**، دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة، في إطار المناهج الحديثة، ص: 34.

2ـ المرجع نفسه، ص: 34.

3ـ سورة **النحل**، الآية: 01.

4ـ محمد محمد داود، **الدلالة والحركة**، دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة، في إطار المناهج الحديثة، ص:34 ،35.

5ـ المرجع نفسه، ص: 35.

يذهب عبد العزيز العيّادي في كتابه فلسفة الفعل إلى أنّ « الفعل في اصطلاح النحاة هو ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة (الماضي، والمضارع، والأمر).»[1]

أمّا الفارابي يعرّف الفعل: بأنه « اللفظ الدال على المعنى وعلى زمانه؛ أي جملة التحولات والتغيرات التي تطرأ على الكلمة في هيئة تركيبها وتشكيل حروفها وعلى ما يساوق تلك التغيرات من تغيرات في المعنى تبعا للتصريفات الزمنية الأساسية الثلاثة التي هي الماضي والمستقبل والحاضر، حيث يسميه الفعل أو الكَلِم.»[2]

لنجد عبد القادر محمد مايو في كتابه علم النحو العربي، يتحدث عن بنية الفعل اللفظية؛ إذ يقول: أنّ « الفعل هو لفظ يدل على معنى مستقل بالفهم ويكون الزمن جزءا منه، وكون الزمن جزءا منه أهم خاصية من خواص الفِعل؛ لأنه يتميز بها عن لفظ يشبهه في المعنى وليس الزمن جزءا منه.»[3]

يقول ابن يعيش في كتابه الشرح المفصل: أنّ « الفعل كل كلمة تدل على معنى في نفسها مقترنة بزمان.»[4]

إذن الفعل هو كلمة تدل على معنى مختص بزمان دلالة الإفادة، أو ما دل عل معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وقيل ما دل على حدث وزمان حاضر أو مستقبل.

3- مفهوم الكلام:

3-1 الكلام لغة: إنّ القدرة على توصيل الأفكار والمشاعر للناس هي من أهم عوامل النجاح، فالكثير من الذين سبقوا على طريق النجاح وتحقيق الذات اعترفوا بأن موهبتهم في فعل الكلام كانت هي السبب الأساسي لهذا التميز والنجاح.

إذْ جاء في لسان العرب لابن منظور، أنّ « الكلام هو القول، وقيل: الكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة، والقول ما لم يكن مكتفيا بنفسه، وهو الجزء من الجملة، وكَلَمَه يَكْلِمهُ كَلْمًا وكَلَّمه كَلْمًا: جرحه، وأصل الكَلْم الجُرْح، وفي الحديث: أن نقوم على المرضى ونُداوي الكَلْمى، جمع كَلِيم وهو الجَريح.»[5]

1- عبد العزيز العيّادي، **فلسفة الفعل**، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2007، ط1، ص: 15

2- المرجع نفسه، ص: 15.

3- عبد القادر محمد مايو، **علم النحو العربي، بنية الفعل اللفظية**، مرا، زهير مصطفى يازجي، دار القلم العربي، حلب، ص: 2.

4- ابن علي بن يعيش، **شرح المفصل**، إدارة الطباعة المنيرية، ج7، ص: 2.

5- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة كلم، ص: 523.

لنجد أيضا في المعجم الوسيط، أنّ الكلام في أصل اللغة: « الأصوات المفيدة، وعند المتكلمين: المعنى القائم بالنفس الذي يُعبِّر عنه بألفاظ، يقال: في نفسي كلام، وفي اصطلاح النحاة الجملة المركبة المفيدة، والكَلْمُ: الجَرْحُ، والجُرْحُ جمع كُلومٌ، وكِلامٌ، الكَليمُ: من يُكالمك، ولقب موسى صلوات الله عليه، لأن الله كلَّمَه، المتَكلَّمَ: موضع الكلام، يقال: ما أجد لي مُتكلَّمًا.»[1]

في حين أنّ الفيروز آبادي في القاموس المحيط، يرى « الكلام هو القولُ، أو ما كان مُكتفيا بنفسه، وبالضم: الأرضُ الغلِيظةُ، والكلمةُ: اللَّفظةُ، والقصيدةُ، جمع كَلِمٌ، كالكِلْمَةِ، بالكسر، وكلَّمَه تكْليماً وكلاماً، والكَلْمُ: الجَرْحُ، جمع كُلومٌ وكِلامٌ، وكَلَمَهُ يَكْلِمُهُ، وكَلَّمَهُ: جَرَحَهُ، فهو مَكْلومٌ وكليمٌ.»[2]

2-3 الكلام اصطلاحا: الكلام الذي لا يحمل أي معنى، أو دلالة أو قصد لا يعتبر كلاما يشير إلى فكرة القصد، لأن الفائدة المرجوة من الكلام، أن يكون متداولا على وجه حسن يسهل فهمه، فالفائدة المتداولة من الكلام في قصده، وحتى يكون كذلك، فإنه يصبح أساسا لكل الدراسات اللسانية الحديثة، وذلك بتحقيق التواصل.

لنجد علي المدرس الأفغاني في كتابه الكلام المفيد، يقول بشأن هذا أنّ « الكلام بفتح الكاف وهو في أصل اللغة عبارة عن أصوات متتابعة لمعنى مفهوم وفي اصطلاح النحاة هو اسم لما تركب من مسند ومسند إليه. »[3]

يذهب حمو النقاري في كتابه معجم المفاهيم، علم الكلام المنهجية، إلى أنّ « الكلام هو القول؛ والقول ليس مجرد كلام على الترتيب، وإنما هو أيضا ما يُغْلَبُ به الخصم إذ يقال: قال فلانٌ بكذا بمعنى غَلَبَ فلانٌ بكذا؛ لا كلام إذن إلا في مقام تغالُبٍ.»[4]

-الكلام هو « النطق؛ يقال: "نَطَقَ" بمعنى "تَكَلَّمَ" كما يقال لـ "الكلام": "منطق" ولـ "التكالم": "تناطق"؛ لا كلام إذن إلا في مقام تنطيق وشَدّ.

-إن الكلام صوت أو "أصوات تامة مفيدة"؛ و"الصوت" "ما وَقَرَ في أُذنِ السامع"؛ لا كلام إذن إلا في مقام إسماع الغير.

1- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، القاهرة، 2011، ط5، مادة كلم، ص: 796.

2- الفيروز آبادي، (مجد الدين محمد بن يعقوب)، **القاموس المحيط**، تح، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص: 1432.

3- محمّد علي المدرّس الأفغاني، **الكلام المفيد، للمدرس والمستفيد، في شرح الصّمدية**، دار الهجرة، ط5، ص: 32.

4- حمو النقاري، **معجم المفاهيم، علم الكلام المنهجية**، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، 2016، ط1، ص: 339.

-إن الكلام لفظ؛ يقال "لَفَظَ" فلانٌ بالشيء "يَلْفِظُ" "لَفْظًا" بمعنى "تكلم"؛ واللفظُ "إلقاء" و"طَرْحٌ" و"رَمْيٌ" و"نَبْذٌ"؛ لا كلام إذن إلا في مقام إلقاء شيء أو أشياء.

-إن الكلام إفصاحٌ إذ يقال للرجل الفصيح: "التِّكِلاَّمُ" و"التِّكلاَمَةُ" و"التِّكِلامَةُ" و"الكِلمَّاني"؛ لا كلام إذن إلا في مقام الإبانة عما في النفس.» [1]

-إن الكلام « تأثير وجَرْحُ؛ إن "الكَلْمَ" هو "الجُرْحُ" و"التكليم" هو "التَّجريحُ" لا كلام إذن إلا في مقام التأثير في الغير.

-إن الكلام من جهة كونه "قولا" يكون أيضا مفيداً لـ "الاعتقاد أو الرأي المختار" وذلك لأن مفهوم "القول" يستخدم لإفادة معنى "الاعتقادات والآراء.»[2]

يقول هارون في كتابه الأساليب الإنشائية في النحو العربي، يذكر النحويون تعاريف مختلفة في اصطلاحهم، ومن أَجمعنا أنه « اللفظ المركب، المفسد بالوضع، المقصود لذاته.»[3]

وعليه يُعد الكلام الأصوات المفيدة، يحسن السكوت عليها، والمعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بألفاظ، كما أنه الجملة المركبة المفيدة؛ حيث تتضمن كلمتين بالإسناد.

وفحوى القول إذن، تعتبر النظرية وفي أبسط صورها بناءً رمزياً، صُمم ليحول الحقائق المعممة إلى ارتباط منتظم، كما يعتبر الفعل كلمة تدل على حدث مقترن بزمن، ماض، ومضارع، وأمر، أمّا الكلام فهو لفظٌ وصوتٌ وإفصاحٌ وتأثير، إذْ يُعد القول الذي يستخدم لإفادة المعنى.

1- حمو النقاري، **معجم المفاهيم، علم الكلام المنهجية**، ص: 339.

2- المرجع نفسه، ص: 440.

3- عبد السلام محمد هارون، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001، ص: 22.

المبحث الثاني: كتاب البيان والتبيين "الجاحظ"

1- التعريف بالكاتب: "الجاحظ": لا ريب أنّ الجاحظ رمز من رموز الأدب، أحد عمالقة الأدب العربي، ورائد النثر وإمام الفصاحة وشهيد الكتب، من كبار أئمة الأدب، وإمام الأدباء في العصر الذهبي، حيث ازدهر فن الخطابة في ذاك العصر، كما يُعد رجل الثقافة والأدب المعتزلي تتلمذ على يد شيخه النظّام، إذْ كان يغلب طابع الشك عنده، فيرى أنّ الشك طريق للوصول إلى حقائق الأمور وليس هدفا حمله ذلك على التسليم بالأمور، عُرف الجاحظ بموسوعيته واتساع أفقه الفكري، إذْ تميز بأسلوب رائع وقوي، سلس ومتين، بعيد عن التصنع والغموض.

1-1 مولده ونسبه ووفاته: جاء في بلاغة الكُتّاب في العصر العباسي لمحمد نبيه حجاب، « أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجـاحـظ، يتصل نسبه بكنانة بن خزيمة... أعربي النسب، مضري الأرومة... لكنّ ياقوت يزعم أنّه كناني بالولاء »[1]، أمّا تاريخ سنة ميلاد الجاحظ، فقد اختلفت المصادر والمراجع في ولادته ولم تحدد بدقة، إذْ جعل بعض المؤرخين والباحثين ولادة الجاحظ؛ في سنوات مختلفة، « فقد قيل: وُلد بالبصرة سنة 160هـ/ 776م. وقال ياقوت الحموي: إنّ الجاحظ قال على نفسه إنّه أَسَنُّ من أبي نواس بسنَة؛ يعني أنه ولد سنة 150هـ / 766م... وذكر يوسف أسعد داغر أنّ ميلاد الجاحظ كان في سنة 163 هـ/775م »[2]، والظاهر من خلال هذه الاختلافات في توثيق ميلاد الجاحظ أنّه ولد بين عام 150هـ وعام 163هـ.

في حين وفاته، « كانت سنة 255هـ/869م في خلافة المعتز بالله، وأُثِر على وفاته أنّه لما بلغ سن متقدمة من العمر؛ ألزمه المرض الفراش وبه وافته المنية؛ حيث كان مرضه الفالج* النصفي.» [3]

1- محمد نبيه حجاب، **بلاغة الكُتّاب، في العصر العباسي، دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب**، مكتبة الطالب الجامعي، ط2، 1986م، 1406 هـ، ص: 268 .

2- محمد علي زكي الصبّاغ، **البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ**، تح، ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط، 01، 1998 م، ص: **26**.

* ذهاب الحس والحركة عن بعض أعضائه. ينظر: الثعالبي، **كتاب فقه اللغة وأسرارها**، ضبط: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت،2000 م، 1420 هـ، ط2، ص: 168.

3- محمد حجاب، **بلاغة الكُتّاب**، ص: 266.

1-2 ظروف حياته: ولد الجاحظ « في بيت فقير؛ مات أبوه منذ حداثته، فأصبح يتيما... كان جاحظ العينين وبذلك لقب بالجاحظ، كان حدقيا، ومشوه الخلقة، بشعا، دميم الوجه قصير القامة.»[1]

ومنه نستخلص أنّ الجاحظ لم يعش طفولته كباقي أقرانه، نظرا لظروفه القاسية والمليئة بالصعاب، فهو من جهة فقد والده وهو حديث الولادة، فأضحى يتيما حياته صعبة وعسيرة تنقصها دعامة الأب ووجوده بجانبه، وما زاد في صعوبة حياة الجاحظ هو أنّه كان فقيرا خاصة وأنّ والده توفي فقد رُوِي عنه، كان يبيع الخبز والسمك بالسيحان[2].

أمّا من جهة أخرى فإنه حسب ما وُصف لنا الجاحظ كان مشوه الخِلقة- الوجه-، ومن الواضح أنّ نفسيته قد تأثرت بذلك، هذا غير أن ننسى انطباع المجتمع منه والكلام الذي كان يسمعه منهم؛ ودليل ذلك كان يأنف من الجاحظ ويعتز باسم عمرو[3]، إلا أنّه « وبالرغم من ذلك لم تقف هذه الصعوبات في وجهه ولم تشكل له عائقا؛ فقد عُرف عنه أنه كان خفيف الروح، حسن العشرة، يتهافت الناس على استمتاع نوادره وأدبه. »[4]

1-3 بيئته: نشأ الجاحظ « في البصرة؛ وهي منذ القديم كعبة العلم، ومهبط العلماء، فيها نشأ النحو، وازدهر الشعر، وفيها عاش جهابذة اللغة، وأرباب الفتيا والكلام، من أشهر أسواقها سوق المربد، التي كانت قبلة للخطباء والشعراء، يلتقي فيها البدوي بالحضري، والعربي بالعجمي، إذ تبدو لنا بيئة الجاحظ أنها بيئة علمية، حيث ذُكر عنه بالرغم من كونه فقيرا إلا أنه كان شغوفا بالعلم، ومدمنا على القراءة، وذو صبر طويل وجميل، مهد بذلك طريقه نحو النبوغ والثراء والشهرة.»[5]

حيث أخذ أبو عثمان « يتردد على حلقات العلم في مسجد البصرة الجامع، ويتلقى الفصاحة شفاهةً عن أدباء العرب في المربد من الخطباء والشعراء، ويستمع من القصاص إلى أحداث الفتوح وسير الغزاة وأطوار الزهاد والناسكين.»[6]

1- محمد علي زكي الصبّاغ، **البلاغة الشعرية**، ص: 28.

2- ينظر، محمد حجاب، **بلاغة الكُتّاب**، ص: 268.

3- ينظر، محمد علي زكي الصبّاغ، **البلاغة الشعرية**، ص: 28.

4- المرجع نفسه، ص: 28.

5- محمد حجاب، **بلاغة الكُتّاب**، ص: 267.

6- محمد علي زكي صبّاغ، **البلاغة الشعرية**، ص: 30.

وكان من أجل طلب المزيد من العلم « يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت الليالي فيها ساهرا، ينظر في تراث السابقين، فلم يفته أنْ يتأدب بآداب الفرس، وحكمة الهند، وفلسفة اليونان... ومن ثم كان فصيح اللسان، واضح البيان، غزير العلم، قوي الحجة، سليم المنطق، ضرب في كل فن، وجلى في كل ميدان.»[1]

1-4 حياته الأدبية: كما سبق لنا الذكر أنّ الجاحظ في صغره كان يحب القراءة ويحب طلب العلم، حيث كان يتردد على حلقات العلم في جامع البصرة، كما كان يذهب إلى سوق المربد حيث يكون التقاء أفصح العرب وأبلغهم من شعراء وخطباء فيأخذ عنهم العلم والمعرفة مشافهة، إذْ تعتبر هذه المرحلة الانطلاقة التي شقت للجاحظ طرقا من أجل النبوغ والارتقاء في مسيرته العلمية، فقد ذُكِر على الجاحظ أنه كان في بادئ الأمر يؤلف الكتب وينسبها إلى غيره ليقبل عليها القراء، ثم لما عُرف فضله وذاع صيته صار الوراقون يجمعون من الآثار ما يجمعون ثم ينسبونها إليه.[2]

وخلال مرحلة شبابه غادر أبو عثمان من البصرة إلى « بغداد عاصمة العالم الإسلامي في ذاك العصر ليكتسب المزيد من المعرفة والخبرات، حيث قدر له فيها أن يتصل بأساطين اللغة وأعلامها، نحو: الأصمعي، وأبو زيد الأنصاري، فأخذ عنهم اللغة والأدب، كما أخذ النحو من الأخفش، والكلام عن النظّام، والحكمة عن أبي جناح، وغيرهم من علماء العرب لم يعرف قبلهم ولا بعدهم مثل.»[3]

ولقد تم الذكر بأنّ من البيئات التي أثرت في إبداعات الجاحظ، الحياة العاملة الكادحة، فالجاحظ ولد من رحم معاناة هذه البيئة، ووجد من أسباب الحياة المادية أسبابا في ظهور وتفجير العبقرية الفنية لديه.[4]

كان كُتَّاب وأدباء العصر العباسي « يتمايزون في ضروب العلم وأصنافه، فمنهم من اختص بضرب واحد أو بضربين من المعارف، بل كان هناك من يُعد نفسه ليصبح كاتبا، أو مترسلا، وقد كانت معارفهم لا تخرج عن حدود القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، ومعلومات عن الشعر الجاهلي والمصفى من كلام العرب، ولكن الجاحظ كان طموحه أبعد بكثير عمّن عاصروه أو تقدموه

1- محمد نبيه حجاب، **بلاغة الكُتاب في العصر العباسي**، ص: 267.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص: 268.

3- محمد علي زكي الصبّاغ، **البلاغة الشعرية**، ص:30، 31.

4- ينظر، المرجع نفسه، ص:34.

من الكتّاب والأدباء، فقد كان يصبو ليوسع معارفه، بحيث يكون فكره دائرة للمعارف وخزانة للعلوم، وقد فعل، وذاع صيته في البصرة والكوفة وبغداد وعواصم العالم الإسلامي آنذاك، وأدرك حينها عظمة الخلافة العباسية في عصر الرشيد، وشهد وفاته والصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة، فقتل الأمين وتربع المأمون على العرش سنة 198هـ/ 814م.»[1]

بلغت الحياة الاجتماعية في « خلافة المأمون منتهى الحضارة والرخاء، وكان أبو عثمان على صلة فكرية مع المأمون؛ لأنه كان يقدر عبقريته واعتزاله، وكان هو الآخر يُجِّل الخليفة لسعة ثقافته وميوله الاعتزالي، ولما أمر الخليفة العلماء بالكتابة في الإمامة، استجاب له الجاحظ وألف له كتاب الإمامة، كما عاصر الجاحظ في هذه الفترة قضية محنة القول بخلقة القرآن.»[2]

وفي « عام 218هـ/ 933م، تولى المعتصم بن الرشيد الخلافة ، أين كان الجاحظ في بغداد صحبة ابن الزيات وعمره تجاوز الستين، وفي فترة تولي المتوكل للخلافة 826هـ /876م، أمر بترك النظر والجدل في محنة القول بخلقة القرآن، 233هـ/847م قتل الوزير ابن الزيات، وخلفه أبي دؤاد، وبعد موت المتوكل شهد الجاحظ عهود ثلاثة من الخلفاء هم: المنتصر 860م/861م، المستعين 861م/865م، المعتز بن المتوكل 865م/868م؛ حيث وافته المنية سنة 869م.»[3]

1-5 مذهبه: ولقد كان الجاحظ « خطيب المعتزلة، وأحد شيوخها »[4]، كما أنه « درس الاعتزال بالبصرة على يد النظّام، وبشر بن المعتمر، ثُمامة، وغيرهم، ثم انفرد الجاحظ من بين المعتزلة بآرائه الخاصة وسمى أتباعه أنفسهم بالجاحظية نسبة إليه.»[5]

وقد اعتمد الجاحظ « في تقرير مذهبه وكذا مجادلة خصومه على العقل، مستعينا في ذلك بالفلسفة اليونانية التي تسلح بها أحرار الفكر في الإسلام؛ إذْ يقول ابن الخياط: ومن قرأ كتاب عمرو الجاحظ في المشبهة، وكتابه في الأخبار وإثبات النُبوّة، وكتابه في نظم القرآن، علم أنّ له الإسلام ثراء عظيما لم يكن الله- عزّ وجلّ- ليضيعه له.»[6]

1- محمد علي زكي الصبّاغ، **البلاغة الشعرية**، ص: 36،37.

2- المرجع نفسه، ص: 37،38.

3- المرجع نفسه، ص:39،40.

4- محمد حجاب، **بلاغة الكتّاب**، ص: 270.

5- محمد علي زكي الصبّاغ، **البلاغة الشعرية**، ص:92،93.

6- محمد حجاب، **بلاغة الكتّاب**، ص:271.

1-6 آثاره: التكلم عن غزارة علم الجاحظ وحدها تنبؤنا بمدى مؤلفاته، فلقد عرفت له مؤلفات جمّة شملت مختلف فنون اللغة العربية، من شعر وبلاغة وخطابة وغيرها من الفنون، « فلقد أحصى له ابن النديم نيفا وسبعين ومائة كتاب؛ هي لا تعدو أن تكون رسائل، إلا قلة منها أبرزها: **البيان والتبيين، الحيوان، البخلاء، العثمانية والتاج؛** فهي إلى حد كبير كتب جامعة، ودوائر معرفة واسعة »[1]، كما « قدّر سبط بن الجوزي مؤلفات الجاحظ بـ ثلاثمائة وستين مؤلفا، بينما ذكر له الياقوت في معجمه مائة وثمانية وعشرين مصنّفا، وعدّ الدكتور الخفاجي مئة وسبعة وثمانين كتاب»[2]، ومن أبرز مؤلفاته: «**أخلاق الملوك، البخلاء، البيان والتبيين، حجج النبوة، تهذيب الأخلاق، رسائل الجاحظ، الحيوان، رسالة التربيع والتدوير، ذم أخلاق الكاتب، الرد على النصارى،** وغيرها من الكتب والرسائل.»[3]

ومما يعرف على مؤلفات الجاحظ، « أنّ معظمها ضاع ولم يصل منها إلا أسماؤها، حيث لم يبق من هذه المؤلفات إلا قليل الأقل، ورغم ذلك هذه الأقلية حفظت غزارة علم الجاحظ وعكست عبقريته، فقد كان المرآة العاكسة لعصره.»[4]

1-7 أسلوبه ونقده: يعتبر الأسلوب البصمة التي ينفرد بها كل أديب أو شاعر عن غيره، بحيث لا يمكن له أن يتماثل أو يتشابه مع أسلوب آخر، وهذا ما عرف به الجاحظ فقد كان أسلوبه متميز عن كل من عاصروه أو سبقوه أو جاءوا من بعده، وقد اختلف الباحثون في أسلوب الجاحظ بين أنه لفظي أم معنوي، فهناك من رأى أنه من أنصار المعنى من خلال كتبه العلمية، بينما هناك من يرى أنه من أنصار اللفظ من خلال رسائله الأدبية، والظاهر أن الجاحظ يعمد في كتبه على الأسلوبين: الأدبي والعلمي، وكان من خلال أسلوبه العلمي يضفي لمسة أدبية ليزيل عنها الجفاف ويخفف من حدته.[5]

1- محمد نبيه حجاب، **بلاغة الكتّاب**، ص: 271،272.

2- محمد علي زكي الصبّاغ، **البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ**، ص: 43،44.

3- المرجع نفسه، ص: 82.

4- المرجع نفسه، ص: 82.

5- ينظر، محمد نبيه حجاب، **بلاغة الكتّاب**، ص: 277.

كما عُهد عن أسلوب الجاحظ أنّه « جمع بين ما ورثه عن أسلافه من خصائص كالسجع والازدواج والإطناب، وبين ما انفرد به من مواهب وعبقرية، من ميله إلى التحليل والتعليل والاستطراد والاستقصاء، والمراوحة بين الجد والهزل، والواقعية الطبيعة التي لا تحفل بلوم اللائمين....»[1]

بينما عرف النقد « تغيرا عما كان عليه في زمن الجاحظ، فقد كان الحكم على الآثار الأدبية يعتمد على البساطة والذوقية الفنية؛ أي أنه كان يمارس النقد حسب أهواء الكتّاب، وعلى خبرتهم الشخصية وكذا فهمهم الذاتي، إلا أنّ الجاحظ يعتبر أول من جمع بين ما يتصل به من كلام سابقيه ومعاصريه وبسطه بعد أنْ أضاف عليه آراء من منظوره، وقد استفاد النقاد كثيرا من توجيهاته وكتاباته.»[2]

كان الجاحظ « شيخا للنقاد وإماما للأدباء، وأستاذً للمتكلمين، وفيلسوفا من فلاسفة الإسلام، لا ينكر أحد فضله على النقد الأدبي وتأسيس مبادئه ووضع أصوله، فاضل بين الشعراء وتكلم في الطبع والتكلف، وبيّن أقدار الألفاظ والمعاني وتحدث عن العاطفة وأولوية الشعر، والتوليد فيه، وصنّف مذاهب الشعراء بعبارات تنم عن وقع الشعر في نفسه.»[3]

2- التعريف بالكتاب "البيان والتبيين": ألف الجاحظ موسوعته اللغوية "البيان والتبيين" أواخر حياته، ولقد صار هذا المؤلف النفيس كتابا بليغا في أثر العرب، ووصف حياتهم وأرخ لهم في لغتهم وحوى كثيرا من آدابهم، فقد وضع فيه خبرته وما تحصل عليه من علوم ومعارف عبر سنين طوال ليصبح من أمهات الكتب في التراث العربي؛ إذْ يصنف كتاب البيان والتبيين كواحد من أهم الكتب العربية حيث تنصب أفكار هذا الكتاب حول البلاغة والأدب، فالبيان عند الجاحظ هو الدلالة على المعنى، والتبيين هو الإيضاح، يرتكز على فلسفة اللغة، وأسس علوم البلاغة، مع التطرق إلى بعض أمور الفلسفة والمنطق، وأفكار بعض العقائد والأديان، كما تكمن غاية الجاحظ من تأليف هذا الكتاب، في الدفاع عن تفوق البيان العربي في جميع مظاهره، والرد على الشعوبية الذين كانوا يريدون أن ينقصوا من قيمة العرب بالتعريض لأحوالهم الاجتماعية والأدبية كحملهم العصا، فهو كتاب ينتمي إلى مجال الأدب يضم بين دفتيه تراثا غزيرا تمثل في الشعر والنثر، والخطب والوصايا، والحكم والأمثال، والأخبار وعلوم البلاغة وغيرها، حيث يعد "البيان والتبيين" والحيوان من أواخر مؤلفات

1- محمد نبيه حجاب، **بلاغة الكتّاب**، ص: 277.

2- محمد علي زكي الصبّاغ، **البلاغة الشعرية**، ص: 86.

3- المرجع نفسه، ص: 86.

الجاحظ بعد أن أصابه الفالج، وعلى الرغم من إصابته بهذا المرض الذي ألزمه الفراش، لم تفارقه قريحته المتوقدة، وذاكرته القوية، وفكاهاته الساخرة.[1]

كما يعتبر البيان والتبيين « من أضخم مؤلفات الجاحظ، وهو يلي كتاب الحيوان من حيث الحجم، وإذا كان كتاب الحيوان يعالج موضوعا علميا فإنّ كتاب البيان والتبيين ينصب على معالجة موضوع أدبي، ولكن الجاحظ في هذين الكتابين، شأنه في جميع كتبه، ينحو منحى فلسفيا، فهو لا يقتصر في كتاب الحيوان على أخبار الحيوانات وخصالها وطباعها، بل يتطرق إلى موضوعات فلسفية كالكمون والتولد، والجواهر والأعراض، والجزء الذي لا يتجزأ، والمجوسية والدهرية... إلخ، وفي كتاب البيان والتبيين لا يكتفي بعرض منتخبات أدبية من خطب ورسائل وأحاديث وأشعار، بل يحاول وضع أسس علم البيان وفلسفة اللغة.»[2]

قال ياقوت: « كتاب البيان والتبيين نسختان، أولى وثانية، والثانية أصح وأجود، ورجح عبد السلام هارون أن تكون النسخة الثانية هي نسخة مكتبة كوبريلي، التي هي أصح النسخ، وهي نسخة عليها ختم الوزير كوبريلي سنة 1088هـ، وقد طبع الكتاب مرات كثيرة، أجلها طبعة المرحوم عبد السلام هارون، الأولى عام 1947م والثانية عام 1960م، مع مقدمة جليلة عن الكتاب ومكانته العلمية، قال فيها: إنه ليس يوجد أديب نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يُفِد منه، وقلما تجد أديباً من المحدثين لم يتمرَّس بما فيه من أدب.»[3]

2-1 أقسام الكتاب: يرى حنّا الفاخوري في كتابه تاريخ الأدب العربي، أنّ « تشيع في هذا الكتاب، كما في سائر كتب الجاحظ، فوضى في التأليف، لا نستطيع معها حصر موضوعاته في أقسام متسلسلة، فنكتفي بإيراد خلاصة ما في أبواب الكتاب من موضوعات، فالجاحظ يمزج في كتابه علوم البلاغة بالأدب والتاريخ »[4]، وقال أيضا: « أمّا ما يرجع إلى البلاغة فكلام على ماهية البلاغة، وعلى نعمة الفصاحة، ثم على عيوب اللسان والعِيِّ، كاللحن، واللُكنة، والفأفأة، والتمتمة، والتشديق، ويلحق بالبلاغة أيضا الكلام على الخطابة وعيوب الخطيب من نحنحة وسعلة، والأسنان وعلاقتها بالخطابة، ويُلحق كذلك بالبلاغة ما يرجع إلى موسيقى الكلام من حروف وألفاظ متنافرة، ومن سجع وما إلى

1- ينظر، عز الدين إسماعيل، **المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي**، مكتبة غريب، ص: 140.

2- الجاحظ، **البيان والتبيين**، مقدمة عامة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1، ص: 5. نقلا عن موقع الوراق، المكتبة الشاملة.

3- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام هارون، ج1، 1998، ط7، ص: 16.

4- حنّا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، ط2، ص: 579.

ذلك، أمّا ما يرجع إلى الأدب فإيراد الكثير من كلام العرب في العهد الراشدي والأموي والعهد العباسي، من شذرات مأثورة منتقاة ومن خطب بليغة، أمّا ما يرجع إلى التاريخ فكثير من أخبار الخطباء والأمراء والكهان والنسّاك وغيرهم.»[1]

2-2 قيمة الكتاب: للكتاب قيمة تاريخية وقيمة أدبية:

2-2-1 قيمته التاريخية: في هذا الكتاب « تظهر نزعة الجاحظ العربية؛ فهو يرد على الشعوبية، ويُكثر من إيراد ما للعرب من مظاهر البلاغة، فهو في موقف معاكس لزعماء الثورة التجديدية؛ وهو مع ذلك يُضيف في كتابه إلى الثقافة العربية الواسعة عناصر مختلفة مما تقدمه الثقافات الأخرى اليونانية والفارسية والهندية وغيرها، حتى ليمكننا القول أن كتابه مزيج من ثقافات مختلفة تغلب عليه الثقافات العربية... ويذكر عادة الرهبان في اتخاذ العصا، كما يذكر أن الهنود كتبا في الحِكَم والأسرار، وأن لليونان منطقا يُعرف به الخطأ من الصواب.»[2]

2-2-2 قيمته الأدبية: لا شك أنّ كل فصل من فصول الكتاب فوضى لا تُضبط واستطراد لا يُحد، فالجاحظ لا يرعى للوحدة التأليفية نُظُماً ولا يُقيم لها وزنا، إلا أنّ للكتاب قيمة حقيقية جعلت له محلا خاصا ما بين أصول فن الأدب وأركانه حتى قال ابن خلدون: « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنّ أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي: **أدب الكاتب** لابن قتيبة، وكتاب **الكامل** للمبرّد، وكتاب **البيان والتبيين** للجاحظ، وكتاب **النوادر** لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها.»[3]

2-3 دوافع تأليف كتاب البيان والتبيين: لقد أرجع لفيف من الدارسين الدافع الرئيسي الباعث على تأليف "البيان والتبيين" إلى:

2-3-1 الدافع الأول: هو أنّ « الجاحظ لم يكن حتى زمن تأليف هذا الكتاب، قد اختص البيان العربي ببحث شامل يبيّن فيه طاقات اللغة العربية في مجال التعبير، وفي مجال إقناع المستمع عن طريق المناظرة والخطابة.»[4]

1- حنّا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، ط2، ص: 579.

2- المرجع نفسه، ص: 580.

3- المرجع نفسه، ص: 580.

4- عز الدين إسماعيل، **المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي**، مكتبة غريب، ص: 140.

2-3-2 الدافع الثاني: هو « الرد على الشعوبية الذين كانوا يعيبون على العرب خطبهم وتقاليدهم في إلقاء تلك الخطب، ومنها الإمساك بالعصا، وقد نص الجاحظ في أكثر من موضع من الكتاب على أنه قد نصب نفسه مدافعا على فصاحة العرب، داحضا بذلك اتهامات الشعوبيين.»[1]

2-4- أقوال القدماء: "البيان والتبيين" يقول أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري في كتابه الصناعتين: « عند الكلام على كتب البلاغة، وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ؛ وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة، ونعوته المستحسنة، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة... لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير.»[2]

2-4-1 ابن رشيق القيرواني (390-463) في كتاب العمدة يقول: « وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ-وهو علاّمة وقته-الجهد، وصنع كتابا لا يُبلغ جودة وفضلا، ثم ما ادّعى إحاطته بهذا الفن؛ لكثرته، وأنّ كلام الناس لا يُحيط به إلا الله عز وجل.»[3]

2-4-2 ابن خلدون المغربي (732-808) كما ذكرنا آنفا أنّه قد سجل لنا رأي قدماء العلماء، في هذا الكتاب؛ إذ يقول عند الكلام على علم الأدب: « وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنّ أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكتاب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها.»[4]

2-5 تفصيل الكتاب: إنّ « دأب الجاحظ في تأليفه أن يرسل نفسه على سجيتها، فهو لا يتقيد بنظامٍ محكم يترسَّمه، ولا يلتزم نهجًا مستقيما يحذوه، ولذلك تراه يبدأ الكلام في قضية من القضايا، ثم يدعها في أثناء ذلك ليدخل في قضية أخرى، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل، وقد كانت هذه سبيل كثير من علماء دهره، كما أن علّو سنه وجِدّة التأليف في تلك الأبحاث التي طرَقها، كل أولئك كان

1- عز الدين إسماعيل، **المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي**، ص: 141.

2- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ج1، ص: 5.

3- المصدر نفسه، ص: 6.

4- المصدر نفسه، ص: 6.

شفيعًا له في هذا الاسترسال والانطلاق، وكان أبو عثمان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحياناً، فهو يقول عند الكلام على البيان: وكان في الحق أن يكون هذا الباب في أول هذا الكتاب، ولكنا أخرناه لبعض التدبير.»[1]

قال عبد السلام هارون « بعد أن تكلّم في الجزء الأول على اللحن ومتى يُستملَح ومتى يُستهجَن، فعقد في الجزء الثاني باباً للّحن وأخبار اللحانين، وعرض صوراً من صور العِيِّ والحَصر، وبسط مذهباً له في وجوب أداء القصص والنوادر كما هي، إن معربةً فمعربة، أو ملحونة فملحونة، زاعماً أن الإعراب يفسد نوادر المولدين.»[2]

فقد بدأ الجزء الثاني من البيان والتبيين « بالردّ على الشعوبية في طعنهم على خطباء العرب وملوكهم؛ إذْ وصلوا إيمانهم بالمخاصر واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القسيّ والعصيّ، وأشاروا عند ذلك بالقضبان والقنيّ، وفي كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق، والمثل السائر، ولكنا أحببنا أن نصيّر صدر هذا الباب كلاما من كلام رسول رب العالمين، والسلف المتقدمين، والجلة من التابعين، الذين كانوا مصابيح الظلام، وقادة هذا الأنام، وملح الأرض، وحليّ الدنيا، والنجوم التي لا يضل معها الساري، والمنار الذي يرجع إليه الباغي، والحزب الذي كثر الله به القليل، وأعز به الذليل، وزاد الكثير في عدده، والعزيز في ارتفاع قدره، وهم الذين جلوا بكلامهم الأبصار الكليلة، وشحذوا بمنطقهم الأذهان العليلة.»[3]

كما بدأ في الجزء الثالث « بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعنهم على خطباء العرب بأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام، ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى، والمنثور الذي لم يقف، وبالإرجاز عند المتح، وعند مجاثاة الخصم، وساعة المشاولة، وفي نفس المجادلة والمحاورة، وكذلك الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة، واستعمال المنثور خطب الحمالة، بهذا الكتاب تخرّج كثير من الأدباء، واستقامت ألسُنهم على الطريقة المثلى، فهو شيخ جماعات ممن صقلوا ذوقهم بصِقال الجاحظ، ورفعوا فنّهم بالتأمل في فنه وعبقريته.»[4]

1- الجاحظ، **البيان والتبيين** ص: 6.

2- المصدر نفسه، ج1، ص: 8.

3- الجاحظ، **البيان والتبيين**، مقدمة عامة، المكتبة الشاملة، ج2، ص: 5.

4- المصدر نفسه،ج3، ص: 5.

كما ساق في تفصيل أنواع الدلالات البيانية من اللفظ، والإشارة، والعَقْد، والخط، والنُّصبة، وعقد أبواباً لمدح اللسان والبيان، وصنع موازنة بين لغة العامة والحضريين والبدويين، ونوه تنويها بصحة لغة الأعراب في عصره، وروى مقطَّعات من نوادر الأعراب وأشعارهم، وتحدث في لُكْنة النبط والروم، وعَرَض نماذج من كلام الموالي، ولم ينس أن يسوق في صدر كتابه طائفة من الآيات التي تنوّهُ بشأن البيان والبلاغة، ثم يعيد الكرة في الحث على البيان والتبيين؛ إذْ يقول: « وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة...»[1]

وقال أيضا « وهو لا يُغفِل أن يتكلم في مخارج الحروف، ويبيّن أثر سعة الشدق وأثر اكتمال الأسنان أو نقصها في البيان، وكذلك أثر لحم اللثة، وكذا أثر سقوط الأسنان، وينقل قول محمد الرومي: قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها، ويعقد باباً للحروف التي تدخلها اللثغة، ويبيّن: أيُّ لثغة أشنع وأيها أظرف، ولعل الذي دفعه إلى ذلك ما كان معروفاً من لثغة واصل بن عطاء المعتزلي، الذي حاول أن يعتذر له، وأن يجعل من هذا النقص الذي كان يتغلب عليه، كمالاً وعبقرية يسوق فيها الدليل إثر الدليل.»[2]

وهو كذلك « يروي طائفة من أخبار البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء، ومن جمع بين الخطابة والشعر، ويعرض نماذج من كلام الرسول في صدر الجزء الثاني، كما عقد باباً للغز في الجواب في ذاك الجزء، فإذا ما حاول الكلام في البلاغة، وهي المرتبة التي فوق البيان، ذهب يسرُدُ تعريفها عند الفرس والروم والهند، والأعراب، وأعلام البلغاء، كالعتابي وسهل بن هارون، وعمرو بن عبيد، وابن المقفع، ثم لا يرضيه ذلك حتى يظفر بترجمة لصحيفة هندية ترسم حدود البلاغة وتبيّن أصولها.»[3]

كذلك قال: « ولم يتعرض لمسائل البلاغة التي عرفت فيما بعد، إلا ما قدّم من كلام في تنافر الحروف وائتلافها، وكذلك مراعاة مقتضى الحال، وهو يتكلم في الإيجاز والإطناب ويعيّن المواضع الصالحة لكل منهما، ويتكلم في المشاكلة البديعية، ويعرض فيها أمثلة من القرآن والشعر، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، كانت الإشارة أبين.»[4]

1- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام هارون، ج1، ص: 8.

2- المصدر نفسه، ص: 8.

3- المصدر نفسه، ص: 9.

4- المصدر نفسه، ص: 27 .

2-6 حدّ البيان: تفرغ الجاحظ لدراسة البلاغة والبيان، حيث وضع كتابه "البيان والتبيين" الذي جعل فيه ملاحظات العرب البيانية وأشار إلى تفاوت الكلام بتفاوت السماع، حيث يقول: قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: « المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وأخبارهم عنها، واستعمالهم إياها.»[1]

فلقد عرّف الجاحظ البيان قائلا: « البيان اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشفَ لك قِناعَ المعنى، وهتَكَ الحِجابَ دونَ الضمير، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِهِ، كائناً ما كان ذلك البيانُ، ومِن أيِّ جنسٍ كان الدّليل، لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِي القائل والسّامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام، فبأيّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع.»[2]

وقال أيضاً منبها إلى فضل البيان وقيمته: « البيان بَصَرٌ والعِيّ عمىً، كما أنّ العلم بصرٌ والجهلَ عمى، والبيانُ من نِتاج العِلم، والعِيُّ من نِتاج الجهل"، وقال سهلُ بن هارون: "العقل رائد الرُّوح، والعلمُ رائدُ العقل، والبيان تَرجمان العلم...»[3]

2-7 نسخ الكتاب: يذكر ياقوت أنّ كتاب البيان والتبيين نسختان: « أولى وثانية، والثانية أصح وأجود، ذلك أن نسخة مكتبة كوبريلي، هي أصح نسخةٍ من أصول الكتاب، حيث أنها كثيرا ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات، التي لا توجد في سائر النسخ، نسخة كوبريلي هي أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصا، إذن أصول الكتاب نسختان، إحداهما نسخة كوبريلي، والأخرى ما عداها من النسخ التوائم التي قلما تشذ واحدة منها عن الأخرى.»[4]

وإجمالا يمكن القول بأنّ الجاحظ يتميز في منهجه وأسلوبه في ذلك بإبعاد شبح الملل والضجر عن القارئ من جهة، وإكسابه ثقافة موسوعية متنوعة الألوان من جهة أخرى، كما أنّ كتابه "البيان والتبيين" يبقى من الكتب التي لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها.

1- ينظر، الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص: 81 .

2- المصدر نفسه، ص: 76.

3- المصدر نفسه، ص: 77.

4- المصدر نفسه، ص: 16، 17.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية في البيان والتبيين للجاحظ من خلال نظرية أفعال الكلام:

عني الجاحظ في كتابه البيان والتبيين حين خصص فصولا للخطابة مبينا صفات الخطاب، حيث ركز على مراعاة أحوالهم وطبقاتهم السياسية والاجتماعية، أو مراعاة مقتضى الحال، فتكمن غاية وهدف الخطيب في إيصال كلامه إلى ذهن المتلقي، بالإضافة إلى نوع العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، ودرجة إقناع المرسل إليه بالملفوظ ومدى فهمه، وذلك عن طريق حصول الإفهام والإقناع، بهذا يتحقق الفعل الكلامي.

إنّ أفعال الكلام جعلت من الخطاب الجاحظي خطابا فاعلا، استلهم قوته من إطار السياق والمقصدية، فالبعد التداولي للخطاب الجاحظي لا يترك في كثير من الأحيان الحرية للمتلقي في البحث عن خباياه، بعيدة المقصد في الخطاب، إلا من خلال أفعال الكلام.

وقد وظف الجاحظ التداولية بقصد إبراز قيمة الأشخاص، على عكس ما يريد في الخطابات العادية، من خلال الألفاظ وطريقة الكلام بنسيج غامض وضمني، باستعماله الأساليب الخبرية والإنشائية بنوعيها.

1- الأسلوب الخبري والإنشائي عند الجاحظ

1-1 الأسلوب الخبري عند الجاحظ:

يعتبر الأسلوب الخبري من أهم المباحث في علوم اللغة العربية، فقد درسه علماء ومفكرين كثر كل حسب تخصصه، ومن هنا لقي الأسلوب الخبري تعاريف عدة ذات منطلقات محددة.

1-1-1 المفهوم اللغوي للخبر: إن للجذر اللغوي "**خبر**" حضورا في شتى المعاجم العربية، من أبرزها:

لقد جاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث قال فيه: « أخبرْتُه وخَبَّرْتُه، والخبر، النبأ، ويجمَعُ على أخبار، والخبير: العالم بالأمر... والخبرة: الاختبار، تقول: أنت أبطن به خبرةً، وأطول به عشرةً. والخابِرُ: المختَبِرُ المجربُ، والخُبْرُ: عِلمُك بالشيء.»[1]

1- خليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، مرتبا على حروف المعجم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، 1424هـ، ط1، ج1، ص: 383.

بينما جاء الخبر في القاموس المحيط: « الخبرُ، محركة: النبأ ج: أخبار جج: أخابير. ورجلٌ خابرُ وخبيرٌ وخبرٌ، ككتف وجُحْرٍ: علمٌ به، وأخبروه خُبورَةُ: أنبأهُ ما عنده، والخِبْرُ والخِبْرَةُ، بكسرهما وبضمهما، والمخْبَرَةُ والمِخْبُرَةُ: العلم بالشيء، كالاختبار والتَخَبُّرِ.»[1]

وجاء في المعجم الوجيز: « (خَبَرَ) الشيء، خُبراً، وخِبرةً، ومخبرةً: بلاه وامتحنه، وعرف الخبر على حقيقته، فهو خابر، ويقال: لأُخبرنِّ خُبرك لأعلمنَّ علمك، و(خَبِرَت) الأرضُ- خبراً: كثُر خَبَارُها، ويقال: خبِرَ المكانُ، فهو خبير، والشيء علِمهُ... و(أَخْبَرَهُ) بكذا: أنبأَهُ.»[2]

يتجلى لنا من خلال ما سبق، أنَّ معظم المعاجم العربية تجمع على أنّ الخبر في اللغة هو: النبأ، العلم بالأمر أو بالشيء، الخبرة والتجربة، الامتحان والبلاء، وكلُ ما نحى ذلك.

1-1-2 المفهوم الاصطلاحي للخبر:

حظي مصطلح الخبر تداولا في مختلف علوم اللغة العربية، نظرا لما يحمله من دلالات واسعة ومتفرقة، فنجده يتصف بتعاريف مختلفة حسب الاختصاص الذي ينتمي إليه.

فلو جئنا إلى علم النحو لوجدنا النحاة يربطون الخبر بالمتكلم والمتلقي، حيث يُعرفونه بأنه: «الجزء الذي تتم به مع المبتدأ فائدة الجملة الاسمية.»[3]

وعليه فإن النحاة يربطون بين الجملة والفائدة التي تحققها، وهذه الفائدة التي لن تحصل إلا إذا أتم الخبر معنى المبتدأ، ومنه يتجلى لنا أن الخبر يأتي مكمل للمبتدأ من أجل أن تحصل فائدة عند المتلقي.

أما لو بحثنا عن الخبر في علم البلاغة لتبيّن لنا، أنّ البلاغيين هم الآخرون يهتمون به، فحده مرهون عندهم بمعيار الصدق والكذب، إذ حصر السكاكي الخبر في مجموعة من التعاريف: « الكلام المحتمل للصدق والكذب؛ أو التصديق والتكذيب... أو هو الكلام المفيد بنفسه ... نفيا أو إثباتا.»[4]

1- الفيروز آباديّ، **القاموس المحيط**، تح، مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرّسالة، إ،محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،1426هـ، 2005 م، ط8، ص: 382.

2- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوجيز**، مطابع الدار السندسية، مصر، 1400 هـ، 1970 م، ط1، ص: 173، 174.

3- ينظر، رؤوف جمال الدين، **المعجب في علم النحو**، دار الهجرة، إيران، القرم، (د. ط،د.س)، ص: 85.

4- السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص:164.

من خلال التعاريف التي جاء بها السكاكي نلمح أن للخبر له مدلولات مختلفة؛ تتمثل فيما يلي:

يبدو لنا من التعريف أن الخبر مرتبط بقائله إن كان صادقا فيه أم كاذبا؛ فيحتمل هنا الصدق أو الكذب.

كما نرى أن الخبر مرتبط بمتلقيه إن كان سيصدق الخبر الذي أعلم به أم سيكذبه؛ فيتصف الخبر بدوره بالتصديق أو التكذيب.

والظاهر فيه أن الخبر مرتبط بالكلام في حد ذاته؛ كون هذا الكلام يحمل في طياته فائدة للمتلقي؛ فتكون هذه الفائدة بمثابة إضافة لرصيد معلومات المتلقي، إما بالنفي أي عكس ما يعلمه حول هذا الأمر فيستصعب الأمر بطبيعة الحال ويحتاج للإقناع فيما بعد، وإما بالإثبات أي نفس ما يعلمه حول هذا الأمر فيكون الخبر تأكيدا لما يملكه من معلومات.

كانت هذه مجموعة من التعاريف للأسلوب الخبري في اللغة العربية، ومما يتضح أن الخبر مرتبط بصاحبه وبمتلقيه، كما من أهم العناصر التي تكمن في هذا الأسلوب، الفائدة التي يصبو لبلوغها؛ واحتمالية الخبر: الصدق أو الكذب، التصديق أو التكذيب، والنفي أو الإثبات حسب معلومات المتلقي حول هذا الأمر.

يعتبر الجاحظ علّامة في الأدب العربي، وهذا لتَمكّنه في العديد من علوم اللغة العربية، ومن هذه العلوم، كانت البلاغة فألف فيها وبحث في علومها، من علم البيان والمعاني والبديع، والأسلوب الخبري إحدى المسائل التي تكلم فيها.

والمعروف في الأسلوب الخبري عند البلاغيين أنه مقسم وفق معيارين: الصدق والكذب، بيد أن الجاحظ قسمه إلى ثلاثة أقسام: « صادق، وكاذب، وغير صادق ولا كاذب.»[1] سنوضح ذلك في المخطط التالي:

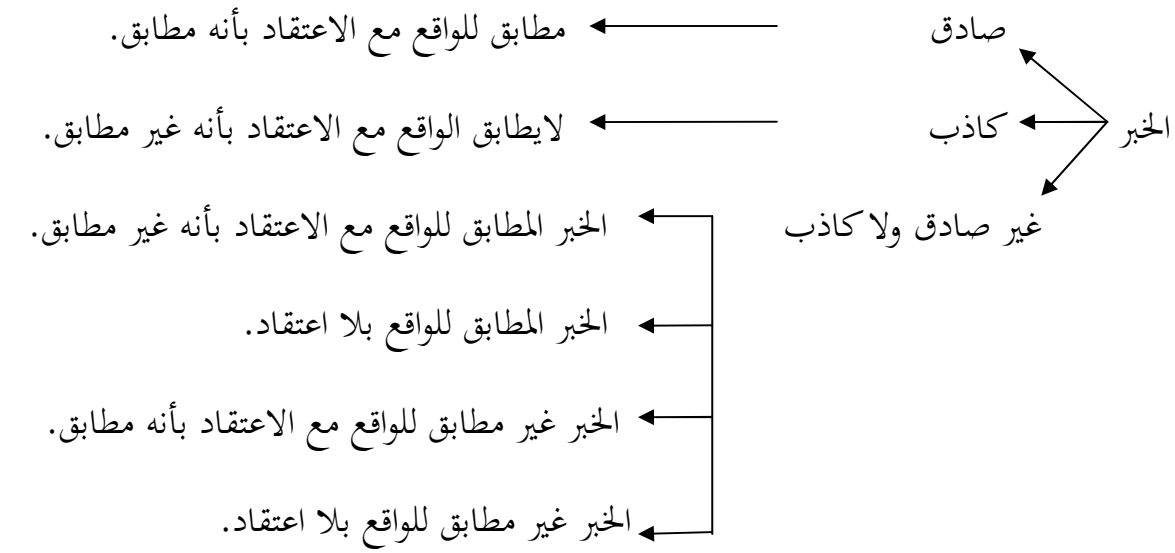

نلاحظ أنّ الجاحظ اعتمد على معيارين في تقسيم الخبر: مطابقته للواقع، اعتقاد المخبِر؛ أي قصده، وفي هذا التقسيم بُعد تداولي؛ حيث أنه في الدراسات الحديثة التي قام بها اللغويين العرب أمثال مسعود صحراوي، وجدوا أنّ عمل الجاحظ يتقاطع مع أعمال سيرل «حينما جعل شرط الصراحة معيارا من معايير القوى المتضمنة في القول لإثبات هويتها الإنجازية.»[2]

1ـ أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية، فصاحة، بلاغة، معاني**، وكالة المطبوعات، الكويت، ساعدت جامعة بغداد في نشره، 1979 م، 1980م، ص: 87.

2ـ مسعود صحراوي، **التداولية عند علماء العرب**، ص: 94.

1-2 نماذج من الأسلوب الخبري عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين:

1-2-1 الخبر الصادق: المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق: القرآن هو كلام الله الصادق والأصدق على الإطلاق الذي لا يطعن في صحته.

الجاحظ يقر بهذا ويقول: « وأبين الكلام كلام الله »[1]؛ أي أن القرآن هو أفصح وأصدق كلام، ومن الأمثلة ذلك:

مثال: جاء الجاحظ على ذكر الأمم السالفة والبائدة من العرب، فقال: « وقد ذكرت العرب هذه الأمم البائدة... مثل جُرهُم، جاسم، ووبار وعملاق... فأما ثمود فقد خبّر الله عز وجل عنهم فقال: ﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾[2]، وقال: ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾[3]، فأنا أعجب من مسلم يصدِّق بالقرآن، يزعم أن قبائل العرب من ثمود.» [4]

لقد جاء في تفسير الآية الأولى «لم يبقِ الله على ثمود فيتركها على طغيانها وتمردها على ربها مقيمة، ولكن عاقبها بكفرها وعتوها فأهلكها.»[5]

بينما جاء في تفسير الآية الكريمة الثانية «... فما أبقى عليهم؛ أي: أخذهم بذنوبهم، وقيل: (فما أبقى) أي: فما أبقى منهم عينا تطرف، وقال الحجاج بن يوسف حين قيل له: إنّ ثقيفا من نسل ثمود، فقال: قال الله تعالى: (وثمود فما أبقى)، وهؤلاء يقولون: بقيت بقية منهم، والظاهر القول الأول، لأن ثمود كان قد آمن منهم جماعة بصالح- عليه السلام- فما أهلكهم الله مع الذين كفروا به...»[6]

1- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام هارون، ج01، ص: 273.

2- سورة **النجم** ، الآية: 51.

3 - سورة **الحاقة**، الآية: 08.

4- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام هارون، ج01، ص:187،188.

5- الطبري، **تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن التأويل آي القرآن**، تح، ض، تع، بشار عواد معروف، عصام فارس الحستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414 هـ، 1994 م، ط01، مج07، ص: 156.

6- محمد بن يوسف المشهور بأبي حيّان، **تفسير البحر المحيط**، تح، تع، عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد المعوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010، ط03، ص:166 .

نلاحظ من خلال تفسير الآيتين الكريمتين أن الله يخبرنا بما حل بقوم ثمود لكثرة طغيانها وفسادها في الأرض، فالقرآن جاء بأخبار العرب البائدة التي لم يبق لها أثر، وما كنا لنعلم عنها لولا كلام الله المنزل، وما تَعجب الجاحظ إلا من مسلمٍ يصدق بالكتاب ويظن أن قبائل العرب ممتدة عن ثمود، وهذا دليل يبين موقف الجاحظ من هذا التفكير الساذج، فالأخبار الواردة في القرآن عن الأمم الغابرة هي تبيان لمصداقية القول فيه، المصداقية المطلقة.

ويتمثل فعل القول حسب تصنيف أوستين من خلال كلام الجاحظ في "خبّرنا الله"، أمّا الفعل التأثيري يتجلى في الأثر الذي يتركه في نفس السامع حين يتلقاه؛ إذْ الأثر المرجو هنا لفت وشد الانتباه، وأمّا الفعل الإنجازي فهي ردة الفعل التي يبديها السامع؛ ألا وهي التأكد من مصداقية الكلام وتمكنه في نفس المتلقي وتثبته فيه.

ومن الخبر الصادق عند الجاحظ الأحاديث النبوية الشريفة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاءوا بعده من الصحابة والتابعين، فقد جاء في البيان والتبيين ذكر مجموعة من هذه الأحاديث النبوية الشريفة التي أوردها الجاحظ، وهذا إن دّل على شيء فهو يدل على مصداقية هذه الأحاديث، ومدى إمكانية الاعتماد عليها في كلامنا والاستشهاد بها وذلك لصحتها وثبوتها.

فيقول: «... من كلام رسول رب العالمين، والسلف المتقدمين، والجلة من التابعين، الذين كانوا مصابيح الظلام، وقادة الأنام، وملح الأرض... هم الذين جلوا بكلامهم الأبصار الكليلة، وشحذوا بمنطقهم الأذهان العليلة، فنبهوا القلوب من رقدتها، ونقلوها عن سوء عادتها... ونهجوا لنا الطريق الواضح...»[1]

1- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام هارون، ج02، ص: 05.

نستشف من كلام الجاحظ أنّ النبيّ- عليه صلوات ربي وسلامه- ومن تبعوه من صحابة وخلفاء، هم أفصح العرب لسانا وبيانا، وأصدقهم قولا وخبرا، ومن أجل توضيح هذا اجتبينا المثال الآتي:

مثال: ذكر الجاحظ حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم: « لا يلسع المؤمن من جُحْر مرتّين، ألا ترى أن الحارث بن حدّان، حين أمر بالكلام عند مقتل يزيد بن ملهب قال: أيها النّاس اتقوا الفتنة... وإنّ المؤمن لا يلسع من الجحر مرتين، فضرب بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المثلَ.»[1]

وما نلاحظه من القول السابق أنّ حديث النبي صلى الله عليه وسلم جاء مرفق بكلام بن حدان الذي ضرب به المثل، وهذا يُبيّن لنا أنّ كلامه صلى الله عليه وسلم كلام صادق ومعتمد عليه في الخطابات، بدليل أنه أصبح مثلا يضرب به عند الخطباء.

يظهر لنا أنّ الفعل الكلامي في الحديث النبوي الشريف الذي جاء على ذكره الجاحظ "لا يلسع"، أما الفعل التأثيري يكمن في وقع الفعل على نفس المتلقي؛ حيث تفطن لذلك حتى لا يقع في الخطأ ذاته أكثر من مرة، والفعل الإنجازي يحصل بمجرد نطقه حسب تصنيف سيرل، إذ تمثل في المتلقي الذي يجب أن يتجنب الأحداث التي تؤدي إلى الوقوع في نفس الزلل.

كما نجد الجاحظ أنه قد أطال في الكلام عن بيان النبي صلى الله عليه وسلم وفصاحة لسانه، وجاء بكثير من أحاديثه، حيث يقول: « وأنا ذاكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلى الله عليه وسلم، وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه... ولا يحتج إلا بالصدق... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أنفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم.»[2]

يتبيّن لنا من هذا القول أنّ الجاحظ يرى في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ميزات كثيرة، كفصاحة لسانه وبلاغة كلامه وبيان معانيه، نحو قلة عدد كلماته وغزارة معانيه.

1- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام هارون، ج02، ص:16.

2- المصدر نفسه، ص: 16،17,

1-2-2 الخبر الكاذب: لا يطابق الواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق:

مثال: يقول الجاحظ في البيان والتبيين: « سئل- فلان- عن رجل، فقال: إنّ له شرفا وبيتا وقدما، فنظروا فإذا هو ساقط من السّفلة، فقيل له ذلك، فقال: ما كذبت، شرفه أذناه، وقدمه التي يمشي عليها، ولابدّ من أن يكون له بيت يأوي إليه... ومن قال للمستشير هذا القول فقد غَرهُ، وذلك ما لا يحل في الدين... وأدنى منازل هذا الخبر لا يسمى صدقا...»[1]

يوضح لنا المثال أن مثل هذا الكلام يصعب تحديد صحة الخبر فيه من عدمها، فمثل هذا النوع من الخبر يتصف بالصدق في ظاهره وبالكذب في باطنه، يضلل صاحبه عن الحقيقة ويبعده عنها؛ إذْ نلمح في القول ومن قال هذا القول للمستشير **فقد غره** لفظ فقد غره التي يقصد بها ضلله، وما يعني في هذا نوع من الخبر تكون خطورته على المتلقي بحيث يصل إلى الحقيقة غير التي ابتغاها، وهذا يستوجب الحذر من هذه الأخبار وتقصي عنها حتى لا نقع في موقف صعب أو محرج.

ففعل القول في القول السابق يظهر لنا في "أن له شرفا وبيتا وقدما"، وما ينجم عن هذا الفعل القولي من فعل تأثيري يكون هو تصديق المتكلم، لكن نلاحظ في هذا الكلام أن المتكلم كاذب في خبره وهذا يؤدي إلى الإخلال بالحقيقة، ما يعني نقض الشروط التي قال بها سيرل في تحديد الفعل القضوي وهو شرط الإخلاص، فالفعل الإنجازي المتخلف عنه سيكون عكس المتوقع وهي عدم الوصول إلى الغاية المرجوة من الكلام.

1-2-3 الخبر لا صادق ولا كاذب: مثال: لقد « انفرد الجاحظ في تقسيمه للخبر، خاصة في قسمه الثالث الذي قال فيه بأن الخبر لا صادق ولا كاذب »[2]، واستدل في ذلك بقوله تعالى:

﴿ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾.[3]

جاء في تفسير هذه الآية الكريمة قول الزمخشري في الكشاف: « أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه، ثم قال سبحانه وتعالى: ليس محمد

1 ـ الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام هارون، ج01، ص:337،338.

2ـ سعد الدين التفتازاني، **المطول على التلخيص**، خادم العلم السني، 1310 هـ، ص: 41.

3ـ سورة **سبأ**، الآية: 08.

من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب ... ذلك أجن الجنون وأشده إطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد، لأن لضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما في الحقيقة مقترنان...»[1]

نجد في كتاب "مطول على التلخيص" شرحا لهذا الدليل؛ إذ قيل فيه: « لأن الكفار حصروا إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالحشر والنشر في الافتراء والإخبار حال الجِنة... فعند إظهار تكذيبه لا يريدون بكلامه الصدق... ولو قال، لأنهم اعتقدوا عدمه.»[2]

ومن خلال ما سبق يظهر لنا الفعل القولي الذي جاء به أوستين وسيرل يتجلى في قوله "أفترى"، أمّا الفعل التأثيري هو محاولة الكفار بتضليل الناس عن الحقيقة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، والفعل الإنجازي الناجم عن هذا الفعل يكمن في ابتعاد ونفور الناس الذين يريدون دخول الإسلام، إلا أن الله نفى هذا عن نبيه وأيده بالحق فالآية التي تسبق هذه الآية قال فيها تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[3] فكلمة "كفروا" تدل على ضلالة هؤلاء القوم عن الحق المبين.

وعليه إذن الخبر عند الجاحظ ثلاثة أقسام، صادق وكاذب ولا صادق ولا كاذب، وهي تقسيمات شبيهة بما جاءت به نظرية أفعال الكلام عند أوستين وسيرل.

2- الأسلوب الإنشائي عند الجاحظ: قد قُسم الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي، الإنشاء الطلبي كالاستفهام والأمر والنهي والتمني والنداء، وغير طلبي، كالترجي، والقسم، والمدح، والذم، والتعجب، وألفاظ العقود.

1- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، **تفسير الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تع، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، 1430هـ، 2009 م، ط03، ص: 868.

2 - التفتازاني، **المطول على التلخيص**، ص: 41.

3 سورة **سبأ**، الآية: 07.

2-1 الإنشاء: المفهوم اللغوي: جاء في لسان العرب، لابن منظور أنّ « نشأ: أَنْشَأَه الله، خَلَقَهُ، ونَشَأَ يَنْشَأُ نَشَأً ونُشُوءاً، ونَشَاءً ونَشْأَةً ونَشَاءَةً: حَي، وأَنْشَأَ اللهُ الخَلْقَ أي ابْتَدَأَ خَلْقَهم، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴾.[1]

وقيل: الناشئ هو الحدَثُ الذي جَاوَزَ حدَّ الصِّغَر، وكذلك الأنثى ناشئ، بغير هاءٍ أيضا، والجمع منهما نشأ مثل طَالِبٍ وطَلَبَ.»[2]

يذهب ابن فارس في معجم مقاييس اللغة إلى أنّ نشأ: « النون والشين والهمزة أصل صحيح يدل على ارتفاع في شيء وسموّ، ونشأ السحابُ: ارتفع، وأنْشَأَه الله: رفَعه، ومنه: قوله تعالى:

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾[3]، يراد بها والله أعلم "القيام والانتصابُ للصَّلاة، والناشئ: الشابُ الذي نشأ وارتفع وعلا.»[4]

2-2 الإنشاء: المفهوم الاصطلاحي: يرى محمد بن مشبب حبتر، في كتابه الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال، أنّ الإنشاء هو « ما دل على معنى طلبي بحيث لا يحتمل التصديق والتكذيب، من قول أو ما قام مقامه.»[5]

ومعنى أن الإنشاء « لا يحتمل الصدق والكذب، أنه ليس له نسبة في الخارج تطابقه، أو لا تطابقه، بخلاف الخبر، وسمي إنشاء لأنك أنشأته؛ أي ابتكرته ولم يكن له في الخارج وجود، فيدخل فيه الاستفهام (السؤال)، والأمر، والنهي، والدعاء، وسائر أقسام الإنشاء المعروفة، ويدخل فيه كل ما دل على ذلك من قول أو كتابة أو إشارة مفهمة.»[6]

كما يرى أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة، أنّ « الإنشاء هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به"، كما قال أيضا "فطلب الفعل في افعل، وطلب الكف في لا تفعل،

1- سورة **النجم**، الآية:47.

2- ابن منظور، **لسان العرب**، مج1، مادة نشأ، ص: 170.

3- سورة **المزمل**، الآية: 06.

3- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج5، مادة نشأ، ص: 429.

4- محمد بن مشبب حبتر، **الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال واستنباط الأحكام الشرعية**، دار المحدثين، القاهرة، 2008، ص: 36.

5- المرجع نفسه، ص: 36.

وطلب المحبوب في التمني، وطلب الفهم في الاستفهام، وطلب الإقبال في النداء، كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها.»[1]

لنجد في كتابه أيضا « تقسيم الإنشاء إلى قسمين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.»[2]

2-3 الإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون بصيغ المدح والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، ويكون برُبَّ ولعلَّ، وكم الخبرية.[3]

– صيغ المدح والذم: يكونان بنعم وبئس وما جرى مجراهما، نحو: حبذا ولا حبذا، والأفعال المحولة إلى فعل، والتعبير بأسلوب المدح يتمثل في تعبير المتكلم عن موقف الاستحسان، بينما التعبير بأسلوب الذم يتمثل في تعبير المتكلم عن موقف الاستياء.

– المدح: هو « الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا، وأفعال المدح هي الأفعال التي وضعت لإنشاء المدح، وهي نِعمَ، وحبذا.»[4]

مثال: قال الجاحظ: وعن الحسن قال: جاء قيس بن عاصم إلى النبي صلّى الله عليه وسلم فلما رآه قال: هذا سيد أهل الوبر، فقال: يا رسول الله، خبرني عن المال الذي لا تكون عليّ فيه تَبِعة من ضيفٍ ضافني، أو عيالٍ كَثُروا عليَّ، قال: « **نِعمَ** المال الأربعون، والأكثرُ الستون.»[5]

الفعل القولي هو "نِعمَ المال" ونِعمَ فعل ماض جامد لإنشاء المدح؛ يتمثل في ذكر صفة محمودة على وجه الاستحسان؛ أي الأربعون من الإبل، والستون من الإبل، لكن لا تصل إلى المئين فإن وصلت هناك استثناءات، أن تؤدى مثل هذه الحقوق على هذه الأموال، فكلما كثرت الأموال كثرت الحقوق، والفعل القضوي حسب تصنيف سيرل يتمثل في واجب الزكاة، أمّا الفعل الإنجازي هو قيام العبد بواجباته لكي يرضي الله عز وجل، وتبيان أهمية الزكاة والصدقة ومدى الثواب على القائم بها، إذ ينشئ المدح للتعبير عن جودة الشيء الحاصلة خارجا، كما تستعمل نِعم للمدح على سبيل المبالغة، حيث أنّ المدح يدخل ضمن التعبيريات حسب تصنيف سيرل.

1- أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع**، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ص: 79.

2- أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع**، ص: 79.

3. ينظر، أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية**، ص: 107.

4- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات**، تح، محمّد صدّيق المِنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص: 173.

5- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، هارون، ج2، ص: 34.

إذ يقول عبد البر النمري الأندلسي في كتابه التمهيد: « قال: سمعت الحسن يتحدث عن قيس بن عاصم المنقري، وكان ممن نزل البصرة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم أنه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هذا سيد أهل الوبر، قال: قلت يا رسول الله: ما خير المال: قال: نعم المال الأربعون، والأكثر الستون، وويل لأصحاب المئين، إلا من أدى حق الله في رسلها ونجدتها، وأفقر ظهرها، وأطرق فحلها، ومنح غزيرها، ونحر سمنها، فأطعم القانع والمعتر وذكر تمام الحديث؛ أي في المال حق الزكاة فقد جعل رسول الله صلّى الله عليه وسلم في الماشية حقا سوى الزكاة.»[1]

– **الذم:** أفعال الذّم هي « الأفعال التي وضعت لإنشاء الذمّ وتفيد المبالغة فيه، وهي: بئس، وساء، ولا حبّذا.»[2]

مثال: قال الجاحظ: هذا يدل على « أنّ عامة بني صريم كانوا خوارج، وكان منهم البُرك الصّريمي، واسمه الحجاج، وهو الذي ضرب معاوية بالسيف، والخزرج بن الصُّدى بن الخلق، كان خطيبا، وقال الشاعر في بني صَريم: أصلي حيثُ تدرِكُني صلاتي *** و**بِئس** الدِّينُ دينَ بني صَريم.»[3]

الفعل القولي "بئس الدين"، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، إذْ يتمثل في ذكر صفة مذمومة على وجه الاستهجان والاستنكار، وبئس هي أصل الرداءة، أمّا الفعل القولي المتضمن حسب تصنيف أوستين يتمثل في هجاء واحتقار عبد الملك بن مروان الحجاج والدين الذي يتبعه، لأنه ينتمي إلى الخوارج، وذمَّه؛ أي عابه، وهجاه، ولامه، وانتقصه واستحقره، وينشئ الذم للتعبير عن رداءة حاصلة في الخارج، إذ أنّ الذم يكون في التعبيريات حسب تصنيف سيرل.

إذْ يذهب الهاشمي في كتابه وقعة النهران، إلى أنّ « الصدى بن الخلق من بني صريم؛ إذْ كانوا عامة بني صريم خوارج، وكان منهم برك الصريمي، واسمه الحجاج، الذي ضرب معاوية بالسيف، حيث وفد به الحجاج على عبد الملك، فقال: له من أنت؟ قال من بني صريم، قال: له ما اسمك؟ قال الصدى بن الخلق: دعا في عنقه ! خارجي خبيث.»[4]

1- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي أبو عمر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تح، مصطفى بن أحمد العلوي، وآخرون، 1337هـ، 1967م، ج4، ص: 213، 214.

2- عزيزة فوال بابتي، **المعجم المفصل في النحو العربي**، ج1، ص: 208.

3- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، هارون، ج2، ص: 206.

4- الخطيب علي بن الحسين الهاشمي، **وقعة النهران أو الخوارج**، مؤسسة طباعة المفيد، بيروت، لبنان، ص: 278.

– **صيغ العقود:** حيث « تكون بالماضي كثيرا، نحو: بعتُ واشتريت ووهبت وأعتقت.»[1]

مثال: قال الجاحظ: وقال عمرو بن عبيد لأبي جعفر المنصور، عندما طلب منه المنصور الموعظة: «إنّ الله **وَهَبَ** لك الدُّنيا بأَسْرِها، فاشتَرِ نَفْسك منه ببعضها.»[2]

الفعل القولي هو "وَهَبَ لك"، أمّا الفعل القولي المتضمن يتمثل في الدنيا بأسرها التي منحها الله عز وجل لأبي جعفر المنصور، أمّا الفعل الإنجازي حسب تصنيف أوستين يتمثل في شراء الآخرة والعمل لها ؛ أي العمل بما يرضي الله سبحانه وتعالى، والقيام بالعدل بين الناس، وكل ما يرضي الله عز وجل؛ لأن هذا الذي أصبح اليوم بين يديك لو كان مما يبقى على الناس لبقى في يد من كان قبلك؛ إذ تمثل صيغ العقود مظهر من مظاهر تضمن الفعل في القول، حيث تعد نموذجا فعليا للأفعال الكلامية في البحوث العربية، وتصنيف صيغ العقود ضمن الإيقاعيات، حسب تصنيف سيرل؛ لأنه بمجرد التلفظ بها يتم إيقاع فعل وسلوك اجتماعي معين وإيجاده بالكلام في الواقع.

إذْ أنّ الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار ونصوص الأخبار يقول: « أي لم يجعل فوق قدرك قدرا، فلا تجعل فوق شكرك شكرا، إذ قال علي عليه السلام: "إنّ شر الناس إمام جائر ضل وضل به، فآفات سنة مأخوذة، وأحي بدعة متروكة، فإني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول: يؤتى بالإمام الجائر، وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها.»[3]

– **القسم:** هو « واحد من أساليب التوكيد التي عرفها الناس في كثير من اللغات، فقد شاع وعُرف عند العرب كما شاع عند غيرهم من الأمم، فاستعملوه في كل ما تدعوا الحاجة إلى توثيقه وتحقيقه من الأخبار والوعود والعهود والمواثيق، يكون بالواو والباء والتاء وبغيرها؛ أي اللام.»[4]

مثال: قال الجاحظ: فمن كلامه صلّى الله عليه وسلم حين ذكر الأنصار فقال: « أمّا **والله** ما عَلِمْتُكُمْ إلا لَتَقِلُّونَ عند الطمع، وتكثُرون عند الفزَع. »[5]

1- أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع**، ضبط، يوسف الصمَيلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص: 69.

2- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، هارون،ج2، ص: 198.

3- الزمخشري، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1412 هـ، ط1، ص: 823.

4- علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، **أسلوب القسم في القرآن الكريم، دراسة بلاغية**، مج1، 1411هـ، 1991م، ص: 3.

5- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، هارون، ج2، ص: 19.

الفعل القولي "والله ما علمتكم" والقسم نابع من شعور نفسي داخلي ليس له وجود في الخارج، أمّا الفعل الإنجازي حسب تصنيف أوستين هو حلف وقسم رسول الله صلّى الله عليه وسلم بقلة مواطن الطمع عند الأنصار، من حيث العفة والشجاعة، وكثرة مواطن الفزع، بحيث حمل الحديث دلالات التوكيد والقسم؛ أي تأكيد المقسم عليه لأهميته في الحديث.

إذْ أنّ هذا الحديث قد ذكره الخطابي في غريب الحديث، فهو يدور حول وصف الرسول صلّى الله عليه وسلم للأنصار؛ حيث قال: « أنّ عدد الأنصار يقل عند مواطن الطمع؛ أي العفة والشجاعة، ويكثر عند مواطن الفزع؛ أي مثل الحرب، وقال أيضا أبو سليمان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان إذا أشرف على بني عبد الأَشْهَل قال: واللهِ ما علمت، إنّكم لتَكْثُرون عند الفزع، وتَقِلُّون عند الطَّمَع، يرويه الواقدي، عن ابن أبي حَبيبة، عن داود بن الحُصَين، عن محمود بن لَبيد: الفَزَعُ في كلامهم على وجْهَيْن: أحدهما بمعنى الرُّعب، والآخر بمعنى النُّصرَة والإنْجاد.»[1]

وأيضا رواه الزمخشري في كتابه الفالق في غريب الحديث قائلا: « وُضع الفَزَع، وهو الفَرَقُ موضعَ الإغاثة والنصرِ، وذلك أنّ من شَأنه الإغاثة والدفع عن الحريم مُراقبٌ حَذِر.»[2]

– **التعجب**: هو « استعظام وانفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر خفي سببه، ولهذا يقال إذا ظهر السبب بطل العجب، يكون قياساً بصيغتين، ما أفعله وأفْعِلْ به، وسماعاً بغيرهما." [3]

مثال: قال الجاحظ: قال إبراهيم الأنصاري: الخلفاء والأئمة وأمراء المؤمنين ملوك، وليس كلّ ملكٍ يكون خليفة وإماما، ولذلك فصَل بينهم أبو بكر رحمه الله في خطبته، فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ألا إنّ أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك!»[4]

الفعل القولي " أشقى الناس" أمّا الفعل التأثيري حسب تصنيف أوستين يتمثل في دهشة واستغراب وتعجب الناس من خطاب أبي بكر الصديق حين بدأ بذم الملوك، والغرض المتضمن في القول حسب تصنيف سيرل يتمثل في أنّ معاوية مبدأ شقاء هذه الأمة؛ إذْ أنّ التعجب كلام يدل على الدهشة والاستغراب، كما يدخل التعجب في التعبيريات حسب تصنيف سيرل.

1- أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، **غريب الحديث**، تح، عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، 1982، ج1، ص: 682.

2- محمود بن عمر الزمخشري، **الفالق في غريب الحديث**، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ج3، ط2، ص: 115.

3- خالد الأزهري، **شرح التوضيح على التصريح**، دار الفكر، بيروت، ج2، ص: 87.

4- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، هارون، ج2، ص: 43.

إذْ أنّ من « أدق المسائل وأعضلها توليته الملك واختيار الأصلح لحكم الناس بالعدل والعقل، مسألة شغل بها البشر في كل دور من أدواره، فقضت ولا تزال تقضي في تأييد سلطة الملوك ملايين من الناس، على هذا كان الحال في حكومات العرب بعد الإسلام في القرون الوسطى والحكومات الإفرنجية في القرون الحديثة؛ إذْ أنّ أبا بكر الصديق ذّم الملوك في خطبته، وذلك لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنّ أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك! حيث يُعد معاوية بن أبي سفيان مبدأ شقاء هذه الأمة بملوكها، أفسد أمرها.»[1]

– **أفعال الرجاء:** وهي « طلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع، تكون بعسى وحرى واخلولق.»[2]

مثال: قال الجاحظ: وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج، وقال يزيد بن المهلب، وكان في سجن الحجاج: لهفي على طلبة بمائة ألف وفرج في جبهة أسد.[3] وهذا قوله تعالى: ﴿ وَ**عَسَى** أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ**عَسَى** أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[4]

الفعل القولي "عسى" أمّا الغرض المتضمن في القول حسب تصنيف سيرل، كراهية شيء وهو فيه منفعة، ومحبة شيء وهو فيه مضرة والله يعلم ما لا يعلم البشر، فالعبد يكره مواجهة عدوه بقوته الغضبية خشية على نفسه منه، وهذا المكروه خير له في معاشه ومعاده، ويحب الموادعة والمتاركة، وهذا المحبوب شر له في معاشه ومعاده، وكذلك يكره المرأة لوصف من أوصافها وله في إمساكها خير كثير لا يعرفه، ويحب المرأة لوصف من أوصافها وله في إمساكها شر كثير لا يعرفه، والترجي حسب تصنيف سيرل متعلق بمبدأ المحتوى القضوي، فالمحتوى القضوي في الترجي هو قضية ممكنة، وتمني وقوع الخبر، كما أنّ الترجي يدخل تحت التوجيهات حسب تصنيف سيرل.

إذْ جاء في كتاب تفسير الراغب الأصفهاني، « وعسى طمع وإشفاق، وقد يجري مجرى لعل، ونبه بقوله: وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا بألطف وجه على أن ما كتب عليهم من القتال خير لهم بأوضح الأدلة وهي أنه إذا جاز أن يكون منكم كراهية لأمر وفيه الخير، فيجوز أن يكون كراهتكم لما كتب عليكم

1- حماسة الخالديين، **حكومة الشورى في المملكة العثمانية بين العرب والفرس**، مجلة المقتبس، ع36.

2- أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية**، الفصاحة، البلاغة، المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ط1، ص: 109.

3- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، السندوبي، ج3، ص: 161.

4- سورة **البقرة**، الآية: 216.

من القتال كذلك، وإذا جاز أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، فيجوز أن تكون محبتكم لما أحببتموه شراً.»[1]

والزمخشري في تأويل قوله تعالى يقول: « وهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ من الكراهة بدليل قوله وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً، ثم إمّا أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة.»[2]

2-4 الإنشاء الطلبي: وهو « الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، وأنواعه خمسة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني ، والنداء.»[3]

- الأمر: هو « طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء مع الالتزام، وله أربع صيغ: فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب على فعل الأمر.»[4]

قال أيضا فضل حسن عباس في كتابه البلاغة فنونها وأفنانها « وقد تخرج صيغ الأمر عن دلالتها الأصلية، والأصل في الأمر أن يدل على الوجوب، وإنما يدل على غيره بالقرائن، ومن هنا لابد أن يكون على جهة العلو؛ أي من الأعلى لمن هو أدنى منه، فإن كان من الأدنى إلى الأعلى؛ فهو دعاء، وإن كان إلى من يساويك؛ فهو التماس، وقد يخرج عن معنى الأمر إلى معان أخرى، أهمها: الإرشاد، والاعتبار، والتخيير، والإباحة، والدوام، والتأديب، والتعجب، والتهديد، والتمني، والإهانة، والتحقير، والتعجيز، والتسوية، والامتنان.»[5]

مثال: قال الجاحظ: « ثم قال الله تبارك وتعالى في باب آخر من صفة قريش والعرب »[6]،

وقال تعالى: ﴿ **فَاعْتَبِرُوا** يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾.[7]

إذا أمعنا النظر في الآية الكريمة نجد أنّ الله عز وجل أمر بفعل الاعتبار المعاندين للحق، المتبعين لأهوائهم، والعبرة لمن اعتبر؛ إذْ أنّ الفعل القولي "اِعْتَبِرْ" يتضمن فعلا كلاميا مباشرا يطابق القوة الإنجازية لمقاصد المتكلم وهو الإرشاد، اعتبر لمن قبلك، ولا تكون عبرة لمن يأتي بعدك، أمّا على

1- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تح، محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1999، ج1، ص: 445.

2- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ، ج1، ص: 257.

3- أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية**، ص: 107.

4- فضل حسن عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط2، 1989، ص: 152.

5- المرجع نفسه، ص: 152.

6- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، تح، هارون، ص: 11.

7- سورة **الحشر**، الآية: 02.

مستوى الفعل التأثيري الناتج عن القول، بحسب تصنيف أوستين فهو الامتثال للأمر الذي أعقب فعل معتبر، إذْ يندرج هذا النص المقدس في التوجيهات أو الأمريات حسب تصنيف سيرل، والغرض المتضمن في القول؛ هو محاولة المتكلم توجيه المستمع بقيام أمر ما، والقصد في التوجيهات هو محاولة التأثير في المستمع، وفي هذا بُعد تداولي.

إذ « يعرف الإنسان عاقبة الغدر والكفر والطعن في النُّبُوَّةِ، فإن أولئك اليهود وقعوا بشؤم الغدر، والكفر في البلاء والجلاء، والمؤمنون أيضا يعتبرون به فيعدلون عن المعاصي، وهذا ما أكده الرازي في تفسيره.»[1]

كما أنّ الأمر في الآية جليّ يؤكده السعدي في تفسيره؛ إذْ يقول: « حين جاءهم أمر الله، ووصل إليهم النكال بذنوبهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله.»[2]

– **الدعاء**: هو « الطلب على سبيل التضرع »،[3] كدعاء العبد الضعيف لربه، والتوسل والتضرع إليه. مثال: قال الجاحظ: ومن الدّليل « على أنّ الله تعالى حلّ تلك العقدة، وأطلق ذلك التعقيد والحُبسة.»[4] وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ **اشْرَحْ لِي** صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾.[5]

الفعل القولي هو "اشرح لِي"، أمّا الفعل الإنجازي حسب تصنيف أوستين هو استجابة الله عز وجل لدعاء موسى بالقَبول؛ أي وسّعه بالنور، والإيمان، والحكمة، حتى يتحمّل الأذى بكل أنواعه القولي والفعلي؛ فإن انشراح الصدر يحوّل مشقّة التكليف إلى راحة، ونعيم، ويسر، ويسهِّل كل أمر يسلكه كل إنسان، وكل طريق يقصده في سبيله، ويهوّن عليه ما أمامه من الشدائد، ومن تيسير الأمر أن ييسّر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قَبول قوله، والدعاء كثيرا ما نسجله فعلا كلاميًا من خلال الآية القرآنية؛ إذْ أفادت أفعال

1- محمّد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 1401هـ، 1981م، ط1، ج29، ص: 282.

2- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تح، عبد الرحمن بن معلا اللوحق، مؤسسة الرسالة، 2000، ج1، ص: 848.

3- أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية**، ص: 111.

4- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، هارون، ج1، ص: 8.

5- سورة **طه**، الآية: 25،26.

الأمر الواردة في هذه الآية معنى الدعاء والتضرع إلى الله، والأمر إذا كان من الأقل منزلة إلى المولى سبحانه وتعالى لا يكون حقيقيا، بل يخرج إلى معنى الدّعاء.

والدعاء واضح وجلي في الآية إذْ يقول السعدي: « فامتثل أمر ربه، وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي هي من تمام الدعوة، فقال: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي؛ أي وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذى القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم. »[1]

– **النهي**: وهو كالأمر لكنه طلب سلبي والأمر طلب إيجابي، إذْ « الأمر يطلب إنجاز أمر، والنهي يطلب عدم إنجاز شيء ما. »[2]

مثال: قال الجاحظ: ولم يمتحن الله جلّ وعزّ « صبر آدم وحوّاء، وهما أصلُ هذا الخلقِ وأوّلُه، إلا بشجرة.»[3] وقال تعالى: ﴿ وَ**لَا تَقْرَبَا** هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾.[4]

الفعل القولي "لا تقربا" وردت بمعنى القرب ضد البعد، حيث نهى الله سبحانه وتعالى آدم وزوجته حواء وأمرهم بالابتعاد عن الشجرة وحرّم عليهما أكلها، أمّا الفعل الإنجازي حسب تصنيف أوستين، يتمثل في تنفيذ القرار بالابتعاد عن الشجرة وعدم الأكل منها، وإلا يكونا من الظالمين، فإن معصية الله سبحانه وتعالى ظلم؛ أي ظلم للنفس وعدوان عليها، فقد أظهرت القوة الكلامية بالاعتماد على أسلوب النهي، يتبع هذا الأسلوب للإرشاد وتوجيه الناس إلى أدب السلوك، وهذا ما حث عنه أوستين في أفعال السلوك؛ إذْ قد ينهى عن قربان الشيء والمراد فعل الشيء مباشرة للمبالغة في التحذير منه، وهذا ما حث عنه سيرل في أفعال الكلام المباشرة؛ والتي تطابق قوتها الإنجازية مقاصد المتكلم، والنهي يدخل ضمن التوجيهات حسب تصنيف سيرل.

1- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تح، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، 2000، ط1، ج1، ص: 504.

2- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، **علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني**،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003، ص: 296.

3- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، هارون، مج3، ص: 35.

4- سورة **الأعراف**، الآية: 19.

إذْ يقول السعدي في تأويل قول الله تعالى: « أمر الله تعالى آدم وزوجته حواء، التي أنعم الله بها عليه ليسكن إليها، أن يأكلا من الجنة حيث يتمتعا فيها بما أراد، إلا أنه عين لهما شجرة، ونهاهما عن أكلها، والله أعلم ما هي، وليست في تعيينها فائدة لنا، وحرم عليهما أكلها.»[1]

– **الاستفهام**: وهو « طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة، وأدواته كثيرة منها: الهمزة، وهل، ومن، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنَّ، وكم، وأي.»[2]

الهمزة يطلب بها أحد الأمرين: التصور، والتصديق، وهل يطلب بها التصديق ليس غير؛ أي إدراك النسبة، ويمتنع معها ذكر المعادل.

يذهب عبد العزيز عتيق في كتابه علم المعاني، إلى أنّ « من: يطلب بها تعيين العقلاء، وما: يطلب بها شرح الاسم أو ماهية المسمى، ومتى: يطلب بها تعيين الزمان ماضيا كان أو مستقبلا، وأيان: يطلب بها تعيين زمان المستقبل خاصة، وأكثر ما تكون في مواضع التفخيم؛ أي في المواضع التي يقصد فيها تعظيم المسؤول عنه والتهويل بشأنه، كيف: يطلب بها تعيين الحال، أين: يطلب بها تعيين المكان، أنَّ: وتأتي لمعان عدة، تستعمل تارة بمعنى كيف، وتارة تستعمل بمعنى من أين، وتارة تستعمل بمعنى متى، كم: ويطلب بها تعيين العدد، أي: ويطلب بها تعيين عدد أحد المتشاركين في أمر يعمهما.»[3]

مثال: قال الجاحظ: « وذكر الله عز وجل لنبيّه عليه السلام حالَ قريش في بلاغة المنطق، ورجاحة الأحلامِ، وصحة العقول، وذكر العربَ وما فيها من الدّهاء والنَّكراء والمكر، ومن بلاغة الألسنة، واللّدَدِ عند الخُصومة.»[4]

وقال تعالى: ﴿ **أَآلِهَتُنَا** خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾.[5]

الفعل القولي "أآلِهَتُنَا" والاستفهام اللازمُ تقديره بعدها تقريري، ومقصودُهُ: الاستخبار بأنّ كل من عبد من دون الله مصيره نار جهنم؛ والمعنى ما كان ضلالتهم ووقوعهم في الكفر إلا بسبب الجدال وهو الخصومة بالباطل مع نبيهم وطلب المعجزة منه عنادً أو جحوداً، والفعل الإنجازي حسب

1- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تح، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، 1420هـ -2000 م، ط1، ج1، ص: 285.

2- عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص: 88.

3- المرجع نفسه، ص: 93، 94، 95.

4- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، هارون، ج1، ص: 9.

5- سورة **الزخرف**، الآية: 58.

تصنيف أوستين العبادة لا تكون إلا لله وحده لا شريك له، والغرض المتضمن في القول حسب تصنيف سيرل يتمثل في آلهتنا؛ أي الأصنام خير عندك أم عيسى فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه، وفي موضع آخر، أرادوا بالآلهة الملائكة؛ يعني الملائكة خير أم عيسى، فإذا عبدت النصارى عيسى فنحن نعبد الملائكة، وهذا من باب الجدل، وفي موضع آخر أيضا، آلهتنا خير أم محمد، والاستفهام هو طلب الفهم، تدور فيه أسئلة لدى السامع وذلك بتأكيد المعلومة طلبا للمعرفة، إذن هنا بُعد تداولي يتمثل في تأكيد المعلومة، والاستفهام أيضا يندرج تحت التوجيهات حسب تصنيف سيرل.

إذْ يقول السمعاني في قول الله تعالى: « القول الأول معناهُ: أألهتنا خير أم عيسى؟ بل عيسى خير من آلهتنا، فإذا كان عيسى في النار فلتكن آلهتنا في النار، وعلى القول الثاني: أآلهتنا خير أم هو؟ يعني: محمداً، فإذا كان محمد يطلب أن نعبده فنحن نعبد آلهتنا، وفي قراءة أبي بن كعب: " أآلهتنا خير أم هذا؟ " وهذا يُؤيد القول الثاني. »[1]

- **التمني**: هو « طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيد، أو امتناع أمر مكروه كذلك، والأصل فيه أن يكون بلفظ ليت، وقد يأتي بـ لو، وهل، ولعلَّ، وهلّا، وألَّا، ولولا، ولوما،»[2]

وهو أيضا « تشتهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون.»[3]

مثال: قال الجاحظ: فلما خرج أهل البصرة إلى صِفِّيْنَ تنازع شقيق وخالد الرياسة فصيرها عند ذلك عليٌّ إلى حُصينِ بن المنذر فرضي كل واحد منهما، وكان يخاف أن يصيرها إلى خصمه، فسكنت بكر وعرف الناس صحة تدبير علي رضي الله تعالى عنه في ذلك.

أمّا « قول الآخر: **يَا لَيْتَ** لِي نَعْلِينِ مِنْ جِلْدِ الضَّبُعُ *** وَشَرَكًا مِنْ أَسْتِهَا لَا تَنْقَطِعْ »[4]

الفعل القولي "يا ليت" والغرض المتضمن في القول يتمثل في الحصول على حذاء من جلد الضبع، وللضبع جلد سيّئ لا يصلح للدباغة أو للصناعة، وهذا يدل على أنّ جلدها جلد سوء، أمّا الفعل الإنجازي حسب تصنيف أوستين يتمثل في تمني صناعة حذاء من جلد الضبع، وليت تفيد معنى

1- منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني، **تفسير القرآن**، تح، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1997، ط1، ص: 111.

2- عبد السلام هارون، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ط5، ص: 16.

3- قيس إسماعيل الأوسي، **أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين**، بيت الحكمة، بغداد، 1988، ص: 517.

4- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، السندوبي، ج3، ص: 72.

التمني للقريب، والتمني حسب تصنيف سيرل متعلق بالمحتوى القضوي، فالمحتوى القضوي في التمني هو قضية غير ممكنة، كما أنّ التمني يدخل ضمن التعبيريات وفق تصنيف سيرل.

إذْ يقول عبد اللطيف عاشور « الضبع من الحيوانات المفترسة التي تهاجم وتفترس بني آدم إذا نام، تتمتع بحاسة شم قوية، تمكنها من تحديد موقع طعامها بسهولة، ويكون بحثها عن الطعام أثناء الليل، حيث تتغذى عادة على ما تقتله، بأن تأتيه من وجهه، فتحفر الأرض حتى يميل رأسه ويبرز حلقه فتهجم عليه بأنيابها، وأنثى الضبع تتميز بأنها أضخم جسما من الذكر، ويعتبر الضبع المنقط أضخم أفراد عائلة الضباع، كما يسمى أيضا الضبع الضاحك، لما يصدره من صوت يشبه ضحك الإنسان، وهو في الواقع خليط من عواء حبيس ونقيق، وللضبع جلد سيّئ لا يصلح للدباغة أو للصناعة، لهذا قال الشاعر هذا البيت.»[1]

- **النداء:** وهو « طلب الإقبال أو تنبيه المنادى وحمله على الالتفات بأحد حروف النداء، أو أنه ذكر اسم المدعو بعد حرف من حروف النداء»[2]، حروفه ثمانية « وهي: "الهمزة"، و"أي" للنداء القريب، و"يا"، و"أي"، و"أيا"، و"هيا"، و"آ"، و"وا"، للنداء البعيد، ويمكن أن يتحقق النداء دون استعمال الأداة.»[3]

يُعد النداء بمثابة مدخل للأفعال الكلامية، فهو طلب الاستحضار، يُراد منه إقبال المدعو على الدّاعي، ليتمكن من توجيه ما يريد.

مثال: قال الجاحظ: « أنّ سحرة فرعون لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعصيّ والحبال، لم يجعل الله للحبال من الفضيلة في إعطاء البرهان ما جعل للعصا، وقدرة الله على تصريف الحبال في الوجوه، كقدرته على تصريف العصا.»[4]

وقال الله عز وجل: ﴿ **يَا مُوسَى** إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾.[5]

وللنداء القرآني ميزة أخرى في مقام المنازعة إظهارً للحق، فقد ورد نداء موسى عليه السلام على لسان السحرة في تقرير أمر المنادى، جاء النداء بعد وعد فرعون للسحرة بأنهم مقربون إليه إن هم

1- عبد اللطيف عاشور، **موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي**، القاهرة، ج1، ص: 254.

2- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، **علوم البلاغة**، ص: 306.

3- المرجع نفسه، ص: 306.

4- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج3، تح، هارون، ص: 32.

5- سورة **الأعراف**، الآية: 115.

غلبوا موسى، ففي النداء يا موسى حب استعلاء لذواتهم وسحرهم، ولذا نادوه بالأداة "يا" التي هي للبعيد والتي نستشعر فيها حب العظمة عند المتكلم وإنزال المخاطب منزلة البعيد.

والفعل القولي "يا موسى" نداء موسى عليه السلام على لسان السحرة، أمّا الفعل الإنجازي استجابة المنادى حتى يتحقق الغرض بهذا الفعل الكلامي؛ أي إلقاء العصا، والمعنى التداولي من غرض النداء قائم على ثنائية التواصل بين المنادي والمنادى، ضمن توجيه الدعوة، ليسمع ما يلقى إليه بعد النداء من الكلام، ليعمل بمقتضاه قصد ما يحصل من فائدة انطلاقا من الحالة التي يرد فيها خطاب النداء الموجه لمقصدية مرتبطة بآليات الفعل الكلامي، وباعتبار النداء من الأفعال التوجيهية التأثيرية، والفعل التأثيري هو تأثر السحرة بموسى لما فعله من معجزة بأمر من الله عز وجل.

وفي تأويل هذا النص يقول الطبري: « قالوا يا موسى يقول: قالت السحرة لموسى: يا موسى، اختر أن تلقي عصاك، أو نلقي نحن عصينا، ولذلك أدخلت "أن" مع "إما" في موضع نصب لما وصفت من المعنى، لأن معنى الكلام: اختر أن تلقي أنت، أو نلقي نحن.»[1]

وعليه إنّ البعد التداولي واضح وجلي في أسلوب الجاحظ، فقد أخذ على عاتقه مهمة تفسير الخطاب والشروط التي أنتج فيه، لأن الخطاب عنده يتميز بِبُعد تداولي قدمه في كتابه البيان والتبيين، فعكف على تقديم أسسه المعرفية البيانية، وشروط إنتاج الرسالة الكلامية؛ أي من المرسل إلى المرسل إليه، وذلك باستعماله أسلوبي الخبر والإنشاء، حسب التصنيفات التي قام بها كلّ من أوستين وسيرل؛ إذْ حين يتحدث المتكلم فإنه في حقيقة الأمر يخبر عن شيء، أو يصرح به، أو يأمر، أو ينهي، أو يلتمس، أو يَعِدُ، أو يشكر، أو يتزوج، أو يطلق؛ فالأساليب الإنشائية والخبرية عند العرب شكلت حجر الأساس في الدراسات الأصولية والنحوية والبلاغية، حيث جاء تحليلهم لهذه الأساليب دقيقا إلى درجة أن نظرية أوستين وسيرل لا يمكن أن نعتبرها إلا تابعا لما بحثه العرب في هذا المجال، وفي نفس الوقت لا يمكن لنا أن ننكر فضل الفلاسفة في التعريف بهذا الجانب من اللغة الذي مكّن الدارسين العرب من اكتشاف تلك الجهود الفذة والفريدة من نوعها للعلماء العرب القدامى في العديد من المجالات المعرفية.

1- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (أبو جعفر الطبري)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000، ج13، ص: 26.

خاتمة الفصل: وخلاصة القول لا يسعنا إلا أن نقول أنّ الجاحظ رغم كونه معتزليا عُرف بأفكاره الكلامية، التي تقر بأنه لا يمتلك نظرية كاملة في الكلام فحسب؛ بل يؤسس فيها إلى مذهب فلسفي في المعرفة، أمّا في كتابه "البيان والتبيين" فهو يوضح بصورة جلية أن الكلام لابد أن يدرس من خلال آلياته المؤدية إلى إنتاجه، حيث يؤكد على أنّ البيان لدى الجاحظ يحمل على معنيين هما: الوظيفة الإفهامية والوظيفة الإقناعية، وإذا كان البيان يقتضي الاهتمام بالمعنى قبل كل شيء، فإن التبيين يذهب إلى حسن البيان في إخراج تلك المعاني، والاهتمام بالألفاظ، حيث تصبح عملية تلخيص المعاني هي تحريرها وإخراجها في صور ألفاظ تسمع أو تكتب؛ إذْ تتناول هذه الدراسة الكشف عن البعد التداولي عند الجاحظ، وهي ظاهرة الأفعال الكلامية عنده في كتابه البيان والتبيين، حيث قامت الدراسة على استخراج الأفعال الكلامية وتبيين أنواعها وأغراضها وقوتها الإنجازية معتمدة على تصنيف جون أوستين وجون سيرل لأصناف الأفعال الكلامية، كما اهتمت الدراسة بتتبع استخدام الأفعال وطريقة عرضها في البيان والتبيين.

الخاتمـــــــــة

وفي الأخير نختم هذا البحث بأهم النتائج المتوصل إليها من هذه المرحلة، لتكون بمثابة الوعاء الذي يحتضن زبدة البحث؛ وعليه فإن النتائج المتحصل عليها نسردها على النحو الآتي:

- تعتبر التداولية علم استعمال اللغة بجدارة؛ ذلك أنها تبدي الاهتمام بمقاصد الكلام المصرح به والضمني، وتقرأ ما بين السطور المعاني المراد تبليغها ضمن سياق محدد.
- أصبح للتداولية بفضل محاورها أسلوب آخر في دراسة اللغة، إذ تتميز به عن باقي المناهج الأخرى، فقد أضحت تبحث عن المعاني والمقاصد في الكلام من خلال القوة في الألفاظ والكلمات المستعملة في الخطاب.
- تعتبر نظرية أفعال الكلام من أهم النظريات التي تنطوي تحت التداولية، حيث يُعد أوستين واضع اللبنة الأولى لهذه النظرية والمنظر لها، بيد أنها اكتملت وتطورت على يد تلميذه سيرل.
- من أهم ما تنادي به نظرية أفعال الكلام، القوة الإنجازية في الفعل الكلامي، إذ نجد أوستين يجعل لها ثلاثة أعمال لغوية: العمل القولي، والعمل المتضمن في القول، والعمل التأثيري، بينما سيرل أضاف على تقسيم أستاذه هذا العمل القضوي، فقد عرفت النظرية تطورا على يده.
- تتجلى نظرية أفعال الكلام في الدرس اللغوي القديم في أسلوبي الخبر والإنشاء، وما تهتم به نظرية أفعال الكلام من القوة الإنجازية والتأثيرية في الكلام؛ تعنى به الأساليب الخبرية والإنشائية في الدرس العربي.
- يزخر تراثنا العربي بثلة من العباقرة والعلماء والمفكرين، ويعتبر الجاحظ أحد أهم هؤلاء العلماء الذين عرفتهم العرب، فهو أحد عباقرة زمانه والأجيال التي جاءت بعده وآثاره تشهد له بذلك، فقد عُرف بأسلوبه الراقي الذي ينفرد به، وبشخصيته الفذة المرحة والمتواضعة وبعلمه الغزير.
- يُعرف أسلوب الجاحظ بِبُعد تداولي يظهر جلي في مؤلفاته؛ إذ أنه يهتم بالمرسل والمرسل إليه والرسالة وبالقصد والمقام، حتى أنّ أعماله تتقاطع مع أعمال أوستين وسيرل من خلال النظرية.
- تجلى لنا في كتاب البيان والتبيين التفكير التداولي، إذ أنّ الجاحظ يدعو فيه المتكلم إلى حسن بيان المعاني وتبيينها أثناء الكلام؛ أي لابد للمتكلم من مراعاة أحوال السامع مع محاولة صياغة الألفاظ وفق مقام مناسب حتى يصل المعنى في أبسطه إلى المتلقي، ولا ينبغي عليه

التّكلف والتّصنع في الكلام، بل عليه أن يخرج المعاني في أحسن صورة، ضمن ألفاظ مناسبة لها لتحقق بذلك حسن الفهم والإفهام.

- يمثل أسلوب الخبر والإنشاء عند الجاحظ وسيلة لإفهام وتفهيم المتكلمين وفي هذا نظرة تداولية؛ حيث أنّ أوستين وسيرل يريان أنّ الأساليب نوعين، خبرية ووصفية- إنشائية- تعمل على التأثير في المتلقي لينجز عملا ما أو ليغير رأيه بشأن موضوع ما، وكل ذلك يدل على تقاطع الأعمال بين كل من الجاحظ وأوستين وسيرل.
- يبدو ومن خلال الدراسة التي قمنا بها على كتاب الجاحظ البيان والتبيين، أنه قد حقق نظرية أفعال الكلام (أسلوبي الخبر والإنشاء) في نصوصه، حيث تبيّن لنا أسلوبه البارز في تلك النصوص من فصاحة وإقناع وتداول على أكمل وجه.

وفي الختام –ختامه مسك- نرجو من العلي القدير السداد والتوفيق في هذا الجهد المبذول والعمل المقتدر، وأن يكون ذو منفعة لمن يقرأه، ويفتح بابا جديدا للبحث- سواء في نفس الموضوع أو موضوع جديد مستحى منه- والحمد لله.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

1. ابن علي بن يعيش، **شرح المفصل**، إدارة الطباعة المنيرية، ج7.
2. ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، تح، حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، ج1، القاهرة، 1969.
3. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر، ج5.
4. أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، مج5.
5. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري الخوارزمي ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ، ج1.
6. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري الخوارزمي ، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1412 هـ، ط1.
7. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري الخوارزمي، **تفسير الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تع، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، 1430هـ، 2009 م، ط03.
8. أبو سليمان جمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، **غريب الحديث**، تح، عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، 1982، ج1.
9. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، السندوبي، ج1، ج2،ج3، ج4.
10. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ج1، ج2، ج3، ج4.

11. أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، تح، تع، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة (د. ط، د. س).

12. أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع**، ضبط، يوسف الصمَيلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

13. أحمد بن فارس بن زكريا، **مقاييس اللغة**، تح، ض، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ، 1979 م، ج02، (**د.ط**)

14. أحمد فهد صالح شاهين، **النظرية التداولية، و أثرها في الدراسات النحوية المعاصرة**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015م، ط1.

15. أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، 1985، ط: 02، 1988، 1991، 1993، 1998، ط01، ط03، ط04، ط05.

16. أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية، الفصاحة، البلاغة، المعاني**، وكالة المطبوعات، الكويت،ساعدت جامعة بغداد في نشره، 1979 م،1980 م

17. إدريس مقبول، **الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية**، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2011م،1432هـ، ، ط01.

18. آن روبول، جاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، تر، سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2003، ط1.

19. أوستين، **نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام**، تر، عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991.

20. بشرى البستاني، **التداولية، في البحث اللغوي و النقدي**، مؤسسة السياب، لندن، 2012، ط01.

21. بهاء الدين محمد مزيد، **من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية**، القاهرة، 2010، ط1.

22. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تح، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مملكة العربية السعودية، ج01.

23. جمال الدين أبي عبد الله بن يوسف، ابن هشام النحوي، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تح، محمد أبو الفضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

24. جميل حمداوي، **التداوليات وتحليل الخطاب**، مكتبة المثقف، 2015 م، ط01.

25. جواد ختام، **التداولية، أصولها واتجاهاتها**، دار الكنوز، عمان، 1437هـ، 2016م، ط01.

26. جورج بوشامب، **نظرية المنهج**، تر، ممدوح محمد سليمان، وآخرون، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.

27. جورج يول، **التداولية**، تر، قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، دار الآمان، الرباط، 1431 هـ، 2010 م، ط01.

28. جون سيرل، **العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي**، تر، سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، 2006، ط1.

29. حافظ إسماعيل علوي، **التداوليات، علم استعمال اللغة**، عالم الكتب الحديث، إربد، جدار للكتاب العالمي، الأردن، 2014، ط02.

30. حافظ إسماعيل علوي، **تساؤلات التداولية، وتحليل الخطاب**، دار كنوز المعرفة، عمان، 1438 هـ، 2016 م، ط01.

31. حمو الحاج ذهبية، **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب**، الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ط2.

32. حمو النقاري، **معجم المفاهيم، علم الكلام المنهجية**، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، 2016، ط1.

33. حنّا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، البولسية، 1953،ط2.

34. خالد الأزهري، **شرح التوضيح على التصريح**، دار الفكر، بيروت، ج2.

35. خالد ميلاد، **الإنشاء في العربية، بين التركيب والدلالة**، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، تونس، 2001، ط1.

36. خديجة محفوظ محمد الشنقيطي، **المنحى التداولي، في التراث اللغوي، الأمر والاستفهام نموذجين**، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن، 2016، ط01.

37. الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ش، تع، محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1413 هـ، 1993 م، ط03،ج03.

38. الخطيب القزويني، **التلخيص في علوم البلاغة**، ض، ش، عبد الرحمن برقوقي، دار الفكر العربي، 1904، ط: 01.

39. الخطيب القزويني، **في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003 ، ط1.

40. الخطيب علي بن الحسين الهاشمي، **وقعة النهران أو الخوارج**، مؤسسة طباعة المفيد، بيروت، لبنان.

41. خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ط01.

42. خليل بن أحمد الفراهيدي، **معجم العين**، تح، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج4، (د.ن وت، د.ط، د.س).

43. دومينيك مانغونو، **المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب**، تر، محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر.

44. رؤوف جمال الدين، **المعجب في علم النحو**، دار الهجرة، إيران، القرم، (د. ط،د.س) .

45. سعد الدين التفتازاني، **المطول على التلخيص**،خادم العلم السني، 1310 هـ.

46. سعد الدين التفتازاني، **مختصر المعاني**، منشورات دار الفكر، 1411هـ، ط1.

47. سيبويه، (أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر)، **الكتاب**، تح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج1، ط3.

48. صابر الحباشة، **الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني**، الدار المتوسطية، تونس، 2009 م، 1430 هـ، ط01.

49. صابر الحباشة، **الأسلوبية والتداولية، مداخل لتحليل الخطاب**، (د.ن.ت،د.ط،د.س).

50. صابر الحباشة، **لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية**، دار الحوار، سورية، 2010م، ط01.

51. الصحبي هدوي، **الإنشاء بالقول، مقاربة نحوية تداولية للأوامر والنواهي**، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2012م، ط1.

52. طالب سيد هاشم الطبطبائي، **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغين العرب**، الكويت، 1994.

53. طه عبد الرحمان، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء،المغرب، 2000، ط2.

54. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تح، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، 1420هـ،2000 م، ط1، ج1.

55. عبد الرحيم الحلوي، **تداوليات الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل**، منشورات القصبة، المغرب، 2017.

56. عبد السلام محمد هارون، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ط5.

57. عبد العزيز العيّادي، **فلسفة الفعل**، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2007، ط1.

58. عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2009، ط1.

59. عبد القادر محمد مايو، **علم النحو العربي، بنية الفعل اللفظية**، مرا، زهير مصطفى يازجي، دار القلم العربي، حلب.

60. عبد اللطيف عاشور، **موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي**، القاهرة، ج1.

61. عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، ط01.

62. عز الدين إسماعيل، **المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي**، مكتبة غريب.

63. عزيزة فوال بابستي، **المعجم المفصل في النحو العربي**، ج1.

64. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات**، تح، محمّد صدّيق المِنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

65. علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، **أسلوب القسم في القرآن الكريم، دراسة بلاغية**، 1411هـ، 1991م، مج1.

66. علي محمود حجي الصرّاف، **في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية**، دراسة دلالية ومعجم سياقي، كلية الآداب، جامعة الكويت، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010.

67. العياشي أدراوي، **الاستلزام الحواري في التداول اللساني**، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011، ط1.

68. فاضل صالح السّامرّائي، **لمسات بيانية، في نصوص التنزيل**، دار عمار، عمان، الأردن، ط03، 1423 هـ،2003 م.

69. فان دايك، **النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، تر، عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000.

70. فضل حسن عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني**، دار الفرقان، ط2، 1989.

71. فليب بلانشيه، **التداولية من أوستن إلى غوفمان**، تر، صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، 2007، ط1.

72. قيس إسماعيل الأوسي، **أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين**، بيت الحكمة، بغداد، 1988.

73. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008.

74. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوجيز**، مطابع الدار السندسية، مصر،1400 هـ، 1970 م، ط1.

75. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2011، ط5.

76. محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، **علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني**،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003.

77. محمّد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1401هـ، 1981م، ط1، ج29.

78. محمد الشاوش، **أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية**، جامعة منوبة، المؤسسة العربية، تونس، 2001، ج2.

79. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية، تونس، 1984هـ، ج 25.

80. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (أبو جعفر الطبري)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000، ج13.

81. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، **تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن التأويل آي القرآن**، تح، ض، تع، بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة،بيروت، 1414 هـ، 1994 م، ط01، مج07.

82. محمد بن علي السكاكي، **مفتاح العلوم**، ض، تع، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403 هـ، 1983 م، 1407 هـ، 1987 م، ط01، ط02.

83. محمد بن مشبب حبتر، **الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال واستنباط الأحكام الشرعية**، دار المحدثين، القاهرة، 2008.

84. محمد بن يوسف المشهور بأبي حيّان، **تفسير البحر المحيط**، تح، تع، عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد المعوض وآخرون،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، 2010، ط03.

85. محمد خطابي، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، 1991، ط1.

86. محمّد علي المدرّس الأفغاني، **الكلام المفيد، للمدرس والمستفيد، في شرح الصّمدية**، دار الهجرة، النجف الأشرف، 1967، ط5.

87. محمد علي زكي الصبّاغ، **البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ**، تح، ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط01، 1998 م.

88. محمد محمد داود، **الدلالة والحركة**، دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة، في إطار المناهج الحديثة، دار غريب، القاهرة، 2002.

89. محمد مفتاح، **تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992، ط3.

90. محمد نبيه حجاب، **بلاغة الكُتَّاب، في العصر العباسي، دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب**، مكتبة الطالب الجامعي، ط2، 1986 م، 1406 هـ.

91. محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**،دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، الإسكندرية، مصر، 2002 .

92. محمود بن عمر الزمخشري، **الفالق في غريب الحديث**، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ج3، ط2.

93. محمود عكاشة، **النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية): دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ**، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013، ط01.

94. مرتضى جبار كاظم، **اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين**، منشورات الضفاف، دار الأمان، ط1، الرباط، 2015.

95. مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، تموز(يوليو)، 2005، ط01.

96. مصطفى جمال الدين، **البحث النحوي عند الأصوليين**،دار الهجرة، إيران، قمْ، 1405 هـ، ط02.

97. مناع خليل القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1955، ط07.

98. منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني، **تفسير القرآن**، تح، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1997، ط1.

99. نعمان بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب**، جدار للكتاب العالمي، عمان، لأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 1429هـ، 2009 م، ط01.

100. يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي أبو عمر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تح، مصطفى بن أحمد العلوي، وآخرون، 1337هـ، 1967م، ج4.

101. يوسف محمود قطامي، **نظريات التعلم والتعليم**، دار الفكر، ناشرون وموزعون، الأردن، 2005، ط1.

مجلات ودوريات:

1. حماسة الخالديين، **حكومة الشورى في المملكة العثمانية بين العرب والفرس**، مجلة المقتبس، ع36.

2. محمد مدور، **نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة**، دراسة تداولية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع16، 2012.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــة	رقمها	السـورة	الصفحــة
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾	32	الفرقان	11
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	05	الفاتحة	17
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾	01	المسد	28
﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾	01	المجادلة	28
﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾	228	البقرة	67
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	27	الأنعام	72
﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾	62	الأنبياء	73
﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	28	البقرة	74
﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾	15	المرسلات	74
﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾	14	هود	74
﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	13	التوبة	74
﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾	28	نوح	74
﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾	80	يونس	74
﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	23	البقرة	74
﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	40	فصلت	75
﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾	49	الدخان	75
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾	36	الإسراء	75
﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾	66	الحجر	78
﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾	30	النحل	78

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾	15-16	المزمل	79
﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	18	الفتح	79
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	01-02	المزمل	79
﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾	01	الإخلاص	79
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾	31	الإسراء	79
﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾	14	البقرة	80
﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾	19-20	طه	84
﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾	52	الزخرف	84
﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾	120	طه	85
﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾	01	النحل	96
﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾	51	النجم	116
﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾	08	الحاقة	116
﴿ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾	08	سبأ	119
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	07	سبأ	120
﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴾	47	النجم	120

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾	06	المزمل	121
﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	216	البقرة	126
﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾	02	الحشر	127
﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾	25، 26	طه	128
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	19	الأعراف	129
﴿ أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾	58	الزخرف	130
﴿ يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾	115	الأعراف	132

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث النبوي الشريـف	الصفحة
خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك إنما جمعتنا لهذا؟ .	28
«لا يلسع المؤمن من جُحْر مرتّين.»	118
«نعم المال الأربعون، والأكثر الستون، وويل لأصحاب المئين، إلا من أدى حق الله في رسلها ونجدتها، وأفقر ظهرها، وأطرق فحلها، ومنح غزيرها، ونحر سمنها، فأطعم القانع والمعتر وذكر تمام الحديث.»	122
«يؤتى بالإمام الجائر، وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها.»	124
«أمّا والله ما عَلِمْتُكُمْ إلا لَتَقِلُّونَ عند الطمع، وتكثُرون عند الفزَع.»	124

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	الصفحة
{جَمَالُكَ أيُّها القلب الجريح *** ستَلْقى من تُحبُّ فتستريح}	11
{وإذا المنية أنشبت أظفارها *** ألفيت كل تميمة لا تنفع}	65
{والذي حارتِ البريةُ فيه *** حيوانُ مستحدثُ من جماد }	79
{أصلي حيثُ تدركُني صلاتي *** وبِئس الدِّينُ دينَ بني صَريم.}	123
{يَا لَيْتَ لِي نَعْلِينِ مِنْ جِلْدِ الضَّبُعُ *** وَشَرَكًا مِنْ أَسْتِهَا لَا تَنْقَطِعْ}	131

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمـــــة.....أ

الفصل الأول: اللسانيات التداولية 6

توطئة: 6

المبحث الأول: نشأة اللسانيات التداولية بين الغرب والعرب. 7

1 نشأة اللسانيات التداولية عند الغرب:.....7

1-1 نشأة ومراحل تطور اللسانيات التداولية:.....7

1-2 الفلسفة التحليلية: 9

1-3 الانتقال من الجملة إلى الخطاب:.....11

1-3-1 مفهوم الجملة: 11

1-3-2 مفهوم الخطاب:.....12

1-3-3 من الجملة إلى الخطاب.....13

2- نشأة اللسانيات التداولية عند العرب: 14

2-1 تجليات التفكير التداولي في الدرس العربي القديم:.....14

2-1-1 أصول الفقه.....14

2-1-2 علم النحو.....15

2-1-3 علم البلاغة.....18

فهرس المحتويات

2-2 التداولية عند الباحثين والمحدثين العرب 21
2-2-1 طه عبد الرحمن 21
2-2-2 أحمد المتوكل 22
2-2-3 مسعود صحراوي 22
2-2-4 تمّام حسان 22
المبحث الثاني: عناصر التداولية ومحاورها. 23
1- مفهوم التداولية: 23
1-1 التداولية لغةً 23
1-2 التداولية اصطلاحا 24
2- عناصر التداولية: 27
2-1 المقام: 27
2-2 أسباب النزول 27
2-3 السياق: 29
2-4 القصد: 29
2-5 المرجعية: 30
2-6 ملابسات الخطاب 31
3- محاور التداولية: 31
3-1 الإشاريات 31

فهرس المحتويات

3-1-1 الإشاريات الشخصية 32

3-1-2 الإشاريات الزمانية 33

3-1-3 الإشاريات المكانية:.....33

3-1-4 إشاريات الخطاب 33

3-1-5 الإشاريات الاجتماعية 34

3-2 الافتراض المسبق.....34

3-3 الاستلزام الحواري 35

3-4 نظرية أفعال الكلام.....36

3- 5 نظرية الملاءمة 37

المبحث الثالث: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى ودرجاتها. 39

1- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى 39

1-1 علاقة التداولية باللسانيات 39

1-2 علاقة التداولية بعلم الدلالة 39

1-3 علاقة التداولية بعلم اللغة النفسي 40

1-4 علاقة التداولية بعلم اللغة الاجتماعي.....40

1-5 علاقة التداولية بتحليل الخطاب.....41

1-6 علاقة التداولية بالحجاج 41

1-6-1 المنظور المنطقي.....41

فهرس المحتويات

1-6-2 المنظور اللغوي 42

1-6-3 المنظور المحادثي.....42

1-7 علاقة التداولية بالأسلوبية 43

1-8 علاقة التداولية بالسميائيات.....44

2- درجات التداولية: 46

2-1 التداولية من الدرجة الأولى 46

2-2 التداولية من الدرجة الثانية 46

2-3 التداولية من الدرجة الثالثة.....47

خاتمة الفصل 48

الفصل الثاني: نظرية أفعال الكلام.....49

توطئة: 49

مفهوم الفعل الكلامي 50

المبحث الأول: الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند الغرب: 53

1- أوستين والأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء:.....53

1-1 بين الخبر والإنشاء عند أوستين:.....54

1-2 التمييز بين أنواع الملفوظات.....54

1-3 شروط الملاءمة عند أوستين.....55

1-4 بنية الفعل الكلامي عند أوستين 56

فهرس المحتويات

1-5 نمذجة أوستين للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية: 57

2- سيرل والأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء: 58

2-1 شروط الملاءمة عند سيرل 59

2-2 الوظائف العامة الخمس لأفعال الكلام ومميزاتها الأساسية عند سيرل 61

2-3 بنية الفعل الكلامي عند سيرل 62

2-4 نمذجة سيرل لنظرية أفعال الكلام.....63

2-5 التمييز بين أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة 63

2-6 الأفعال الكلامية والخطاب التخييلي 65

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند العرب: 67

1- الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند الأصوليين.....68

1-1 الخبر:.....68

1-1-1 تقسيم إبراهيم النظّام.....69

1-1-2 تقسيم الجاحظ.....69

1-1-3 تقسيم أبو العباس اللغوي.....71

2- الإنشاء:.....72

2-1 أنواع الإنشاء الطلبي:.....72

2-1-1 التمني: 72

2-1-2 الاستفهام: 72

فهرس المحتويات

2-1-3 الأمر.....74

2-1-4 أسلوب القصر وموقف السامع من الخطاب.....75

3- نظرية الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والإنشاء عند النحاة.....76

3-1 قضايا التداولية في النحو العربي: 77

3-1-1 تداولية المخاطِب في النحو العربي.....77

3-1-2 تداولية المخاطَب في النحو العربي.....78

3-1-3 تداولية الخطاب في ذاته في النحو العربي.....78

المبحث الثالث: أوجه الإختلاف والإتفاق بين الجاحظ وأوستين:.....82

1- أفعال الكلام عند الجاحظ: 82

1-1 الإفهام: 82

1-2 الإقناع.....82

1-3 أسلوبي الخبر والإنشاء عند الجاحظ:.....83

1-3-1 الأمر.....84

1-3-2 الاستفهام 84

1-3-3 النفي 85

2- أفعال الكلام عند أوستين.....86

2-1 تصنيف أوستين لأفعال الكلام.....86

2-1-1 فعل القول.....86

فهرس المحتويات

2-1-2 الفعل المتضمن في القول.....87

2-1-3 الفعل الناتج عن القول.....87

2-2 التمييز بين الجمل ذات الصيغة الخبرية إلى وصفية إنشائية 87

2-2-1 العبارات الإخبارية "وصفية تقريرية" 88

2-2-2 العبارات الإنشائية: "القول الإنجازي".....88

2-2-3 الأفعال الإنشائية الصريحة:.....90

خاتمة الفصل 92

الفصل الثالث: إسقاط نظرية أفعال الكلام على البيان والتبيين.....92

توطئة:.....92

المبحث الأول: تحديد وضبط المصطلحات: (النظرية – الفعل – الكلام).....92

1- مفهوم النظرية: 92

1-1 النظرية لغةً.....92

1-2 النظرية اصطلاحا: 92

2- مفهوم الفعل: 94

2-1 الفعل لغةً.....94

2-2 الفعل اصطلاحا 95

3- مفهوم الكلام: 97

3-1 الكلام لغة: 97

فهرس المحتويات

2-3 الكلام اصطلاحا: 98

المبحث الثاني: كتاب البيان والتبيين "الجاحظ"..... 100

1- التعريف بالكاتب: "الجاحظ": 100

1-1 مولده ونسبه ووفاته 100

1-2 ظروف حياته:..... 101

1-3 بيئته..... 101

1-4 حياته الأدبية..... 102

1-5 مذهبه..... 103

1-6 آثاره: 104

1-7 أسلوبه ونقده..... 104

2- التعريف بالكتاب "البيان والتبيين 105

2-1 أقسام الكتاب..... 106

2-2 قيمة الكتاب 107

2-2-1 قيمته التاريخية..... 107

2-2-2 قيمته الأدبية:..... 107

2-3 دوافع تأليف كتاب البيان والتبيين..... 107

2-3-1 الدافع الأول 107

2-3-2 الدافع الثاني: 108

فهرس المحتويات

2-4- أقوال القدماء: 108

2-4-1 ابن رشيق القيرواني 108

2-4-2 ابن خلدون المغربي 108

2-5 تفصيل الكتاب 108

2-6 حدّ البيان: 110

2-7 نسخ الكتاب 111

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية في البيان والتبيين للجاحظ من خلال نظرية أفعال 112

1- الأسلوب الخبري والإنشائي عند الجاحظ: 112

1-1 الأسلوب الخبري عند الجاحظ 112

1-1-1 المفهوم اللغوي للخبر 112

1-1-2 المفهوم الاصطلاحي للخبر: 113

1-2 نماذج من الأسلوب الخبري عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: 116

1-2-1 الخبر الصادق 116

1-2-2 الخبر الكاذب 118

1-2-3 الخبر لا صادق ولا كاذب 119

2- الأسلوب الإنشائي عند الجاحظ 120

2-1 الإنشاء: المفهوم اللغوي 120

2-2 الإنشاء: المفهوم الاصطلاحي 121

فهرس المحتويات

2-3 الإنشاء غير الطلبي..... 122
2-4 الإنشاء الطلبي..... 127
خاتمة الفصل 134
الخاتمة..... 135
قائمة المصادر والمراجع 137
فهرس الآيات القرآنية..... 149
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة 151
فهرس الأبيات الشعرية..... 152
فهرس المحتويات 153

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن البعد التداولي عند "الجاحظ"، وهو ظاهرة الأفعال الكلامية في كتابه "البيان والتبيين"، وقامت هذه الدراسة على استخراج الأفعال الكلامية وتبيين أنواعها وأغراضها، وقوتها الإنجازية معتمدة على تقسيم أوستين وخاصة تلميذه جون سيرل لتصنيف الأفعال الكلامية الخمسة وهي: الإخباريات، والتوجيهات، والتعبيريات، والوعديات، والإيقاعيات.

فقد اهتمت الدراسة بتتبع استخدام الأفعال وطريقة عرضها، انطلاقا من تحديد السياق والمقام، وظروف إنتاج الخطاب، ومن ثم تحديد الصيغة الحاملة للفعل الكلامي، وتقوم الدراسة كذلك بتحديد فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري)، ثم تقوم بتحديد طبيعة الفعل من خلال قوته الإنجازية المباشرة، وقوته الإنجازية غير المباشرة.

الكلمات المفتاحية: نظرية أفعال الكلام، أوستين، الجاحظ، البيان والتبيين.

Le Résumé :

Le but visé par cette recherche a divulgation a propos des dimension pragmatiques à «Al-Jahidh », et c'est un phénomène des actes des paroles, dans son livre «Al-Bayan et Al-Tabyeen » , cette L'étude est basée sur l'extraction des actes des paroles, et indiquez ses types et ses objectifs, et sa force de réussite dépend de la division d' austin, et Surtout Son élève John searle à partir de son classification des actes de paroles Les cinq sont : les assertives, et les directives, et les commissives, et les expressives, et les déclaratives.

L'étude a porté sur le suivi de l'utilisation des actes et de leur présentation, A partir de Sélectionnez Contexte et dénominateur, et les conditions de production du discours, et puis définissez la formule Porter un acte du parole, L'étude détermine également L'acte locutoire, et l'acte illocutoire, et l'acte perlocutoire, « l'acte Influent » , Puis Basé en spécifiant La nature d'acte Par sa forces illocutoires directes et indirectes.

les mots clés : Théorie des actes des paroles, austin, al-djahidh, al- Bayan et Al-Tabyeen.